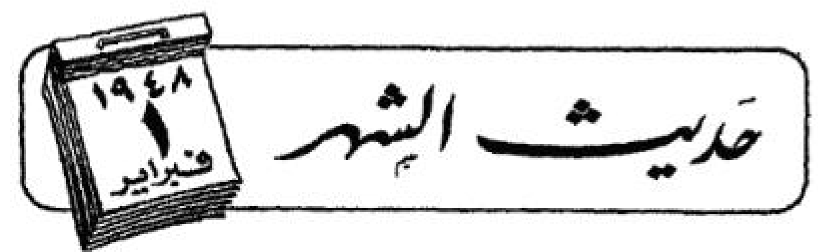


قلق

يظهر انه فى حياة الامم لابد من قلق كائنا ما كان ، وقد يختفى نوع من القلق ليظهر نوع ، ويخفت صوت شاك ليرتفع صوت أشكى ، وكأنما تصالحت الشكاوى على ان تجرى متلاحقة فى دائرة ، حتى لا تظهر منها فى الوقت الواحد الا شكوى واحدة ، تأخذ ببال الناس كله ، وتستأثر بالتفاتهم واهتمامهم كله ، حتى اذا نالت من ذلك بغيتها جرت فى الدائرة لتحل محلها أخرى ، تأخذ من بال الناس ما أخذت هذه ، وتستأثر من التفاتهم واهتمامهم بمثل ما استأثرت تلك . وهكذا دواليك

ولقد كان أكبر ما أخذ من بال الناس واستأثر باهتمامهم فى الصيف الماضى ، مسائل السياسة وشكاواها ، فلم تكد تسمع حديثا الا فيها ، ولا تعليقا يدور الا حولها ؛ ولا مكتبا ولا مائدة ولا مقهى الا ولمجلس الامن نصيب فيه . ثم انفضت هذه السوق ، وانصرف زامر هذا الحى بانتهاء الصيف ، فقامت مكانها سوق أكثر جلبة وابعد زمرا ، تلك سوق الكوليرا . وشغلت هذه السوق الناس كما يشغل الرجل حريق بيته عن لهو وتجارة . وذم الساسة الوافدة ذما فى طياته شيء من الحمد لله الذى لا يحمد على مكروه سواه . وجاء دور هذه السوق ايضا فانفضت وانفض زامرها ، ونظر الناس فيما يشغل ، فوقعوا على فلسطين وعروبتها ، فكان لهم من ذلك مشغلة يوم او أيام

ودارت العجلة كما تدور عجلة الروليت فى حلبات الرهان ، فاذا بالعقرب يقف عند طوائف الامة طائفة طائفة ، كل يشكو همه ، ويرفع عقيرته ببلواه . وكأنما كان صراخ فئة استيقظت ، يقع فى سمع فئة نائمة فيملؤه ، فتستيقظ هى الاخرى لتصرخ وتصيح . ففئة القضاء تشكو وتنذر ، ثم فئة البوليس تشكو وتنذر ، ثم المعلمون الاحرار يضربون وبالمدارس يعتصمون . ثم معيدو الجامعة والاساتذة ، ثم المهندسون . صرخات يلاحق بعضها بعضا . وتنصت أنت لتسمع من بين الضجة والحجاج ما الهدف ، فتعلم ان الهدف لأكثر الطوائف كدر القضاء . ولكن القضاء ورجاله غير راضين ، وهم كذلك بالاضراب ينذرون . فتقوم الفئة البصيرة الحذرة من تلك الفئات فتطلب لنفسها محاسن كدر القضاء ، ما كان منه بالامس ، وما يكون منه اليوم ، وما سيكون له فى الغد

القريب والبعيد . انها تريد دائما ان ترتبط عربتها بقطار الفضاء ، لانه قطار علمتهم التجارب ان سرعته دائما فى ازدياد ، ففيها ما يسميه العلماء « عجلة » . وهو قطار قليل التوقف فى المحطات ، وهو بين المحطة الكبيرة واختها الكبيرة ينهب الارض نهبا

ولهذا التصايح والتصارخ علتان ، علة دخيلة وعلة أصيلة

محاباة

اما العلة الدخيلة فالمحاباة . وقد كنا عرفنا من المحاباة محاباة ذوى القربى . وعرفنا منها محاباة ذوي المبدأ الواحد واللون الواحد والعقيدة الواحدة ، محاباة الاحزاب . وفى السنوات الحديثة عرفنا نوعا جديدا من المحاباة ، هو محاباة الطوائف والفئات. وقد يكون من خير مصر ، أو من بلواها ، أن يكون المسيطر على الحكم فيها فى كل مصر ، رجال قانون . وقد يكون من خير مصر او من بلواها أن يكون المسيطر على أحزابها فى كل حزب ، رجال قانون . ولكن ليس من المصادفة البحتة أن يكون الكدر الذى تتخذه الطوائف هدفا لها ، ونبراسا ، هو كدر رجال القانون

ورجال الطب ميزوهم ، وابتدعوا للتمييز صنوفا من القول زاد بها قاموس اللغة كلمات ، فمن بدل عدوى ، الى بدل تفرغ ، الى بدل عيادة ، وما كنا عرفنا من قبل أن الاطباء كانوا يتساقطون جميعا من عدوى ، أو أنهم فيما بعد أغلقت لكثير منهم عيادة . والصيادلة جاءهم الخبر الذى نحبه لهم ، كما نحبه للأطباء ، وجاءهم لأنهم يصنعون العقاقير ، ويخلطون الادوية التى بدونها لا يكون طب ولا يكون شفاء

وقام المهندسون يطلبون «بدلا» كالذى اعطى للأطباء ، وكالذى تفرج به الصيادلة من ضيق . وحق لهم أن يطلبوا. والمهندسون قوم لهم فى الدولة جاه غير منقوص ، وعمل غير زرى ، ولو أنهم دون الآخرين فى رأى الدولة عملا وجاها. وفتشوا لهم عن «بدل». ولما لم يكن ليجوز أن يكون بدل عدوى أو بدل عيادة ، اذن فليكن بدل تفتيش، او لعله بدل لياقة ، أو بدل ظهور بالمظهر الحسن أو لا أدرى ماذا . انه « بدل » وكفى

والمحاباة ، ولو جاءت بعدل ، ولو رفعت مظلمة واحلت محلها نصفة ، مرذولة مذمومة . لأنك لا يمكن أن تحابى الا الاقل، وتحابيه على حساب الاكثر. وحتى الاقل المحابى ، تقوم بين فئاته منافسة تجعل المطالبة بالمنح مزايدة لا تقف عند حد . ومن لم يجد من هذه الفئات الوسيلة الى قلب الحاكم سلما ، وجدها حربا . وعندئذ يقر فى أنفس الناس ، وهم كثيرون ، ان المطالب سبيلها الحرب . وعندئذ يتغنون فى أمور بلادهم الداخلية ، بمثل ما تغنوا به فى أمور بلادهم الخارجية :

وما نيل المطالب بالتمنى
ولكن يؤخذ « الكدر» غلابا

وعندئذ يتحزب من لم يكن ذا حزب ، ويتنقب من لم يكن ذا نقابة ، ويجالد ويحارب من لم يكن ذا حرب وجلاد ، ويستطير الشر وتعم الفوضى ، ولا يكون لها عندئذ من ضابط. وتبقى الاكثرية الكبرى من أهل البلاد ، حراث الارض وباذروها والشاقون فيها، تبقى هي الفئة المغلوبة ، لأنها بحكم تفرقها لا تستطيع التجمع . وتبقى الى جانبها ، من أمثالها وأشباهها ، فئات وفئات . وقد كان أولى بالفئات القليلة ، التى طالبت بالعدل لنفسها ، وفى مزايدة غيرها ، ان تقول ماقالت البدوية للخليفة : « اما عدلا شاملا ، والا وسعني ما يسع قومي» . أو تنشد مثل ما أنشد الشاعر :

فلا هطلت على ولا بأرضى
سحائب ليس تنتظم البلادا

غلاء

فهذه هى العلة الدخيلة فى هذا التصايح والتصارخ . اما العلة الاصيلة فالغلاء . ونحن اذا نظرنا الى هذه المطالب ، ما نيل منها محاباة وما نيل غصبا ، وما هو فى سبيل النيل ، لم نجد فى شيء منها تجنيا . فكلها مطالب فئات من موظفين ممن يصفهم الافرنج بالفئات ذوى الياقات البيضاء . وهى فئات لم تزد أجورهم فى هذه السنوات القاسية شيئا يقارن بما زاد فى تكاليف العيش الغلاء. وكان علاج الامر من أوله ، فى هذه الحرب ، بمثل ما عولج به أخوه فى الحرب الماضية ، بزيادة الاجور كلها ، ولكل الفئات ، زيادة واحدة . ولكن رجلا واحدا أخطاه التوفيق أول الامر ، تبعه من بعد رجال ، وتبعوه على الضلال ، ظنوا أنهم يتصيدون عطف الطوائف طائفة طائفة ، فما رضيت عنهم آخر الامر طائفة

ولم يبق بد الا التسوية بين الطوائف ، فكدر واحد ونظام لزيادة الاجور واحد . فان صاحت طائفة تريد برغم ذلك أن تتميز ، سدوا أفواهها طينا

ولكن هذا ان أدى الى تضخم النقد، لم يفد منه احد الا السخط وزيادة الاحساس بالخيبة ، لهذا وجب على الحكومة ، الى جانب اجابة المطالب، ان تتدخل فتضبط الاسعار وتتحكم فى الغلاء ، لا اعتسافا ، ولكن دخولا الى الشيء من بابه . فتفعل بالاسعار والسلع ما فعلت انجلترا ، فهى من الضرائب التي تجنيها من الاغنياء تدعم الاسواق بأربعمائة مليون جنيه، تحفظ بها مستوى الاسعار عند الحد الذى يطيقه الفقير ويرضاه الغنى

رضاء واسترضاء

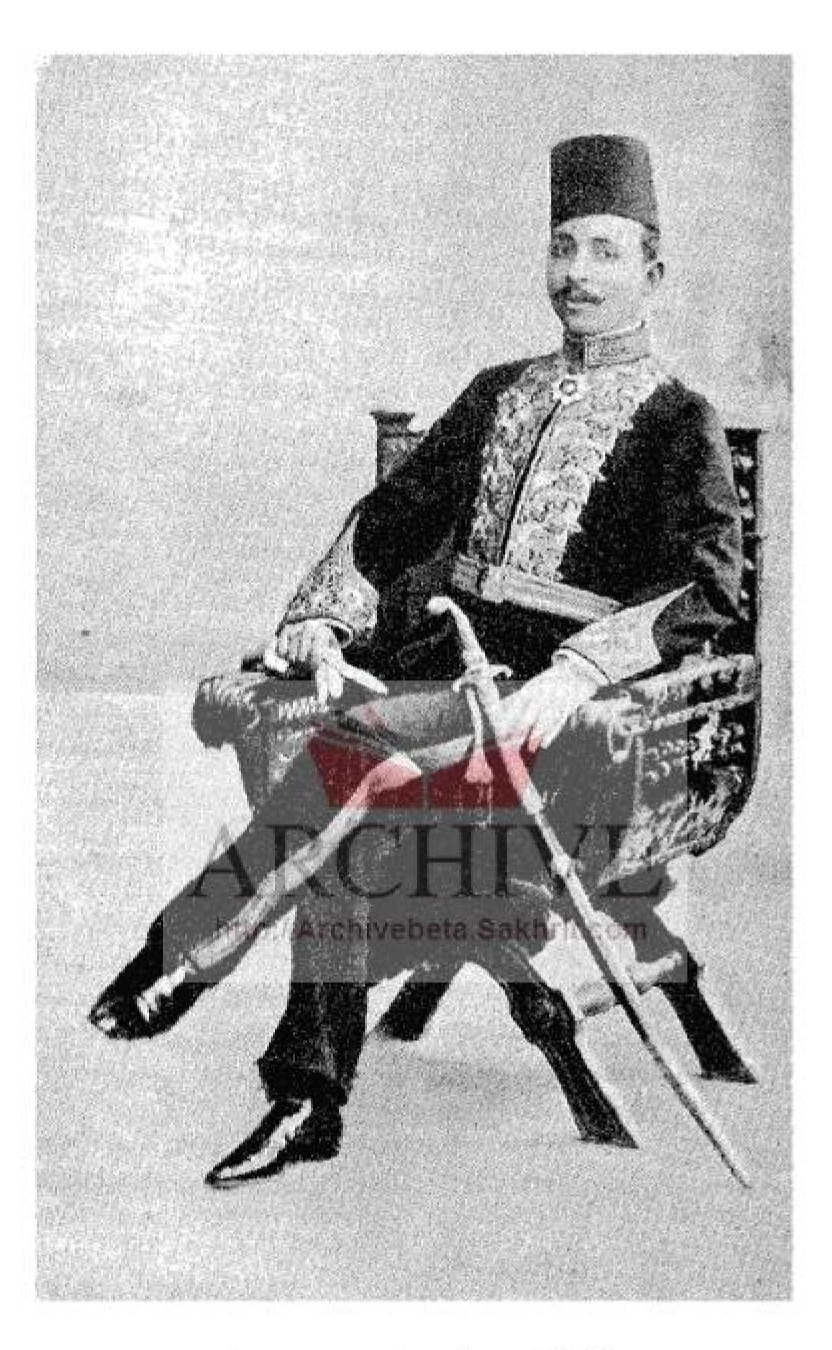
ان القلق كالوباء ذو عدوى وهو يعدي كما يعدى الضحك وكما يعدى البكاء . والنائحات ينحن فينوح معهن ذو شجو حديث وذو شجو قديم . والقلق البادى ان عم مكانا ، واستطال زمنا ، فى الخصومة

الحاضرة لهذا العالم الذى انشق شقين ، وفى تحزب الامم الحاضر من اجل المبـــادىء حزبين ، لم يلبث أن يخرج عن كونه غضب فئة وفئات ، الى أن يكون غضب الجمهور كله على نظم الحياة التى استقرت فى مصر والعالم طويلا . والغاضب قد يتلمس من المعاذير اقربها واكذبها . والصارخ الذى يستصرخ فلا يستصرخ ، قد يحرق البيت على من فيه . وهو قد يعلم ما قد يكون له من بعد ذلك فيه ، ولكنها القولة القديمة العتيقة يقولها مع من قال : «على وعلى اعدائى يارب »

لهذا وجب لفئـــات الامة ، متعلمة وجاهلة ، لها صلة بالحكام او غير ذات صلة ، وجدت قوتها فى اعدادها الكثيرة او وجدت ضعفها فى اعدادها القليلة .. وجب لهذه الفئـات الكثيرة أن ترضى وتســترضى . وان ترضى وتسترضى لا بالتعلات المؤقتة التى تستغوى رجل الحزب ليبقى اثرهـا ما بقى فى الحكم حزبه ، ولتورث من يلى من الاحـــزاب العنت ، وتورث الامة ، وهـذه الفئات منها ، من بعد ذلك الخراب ، ولكن أن ترضى وتسترضى بالشىء الدائم النـــافع الذى يعم الامة نفعه ، ويكون فى طوقها ، بعـد أن ينزل القادر عن بعض ما يقدر لغير القادر ، وبعد أن يدفع ذوو الجيوب الثقيلة ، بحكم القانون ، لابحكم الاحســـان ، وعن طريق الضرائب ، مما اعطاهم الله لذوى الجيوب الخفيفة التى خفت حتى لعبت بها الريح وشالت بها لفراغها النسائم

ان هذه الامة ، وهى فى مفترق الامم ، وهى وصــــلة الشرق بالغرب ، لن تحيا فيها اشتراكية متطرفة ، ولكنها كذلك لن تحيا فيها ارستقراطية غالية غاشمة . ووددت لو درى الارستقراطيون جميعا هـذا ، فلم يقفوا مواقفهم الحاضرة التى هى اقرب الى مناصرة اليسار من مناصرة اليمين ، والتى بها يتعجلون اليـوم الذى يقضى عليهم فيه

ان شد الحبل ، ومداومة شده ، لاينتهى الا بالقطـع . ولقد كاد المثرون ، بوقوفهم فى ســـبيل الاصـلاحات الاجتماعيـة ، أن يقطعوا الحبل . والحبـل المقطوع يغرى بالشنق . فارخوا الحبال ولا تقطعوها يامن اعطاكم الله من فضـلـه ، واعطتكم المصـادفات الكثيرة والكفايات القليلة . وارخوا الحبال ولا تقطعوها يا من اعطاكم الله الكفايات ، واعطوا من بعض فضل الله عليكم من لم يعطه الله كفاية . فبالارخاء تستريحون وتريحون ، وتستريح اعصـــاب اقوام يكون لها من ارخائكم بعض استرخاء ، ويكون لهم فى الحياة بعض رخاء



« مصطفى كامل . . الزعيم الذى فقدناه قبل الأوان »

ما أندر الأبطال الذين يعيشون متمسكين بمبادئهم . لا يلينون لمغريات المناصب . ولا يذعنون لشهوات النفس ، ولا يخضعون لمطالب العيش !

مصطفى كامل فى سنة ١٩٤٨

بقلم
فكرى أباظة بك

خيال طريف

خيال طريف ذلك الذى تخيله زميلى العزيز محرر « الهلال » فطلب الى ان اصبه فى حقيقة ، وان أجسمه فى واقع ، وان اصوغه فى ملموس ومحسوس افترض زميلى محرر « الهلال » ان « مصطفى كامل » حى يرزق فى سنة ١٩٤٨ ، فماذا يكون حاله ؟ وماذا يكون حال الوطن ؟

حبذا

حبذا لو ان هذا كان ويكون .. اذن لما كان ما كان ، وما كان ما سيكون وسوف يكون ..!

شعلة النار !

كان مصطفى كامل « شعلة نار » .. فلم يكن وطنيا مصريا ، ولا سياسيا مصريا ، يؤمن بالمواقف السلبية ، ولا برخاوة الكفاح والجهاد ، ولا بنظرية « الانتظار » حتى يقرر القدر ما يشاء ان يقرر ...

ولم يكن « زعيما » حزبيا ، يؤمن بمبدأ المساومة مع الدخيل المعتدى الاثيم . وما كان زعيما ، يؤمن بانصاف الحلول وارباعها . وما كان زعيما يؤمن باحناء الراس أمام اية مشيئة الا مشيئة الله ...

لم يكن من هؤلاء ولا اولئك .. وانما كان « شعلة نار » ، يؤمن بالثورة ويعد لها العدة من بترول ، وهشيم ، ووقود ، وفتيل .. معتمدا على أن يستغل كل ثانية ، ودقيقة ، وساعة ، من حياته فى سبيل اثارة الشعور ، واذكاء الحواس ، وتحريك الدم والاعصاب .. لا فى داخل الوطن وحده ، وانما فى الخارج وفى كل مكان ...

لم يكن زعيما « محليا » يحبس نفسه وجهوده داخل الحدود ، وانما يقتحمها ويشق طريقه برا وبحرا الى الدنيا الواسعة ، فيثيرها على الانجليز حربا شعواء لاهوادة فيها ولا لين .. فتلفحهم نار الحرب من كل جانب ، فهى مشبوبة على صفحات الجرائد العالمية ، وهى مستعرة على منابر أوربا ، وهى متوقدة فى المؤتمرات المختلفة فى عواصم الدول ، وهى

متطايرة الشرر ، حتى فى بلادهم بالذات !

ولم يكن مصطفى كامل «لاظوغليا»يؤمن بأن القابض على زمام الحكم يستطيع أن يحمل لواء الكفاح والجهاد من اجل وطنه التعس ! بل كان يعلم أن «الحكم» مقبرة الزعماء ، فلم يشأ أن يدفن نفسه ، وان يدفن وطنه معه ..

اربعون عاما اخرى

اكان من المعقول .. وتلك حيوية مصطفى كامل ، وروحه ، وثوره، وناره ، أن يحدث ما حدث فى هذه الفترة الطويلة من عمر هذه الامة ، وقد مد الله فى عمره حتى سنة ١٩٤٨ ؟ !

مستحيل !

مستحيل استحالة قاطعة أن يحدث ما حدث من الاحداث ومصطفى كامل حى يرزق :

ـ فلا كانت انجلترا تستطيع أن تعلن الحماية فى سنة ١٩١٤ ، وأن تجند مليونا ونصفا من ابناء الوطن .. تلتهمهم الصحراء بقرها وقيظها ، فيذهبون طعمة وضحية للنصر الامبراطورى من غير مقابل ...

ـ ولا كان من الممكن أن يسمح مصطفى كامل بمهزلة « ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ » فيسلم الزعماء الثلاثة بمبدأ « الحكم الذاتى » ، وبمبدأ جعل « قناة السويس » شريانا من شرايين الامبراطورية البريطانية

ـ ولا كان من الممكن أن تنتهى الثورة المصرية بما انتهت اليه من تصريح « ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ » ، ولا بما انتهت اليه من طردنا من السودان ، ولا بما انتهت اليه من مفاوضات سقيمة عليلة موبوءة ، ضيعت من عمر هذا البلد ربع قرن بأكمله !..

ـ ولا كان من الممكن ان تعقد المعاهدة الاثيمة فى سنة ١٩٣٦ !

انما كان

انما كان الذى يحدث فى مدى هذه الاربعين عاما ، ثورة بل ثورات متتابعة متلاحقة ، وكتلة متراصة من أحزاب البلد واقطابها فى قلعة واحدة حصن واحد ، تقاوم الاحتلال فى كل خطوة ولا تناصره فى أية حرب من الحروب الدولية . وأربعون عاما فى تاريخ الشعوب المؤمنة بالكفاح وبالجهاد وبالثورة ، ليست بالمدى الهين الذى لا تحقق فيه المطالب ولا تؤخذ اغتصابا وغلابا !

ضيعنا هذا العمر الطويل فى سياسة مستسلمة تارة، ومترددة جبانة تارة أخرى ، ومتسكعة بطيئة حينا ، وقانعة بالقليل أحيانا ... ولو أن هذه الاربعين عاما كانت كفاحا على طول الخط من اجل الوطن لامن أجل «الحكم»، لدقت ساعة الحرية، ولدق ناقوس الاستقلال الكامل من زمن !

❋

كلكم تقرأون التاريخ ...

بالله عليكم قولوا .. فى اية صفحة من صحف التاريخ اقتنصت امة من الامم حريتها واستقلالها بالكلام ؟! فى اية صفحة

من صحف التاريخ استردت امة من الامم حقوقها بالمفاوضة؟ في اية صفحة من صحف التاريخ انتزعت امة من الامم سيادتها بالتقاضي وبالتحكيم ؟ لن تجدوا هذا في التاريخ ، وانما تجدون ما يأتي :

ثورة — دماء — اشلاء — ضحايا — سجون — منفى — حتى يجزى الله المجاهدين خير الجزاء . كان مصطفى كامل يعلم هذا ، ولو عاش لحقق لوطنه ما حققه المجاهدون لاوطانهم في ايرلندا — وبولونيا — وتشيكوسلوفاكيا — والبلقان — وتركيا — من استقلال وحرية ، بالسيف لا بالحنجرة ! وبالرصاص لا باللسان ! وبالقنبلة لا بالمفاوضة ! وبالمدفع لا بالتقاضي !

*

لو عاش مصطفى كامل ما اتجه الحكم في هذا البلد اتجاه الاستغلال والايثار والمجد الشخصي ، ولا استفاضت الاحقاد والضغائن والحزازات ، ولا التوى الزعماء هذا الالتواء فذبح بعضهم البعض الآخر ، او انتحروا ، او حطموا ثقة الناس فيهم ، او ضيعوا عليهم وعلى اوطانهم قداسة احترام الزعامة وتقديس الزعامة ..

لم يكن « مصطفى كامل » — لو عاش — ليشغل نفسه بغير التفرغ للجهاد العملي الايجابي ، فلا يعمل على هامش السياسة ، ولا يحترف مهنة اخرى .. بل لظل الجوال الصوال ، الرائح الغادي ، المرتحل المقيم ، اللفاف الدوار ، من اجل البلاد !..

لو عاش مصطفى كامل في سنة ١٩٤٨ ، ما كانت سنة ١٩٤٨ هكذا . وما كان هذا الركود ، وهذا الجمود ، وهذا التمزيق ، وهذا الاضطراب في الاخلاق والماديات ، وما كان هذا الفقر والجهل والمرض والضيق . فاقرأ تاريخه .. تعلم كم عمل للشعب ، وكم انشأ من مدارس للشعب ، وكم كافح من اجل الطبقات الفقيرة ، وكم فنى من اجل مواطنيه الصغار ..

غزا مصطفى كامل غزواته ، وافتتح فتوحاته ، واحرز انتصاراته في ظرف سبع سنوات . فجعل من البلد كله حزبا واحدا ! وجعل من اوربا كلها معسكرا واحدا ضد الانجليز ! واثار الثائرة في حادث دنشواي وطرد عميد الاحتلال ! والقى مئات الخطب ، واستخدم مئات الجرائد الاوربية ، وعقد المؤتمرات ، واسس المدارس ، واصدر الصحف ، وجند كبار المصريين في صف واحد .. كل هذا في بضع سنوات ، فلو عاش الى سنة ١٩٤٨ لتضاعف هذا الانتاج ستة اضعاف .. فتصور المحصول الوطني الضخم ، لتترحم معي عليه ، وقد فقدناه قبل الاوان ، وتحس معي اننا لم نعوضه حتى الآن !!

سياسته خارج الحدود

انتهينا من الاوضاع الداخلية والوطنية التي نتوقع ان الزعيم الاول كان ينفذها لو عاش ..

بقي ان نستعرض خططه وبرامجه « خارج الحدود » ..

كان « مصطفى كامل » دائب الاتصال بالعالم الشرقي ، والاسلامي بنوع خاص . وكان يتعقب الحركات الاستقلالية في الهند وغيرها ، وكان صديقا وطيد العلاقة بأقطاب وساسة العالم الشرقي والاسلامي. ولم يكن من الذين يقنعون بالكلام ، وانما كان يعمل خارج الحدود ويتصل بزملائه من المجاهدين ، ويرسم معهم الخطط ، لا لمصر وحدها ، وانما للشعوب المهضومة الحق ، الواقعة تحت نير الاستعمار ..

لذلك كان من المتوقع أن ينفذ برنامجه « خارج الحدود » في انشاء « كتلة » عربية اسلامية ، تواجه مطامع الدول الكبرى وتحد من نفوذها وسيطرتها على السياسة القومية الوطنية في الشرق الادنى والاوسط ...

ويجب أن يلاحظ القراء الذين درسوا تاريخ مصطفى كامل انه كان يعنى بالافق السياسي الخارجي ، وينتهز كل فرصة لاستغلاله والافادة من حوادثه واحداثه . وهذا هو النقص الملموس المحسوس في ساستنا وزعمائنا المعاصرين . فهم « زعماء محليون » لا يمتد بصرهم الى خارج حدود بلادهم . ولم يستطع احدهم أن يربح أصدقاء أو أنصارا من ساسة الخارج . ولا شك في ان هذه خسارة كبرى ، يضاف اليها أن زعماءنا المعاصرين جامدون لا يتحركون ولا يرحلون ، بعكس ساسة وزعماء سوريا ـ والعراق ـ ولبنان .. فهم كثيرو التجوال والاتصال ، وقد أدوا لاوطانهم خدمات كبرى بسبب هذه « الحركة الدائمة » في المجامع السياسية الخارجية . ولا شك أن « مصطفى كامل » كان المثل الاعلى الذي يحتذى به في هذا الباب ...

فلو أنه عاش ، لعمل على أن يتسع اختصاص « الجامعة العربية » ، وعلى أن يشمل أمما اخرى تكون جبهة خطيرة تحسب لها أوربا وأمريكا ألف حساب

مصطفى كامل الصحفي

ولا اود أن أختم هذا البحث ، قبل أن أبرز الدور الذي لعبه « مصطفى كامل الصحفي » . فقد كان بلا شك مؤسس دستور الصحافة الوطنية التي خلبت لب الجماهير . ويدهشك أن تعلم أنه ما من حزب مصري فكر في مدى أربعين عاما بعد وفاته ، في اصدار جريدة انكليزية وفرنسية كما فعل ، لخدمة الدعاية في الاوساط الاجنبية ...

فلو أنه عاش لتضاعفت جهوده الصحفية في مدى الاربعين عاما ، ولسد النقص الملموس الذي يعترف به الجميع في ميدان الدعاية ...

هذا ما كنت اتوقعه لو صح الخيال

فليته ما مات .. وليته عاش !

فكري أباظة

تعلمت من مصطفى كامل

بقلم عبد الرحمن الرافعي بك

تعلمت الوطنية من الزعيم العظيم «مصطفى كامل». اتصلت به منذ سنة ١٩٠٦، اذ كنت طالبا بمدرسة الحقوق. وقبل ذلك، اثناء دراستي بمدرسة راس التين الثانوية بالاسكندرية، كنت اقرأ جريدة « اللواء ».

فمنذ سنة ١٩٠٤ كنت اذهب كل اسبوع مرة الى قهوة مشهورة — وقتئذ — بحى رأس التين تسمى قهوة «الحاج احمد» تجاه سراى محسن باشا. وكان صاحبها يحضر لنا بعض الصحف ومنها « اللواء » التى كان يصدرها الزعيم مصطفى كامل. ولم تكن فى ذهنى صورة واضحة عنه، لانى كنت فى الخامسة عشرة من عمرى. ولم اكن رأيته ولا سمعته.. فلما ذهبت الى القاهرة والتحقت بمدرسة الحقوق فى اكتوبر سنة ١٩٠٤ بعد اتمام دراستي الثانوية، اخذت اتردد انا ولفيف من اخوانى الطلبة على قهوة تسمى « قهوة الحقوق » بشارع عابدين، على ناصية شارع الصنافيرى (على باشا ذو الفقار الآن) تجاه مدرسة الحقوق حينذاك (ثكنات الحرس الملكي الآن) وبدات اقرأ « اللواء » قراءة فهم وادراك، فكانت تعجبنى مقالات الزعيم وروحه

ولما اضرب طلبة الحقوق فى فبراير سنة ١٩٠٦ — وكنت من المضربين — تاقت نفسي الى رؤية مصطفى كامل، وكان « اللواء » يناصر الطلبة فى مطالبهم، اذ كان اضرابهم احتجاجا على نظام فرضه علينا الاحتلال.

> « رحم الله مصطفى كامل .. زعيم الوطنية، وباعثها، ومعلم الأمة معانيها ومبادئها »

فذهبت مع كثير من زملائى الطلبة الى دار اللواء. ورأيته الزعيم لاول مرة، وقابلته وسمعت حديثه.. فشعرت بتأثيره الروحانى ينفذ الى اعماق قلبى. ومنذ ذلك الحين اتخذته اماما لى فى الوطنية، وصار بمثابة ابى الروحى فى المبادىء والمثل العليا. واكثرت من التردد على دار اللواء كى اقابله واراه واستزيد من سماع صوته. فكان يفيض علينا بالاحاديث التى غرست فى نفوسنا ونفوس الجيل مبادىء الوطنية الصادقة. كان يهش لنا ويعطف علينا عطف الاستاذ على

تلاميذه . وسمعت خطبه بعد ذلك .. فزادت تعاليمه فى نفسى رسوخا وتوكيدا

ولعله رحمه الله قد توسم فى أن اكون من تلاميذه الحافظين لعهده. فعرض على فى سنة ١٩٠٧ - وكنت لا أزال طالبا بالحقوق - أن يوفدنى فى بعثة صحفية الى باريس للتخصص فى الصحافة بعد حصولى على اجازة الحقوق. فقبلت هذه الثقة شاكرا ، ولكن المنية عاجلته يوم ١٠ فبراير سنة ١٩٠٨، قبل تخرجي فى المدرسة. فطبعت وفاته فى نفسى مبادئه وتعاليمه ، وصارت عقيدتي الوطنية . والى هذه الصلة الروحية اشرت فى كتابى عن « مصطفى كامل » سنة ١٩٣٩ ، اذ اهديت الكتاب الى روحه ، وقلت فى كلمة الاهداء : « الى من كانت حياته للامة بعثا وطنيا. من كان لى أبا روحيا . وسابقى له تلميذا وفيا . من علمنى ان الحياة بغير المثل العليا عرض زائل، وعبث ضائع . الى مصطفى كامل أهدى كتاب « مصطفى كامل » ، هدية الوفاء الى روحه العظيمة »

*

تعلمت من مصطفى كامل ان « لا معنى للحياة مع اليأس ، ولا معنى لليأس مع الحياة »

تعلمت منه أن الجلاء هو الرمز الصحيح للاستقلال الصحيح ، وان الاستقلال والاحتلال، ضدان لا يجتمعان ، وان « كل احتلال اجنبى هو عار على الوطن وبنيه»

تعلمت منه أن مصر والسودان جزءان لا ينفصلان من وحدة سياسية واقتصادية لا تقبل التجزئة ، وان لا استقلال ولا أمن لكليهما اذا احتلت احدهما دولة أجنبية . وان ارتباط مصر والسودان ضرورة حيوية لهما وبخاصة لمصر، لان مصر هى النيل وهى تستمد منه حياتها ، فلا طمانينة على حياتها واستقلالها اذا سيطرت دولة أخرى على السودان

تعلمت هذه الحقائق من مصطفى كامل .. ولا ازال اذكر ما قاله فى خطبة له بلندن سنة ١٩٠٦ : « لكى يدرك الانسان اسباب تالم المصريين من الاحتلال الانجليزى ، يجب عليه أن يتذكر ان السياسة البريطانية نزعت منا السودان ظلما .. وهو روح وطننا » وقوله فيها : « ان فؤاد كل مصرى ليمتلىء حزنا وأسى ، عندما يفكر فى هذا الجزء من وادى النيل ، المحكوم على حدة ، المسلوب من مصر ، السائدة فيه انجلترا »

تعلمت منه ان « الامل دليل الحياة ورائد الحرية » و « ان مصر جديرة بأن تحب بكل قوة ، بكل عاطفة ، بكل جارحة ، بكل نفس، بكل حياة » و « ان قيام كل رجل حى الشعور شريف الميول بواجباته نحو هذه البلاد العزيزة، يرد اليها حريتها ومجدها وعزها» وان « الحياة جهاد والعمر قصير. وخير الناس من جاهد فى سبيل

بلاده ، وعمل لخيرها ، وناصل عن حقوقها »

تعلمت منه « ان سلاسل الاستعباد هي سلاسل على كل حال ، سواء أكانت من ذهب أم من حديد »

*

واخيرا تعلمت منه أن نعد أنفسنا لجهاد طويل ، لا تراجع فيه ولا هوادة . وانطبع في نفسي ما أوصانا به في خطبته بالاسكندرية سنة ١٩٠٧ ، اذ قال : « اننا لا نعمل لانفسنا بل نعمل لوطننا . وهو باق ونحن زائلون . وما قيمة السنين والايام في حياة مصر ، وهي التي شهدت مولد الامم كلها وابتكرت المدنية والحضارة للنوع الانساني كله . ان العامل الواثق من النجاح يرى النجاح أمامه كانه امر واقع ، ونحن نرى من الآن هذا الاستقلال المصري ونبتهج به وندعو اليه ، كانه حقيقة ثابتة . وسيكون كذلك لا محالة . فمهما تعددت الليالي وتعاقبت الايام ، واتى بعد الشروق شروق ، واعقب الغروب غروب ، فاننا لا نمل ولا نقف في الطريق ، ولا نقول أبدا : لقد طال الانتظار »

رحم الله مصطفى كامل . زعيم الوطنية وباعثها . ومعلم الامة معانيها ومبادئها

عبد الرحمن الرافعي

من كلمات مصطفى كامل

ـ لا معنى للحياة مع اليأس ، ولا معنى لليأس مع الحياة .. بلادي بلادي ، لك حبي وفؤادي ، لك حياتي ووجودي ، لك دمي ونفسي ، لك عقلي ولساني ، لك لبي وجناني ، فانت انت الحياة . ولا حياة الا بك يا مصر

ـ ان العامل الواثق من النجاح يرى النجاح أمامه كانه امر واقع . ونحن نرى من الآن هذا الاستقلال المصري ، ونبتهج به وندعو له كانه حقيقة ثابتة ، وسيكون كذلك لا محالة

ـ ليست الحرية بعزيزة على قوم يعملون للحصول عليها ، ويجتهدون في نيلها ، وليس بعزيز على المصريين ان يفكوا قيود بلادهم ، ويعيدوا اليها استقلالها ومجدها ، فالصخرة الضخمة تذوب وتتفتت بسقوط المياه عليها نقطة بعد نقطة

ان من يتسامح في حقوق بلاده ، ولو مرة واحدة ، يبقى ابد الدهر مزعزع العقيدة سقيم الوجدان

مصطفى كامل فى سطور ..

● ولد مصطفى كامل بمدينة القاهرة يوم ١٤ اغسطس سنة ١٨٧٤ م (اول رجب سنة ١٢٩١ هـ) . وكان والده على افندى محمد من خيار الضباط فى عهد محمد على ، وعباس الاول ، وسعيد باشا ، والخديو اسماعيل . وهو من بلدة « كتامة الغاب » التابعة لمديرية طنطا . وقد توفى سنة ١٨٨٦ . ووالدته السيدة حفيظة كريمة اليوزباشى محمد فهمى . وقد توفيت قبل مصطفى كامل بعام واحد سنة ١٩٠٧

● بدأ مصطفى كامل يحفظ القرآن الكريم فى الخامسة من عمره ، وفى السادسة دخل مدرسة والدة عباس الاول الابتدائية ، ثم انتقل منها الى مدرسة السيدة زينب الابتدائية ، وحصل على الشهادة الابتدائية سنة ١٨٨٧

● دخل المدرسة الخديوية الثانوية ، وفيها نمت مواهبه من الشجاعة والجراة وقوة الذاكرة واستقلال الفكر

● نال شهادة الدراسة الثانوية (البكالوريا) سنة ١٨٩١ ودخل مدرسة الحقوق فى اكتوبر من تلك السنة . ونجح فى امتحان السنة الاولى ، ثم التحق بمدرسة الحقوق الفرنسية فى اكتوبر سنة ١٨٩٢ وجمع بين المدرستين وحصل على شهادة الحقوق من كلية تولوز فى نوفمبر سنة ١٨٩٤

● بدأ العمل والجهاد لحرية مصر فى سنة ١٨٩٠ ، وهو فى المدرسة الثانوية وعمره لا يزيد عن ١٦ سنة . وانشأ فى ذلك الحين جمعية ادبية وطنية سماها « جمعية الصليبة الادبية »

● فى سنة ١٨٩٣ انشأ مجلة « المدرسة » وهى مجلة وطنية ادبية شهرية ، واول مجلة مدرسية أصدرها طالب

● قيد اسمه فى جدول المحامين لكنه لم يحترف المحاماة امام المحاكم ، وانصرفت جهوده للمحاماة عن القضية الوطنية

● كانت سنة ١٨٩٥ من أهم سنى جهاده فى مرحلته الثانية ، فقد احتج فيها على استصدار اللورد كرومر مرسوما من الحكومة المصرية بانشاء (المحكمة المخصوصة) لمحاكمة الاهالى المتهمين بالاعتداء على جنود الاحتلال . وقد نشر احتجاجه فى الجرائد بعنوان(صواعق الاحتلال)

● تعرف فى تلك السنة الى كثيرين من الشخصيات الفرنسية



مصطفى كامل .. فى بعض مراحل حياته ، منذ أن كان طالباً فى المدرسة الخديوية حتى تخرج فى كلية الحقوق — وهو فى العشرين من عمره — ليتزعم حركة الجهاد فى سبيل مصر ، والدفاع عن القضية المصرية

البارزة ومنهم الكاتبة الكبيرة مدام جولييت آدم،وكانت ذات شهرة واسعة ونفوذ ادبي كبير في فرنسا

● في سنة١٨٩٦بعث خطابا الى جلادستون شيخ الاحرارفي‌انجلترا ورئيس وزرائها الاسبق يذكره بآرائه في الجلاء ، فرد عليه يقول : « اقر بأن زمن الجلاء عن مصر قد وافى منذ سنين »

● كان يسافر كل عام الى أوربا للدعاية للمسالة المصرية فيخطب في المحافل ، ويكتب في الصحف ، ويتصل بكبار الساسة .. وقد تردد على فرنسا والنمسا والمانيا وانجلترا لهذا الغرض

● في سنة ١٨٩٩ وقعت اتفاقية السودان بين انجلترا والحكومة المصرية ، فكانت صدمة مؤلمة للحركة الوطنية ، ونشر مصطفى كامل خطابا في جريدة الجولوا الفرنسية قال فيه : « ان اتفاقية السودان المزعومة قد جاءت برهانا على عدم مراعاة انجلترا للعهود والمؤتمرات، الشيء الذي يعتبره المصريون باطلا ... »

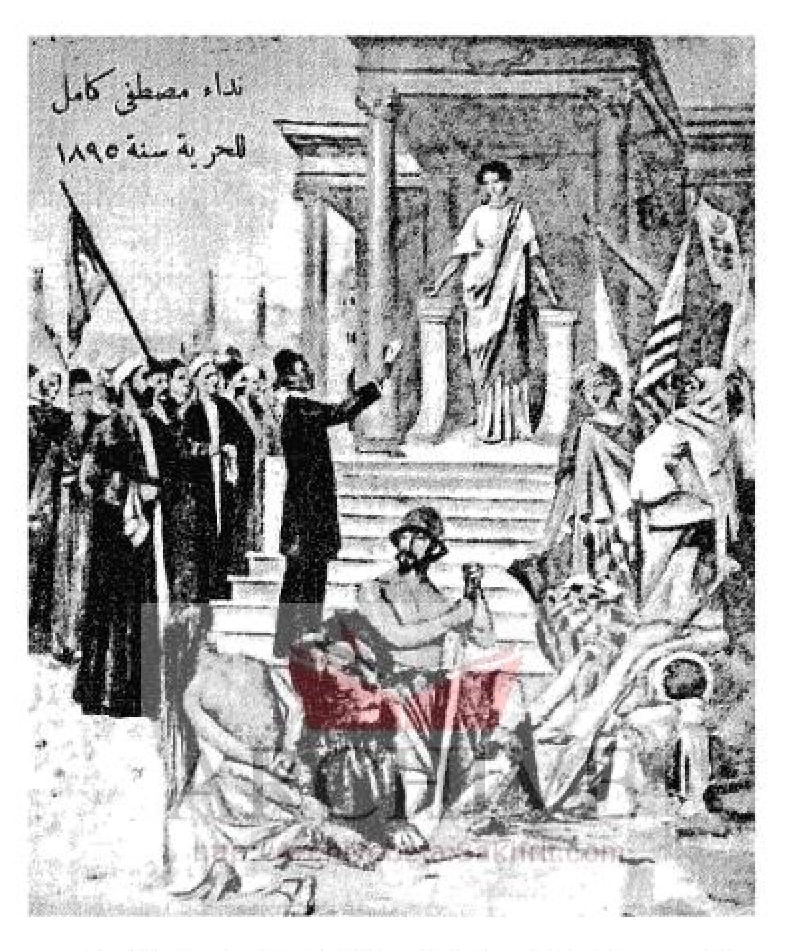
● اتجهت عزيمة مصطفى كامل الى حث الامة على نشر التعليم القومي في البلاد لكي تقوى الروح الوطنية في نفوس الجيل الجديد ، وأنشئت في مارس سنة ١٨٩٩ مدرسة مصطفى كامل بباب‌الشعرية

● في سنة ١٩٠٠ أصدر أول عدد من جريدته (اللواء) . وكان يكتب افتتاحيتها في‌اكثر الايام ، وممن كان يعاونه في تحرير صفحاتها محمد فريد بك ، واسماعيل صبري باشا ، واحمد شوقي بك ، واحمد نجيب ، وخليل مطران بك ، وعبد القادر حمزة ، وويصا واصف بك وغيرهم ، واصدر مجلة شهرية سماها (اللواء) ومجلة اسبوعية باسم (العالم الاسلامي)

● في ١٣ يونيه سنة١٩٠٦وقعت حادثة دنشواي،وهي من حوادث مصر التاريخيــة . وكان مصطفى كامل باشا وقتئذ في أوربا ، فما كادت تصله انباؤها حتى ثارت نفسه ، وكتب مقالة في جريدة الفيجارو الفرنسية بعنوان (الى الامة الانجليزية والعالم المتمدن) ابان فيها وحشية الاحتلال

● كان الحزب الوطني منذ أوائل جهاد مصطفى كامل موجودا كفكرة ، ولكنه حقق الفكرة وأسس الحزب في ديسمبر سنة ١٩٠٧ واتخذ الجلاء مبدأ له

● انهك الفقيد العظيم قواه حتى اعتلت صحته واصيب بمرض في امعائه ، واشتد المرض الى ان حم القضاء واسلم روحه الطاهرة في منتصف الساعة الخامسة من عصر يوم الاثنين ١٠ فبراير سنة ١٩٠٨ الموافق ٨ المحرم سنة ١٣٢٦ ، فقوبل نعيه بالحزن والحسرة من الجميع



ابتكر مصطفى كامل طريقة للدعاية للقضية المصرية. ذلك انه وضع نداء للحرية الممثلة لفرنسا فى ذلك الحين بهيئة لوحة رمزية سياسية قدمها لمجلس النواب الفرنسى تمثل مصر ترسف فى قيود الاحتلال ، وتستصرخ فرنسا لتعاونها على تحريرها ، وجعل فى ذيلها ثلاثة أبيات ، من نظمه ، كتبت بالعربيـة .. وكتبت الى جانبها ترجمتها بالفرنسية . وهى :

افرنسا يا من رفعت البلايا عن شعوب تهـزها ذكراك
انصرى مصر أن مصر بسـوء واحفظى النيل من مهاوى الهلاك
وانشرى فى الورى الحقائق حتى تجتلى الخير أمة تهواك

« ان كان لك ولد تحب أن تجعله رجلا . . فاجعل بين يديه حياة مصطفى كامل، ليتعلم منها الشجاعة والأقدام»
« المنفلوطى »

ندوة الهلال

الزعيم الشاب
مصطفى كامل

اسماعيل صدقى باشا
محمد على علوبة باشا
مصطفى الشوربجى بك
الأستاذ فتحى رضوان

فى حياة العظماء عبرة للشباب، واسوة حسنة للذين يطمحون الى المجد.. وفى حياة مصطفى كامل من سمو المبادئ وجليل الصفات ، ما يحفز الشبيبة الى تأثر خطواته. لذلك رأينا أن يكون موضوع الندوة فى هذا العدد، حياة هذا البطل العظيم الذى كرس نفسه وحياته لخدمة الوطن

افتتحت الندوة بالحديث عن الوعي القومي والروح الوطنية . .

علوبة باشا : فى كل بلد ناهض ينبغي توافر راي عام قوي ، تسير الحكومات المتتابعة على هديه . وعندي ان تثقيف العقول واثارة الاذهان بالعلم الصحيح ، خير وسيلة لتكوين هذا الراي وتدعيمه . . اما اذا كانت الامية فاشية ، عجز الشعب عن التفريق بين الغث والسمين والتمييز بين الصالح والضار . واصبح من اليسير انقياده للدعايات المغرضة والآراء الباطلة ، هذا الى ان الجهل ينهض اغراء للحكام والقادة ، باستغلال الشعب لمصالحهم الخاصة ، ومسايرة رغباته واهوائه ، بل والنزول الى مستواه ، فى سبيل الاحتفاظ بمناصب الحكم وكراسي الوزارة . فلا بد من تعليم الشعب ، كي تزدهر فى نفسه روح الوطنية الحقة ، فيسعى الى الحياة الحرة الكريمة من تلقاء نفسه

الشوربجي بك : اذاً . . فأنت تعتقد بضرورة البدء بالقضاء على الامية فى معركتنا ضد الفقر والجهل والمرض ؟

علوبة باشا : لا شك فى ذلك . . فالتعليم يقضى على الفقر ويمنع المرض ، ولست أعنى بالتعليم . . هذه الثقافة السطحية التى تضرم نار الزهو والكبرياء فى نفوس الشباب ، فتصور لهم ان الشهادة الجامعية هى سبيل العمل على المكاتب الفخمة ، والحصول على « الدرجات » التى تضمن لصاحبها العيش « الرغيد » فى المدن والعواصم . . بعيدا عن القرى التى يقطنها الفلاح « الجاهل» المسكين

الشوربجي بك : يبدو لي اننا لم نعن العناية الكافية بتنمية روح الكفاح والمغامرة والثقة بالنفس فى نفوس الشباب عندنا . كما اخفقنا

فى اعدادهم للحياة العملية .. ولعل القلق البادي الآن فى كثير من الطوائف دليل على هذا النقص

علوبة باشا : اليس من العار مثلا ، الا نجد فى الشرق من ابنائه من يستخرجون البترول بأنفسهم .. ان بيننا الوفا من المحامين والادباء والشعراء ، ولكننا نفتقر الى العدد الكافى من الشباب الكفء الطموح اللازم لنهضة الصناعة وازدهار التجارة ، حتى تزداد ثروتنا ويرتفع مستوى المعيشة عندنا

▭

ثم تطرق الحديث ــ بعد أن اكتمل عقد المساهمين فى الندوة ــ الى حياة مصطفى كامل ..

صدقى باشا : زاملت مصطفى كامل فى المدرسة فلمست فيه ذكاء متوقدا ، وعاشرته خارجها فاستشعرت حبه العميق لمصر .. حبا استحوذ على مشاعره فانساه كل شيء سواها . فحديثه الحبيب الى نفسه ، كان الحديث عن القضية المصرية . ونشيده الذي لا يفتأ يشدو به كلما اجتمع بمصري او اجنبي كان استقلال مصر . وأمله الذى كان يردده على مسامع اخوانه واصدقائه ، ان يستعيد المصريون مجدهم القديم . على أن ابرز صفاته كانت الشجاعة .. كان يغشى كل المجالس ، ويتقدم الصفوف فى كل المناسبات



الأستاذ فتحى رضوان ومصطفى الشوربجى بك .. أثناء الحديث فى ندوة الهلال



صدق باشا ـ إلى اليسار ـ يتحدث ، وعلوبة باشا ينصت

الاستاذ فتحي رضوان : ومن مظاهر جرأته النادرة في عهد الصبا ما روى عنه من أن الخديو توفيق زار المدرسة الخديوية مرة ـ وكان مصطفى كامل حينذاك طالبا بها ـ واتفق أن سأله عن اسمه فأجاب : « مصطفى » ، وذعر ضابط المدرسة الذي كان واقفا بجواره ، وأسر اليه ان يقول : «عبدك مصطفى» ، فلم يذعن لرغبة الضابط وسكت . ثم سأله الخديو : « ابن من أنت ؟ » فأجاب بالاسم مجردا مرة أخرى دون أن يذكر كلمة « عبدك » . وهكذا كان فريدا في شجاعته ، في المواقف التي تمتحن فيها رباطة الجأش وهدوء الخاطر

علوبة باشا : اذكر أنني كنت في السنة الاولى في المدرسة الخديوية ، حين كان مصطفى كامل في السنة الرابعة . وكان برغم صغر سنه كتلة وطنية مشتعلة ، وشخصية قوية جذابة .. وهبه الله نفسا كبيرة ، ولسانا فصيحا ، وقلبا جسوراً . وليس من ينكر أنه أفنى جسمه في جهاده وكفاحه في سبيل الوطن . كان مصطفى سراجا كبير الشعلة ، وكل سراج تكبر شعلته يفرغ زيته وشيكا. لذلك قضى وهو لا يزال في ريعان شبابه

الشوربجي بك : ومن أبرز صفات مصطفى كامل ايمانه برسالته وثقته من النجاح فيها ، كان ـ رحمه الله ـ يفكر فيقتنع ، فيصمم ،

فيمضي ، فلا ينثني حتى الموت . كان لايتردد ولايتراجع ولا يضعف ، طالما كان الحق فى جانبه . ان كثيرين يشاركون مصطفى فى جرائه وشجاعته .. ولكنهم لايستغلون هذه الهبة لخيرالوطن ، وانما لمصالحهم الشخصية . اما مصطفى .. فقد كرس جهوده وملكاته لخدمة مصر . ولن ننسى موقفه فى حادث دنشواي ونجاحه فى استصدار العفو عن بعض الابرياء الذين حكم عليهم ظلما بالسجن والاعدام

صدقي باشا : ولا ننسى انه نجح ايضا فى اجلاء « كرومر » عميد الاحتلال فى مصر

علوبة باشا : وكان مصطفى كامل يثق بكفاية الشعب ، فوثق به الشعب .. ومن ثم كانت الثقة المتبادلة بينهما

الشوربجي بك : ومن اهم مواقف مصطفى كامل ، موقفه بعد عقد الاتفاق الودي سنة ١٩٠٤ بين انجلترا وفرنسا .. ذلك الاتفاق الذي تعهدت فيه فرنسا برفع يدها عن المشكلة المصرية . فقد كان مصطفى يامل فى معاونة فرنسا لمصر فى قضيتها ضد انجلترا ، فجاء هذا الاتفاق مخيبا لامله . عند ذلك قام مصطفى كامل ونادى بأن هذا الاتفاق لن يكون له اى اثر فى الجهاد ، وان العزلة التى اوصلنا اليها ، تزيدنا قوة ونشاطا واملا . وفعلا قويت الحركة الوطنية أضعافا مضاعفة بعد هذا الاتفاق

□

وهنا انتقل الحديث الى مكانة مصطفى كامل ، وهل هو اول باعث للوطنية فى مصر ..

الاستاذ فتحي رضوان : لعل خير ما قيل فى تحديد مكانة مصطفى عبارة ذكرتها جريدة الديبا الفرنسية : « اذا كان محمد علي **هومؤسس** الجنسية المصرية المنفصلة عن الجنسية العثمانية ، فمصطفى كامل هومؤسس الوطنية المصرية » ، اي مؤسس الشعوربمصر وطنا مستقلا عن الدولة العثمانية

صدقي باشا : لم يكن مصطفى كامل اول باعث للحركة الوطنية .. لقد وجدت بذورها من قبل ، ولكنها نبتت وترعرعت فى عهده .. انه لم ينشئها ، ولكنه غذاها ونظمها

الشوربجي بك : كان شريف باشا اول زعيم حكومي ، وكان عرابي زعيما يجمع بين السلطة العسكرية والسيطرة على افئدة الشعب. اما مصطفى كامل فقد جاء بعد سبات عميق ، تلا خروجنا من السودان، وتلا الصدمات المتتابعة التى اصابتنا بعد ذلك الحين ، والتى ادت الى ضعف النزعة الوطنية والوعي القومي . فكان ظهوره من الشعب ، ومعتمدا على الشعب دون سواه ، مثلا أعلى فى الجراة والاقدام .. فحق له ان يعتبر أول زعيم شعبي بعث الروح الوطني واحياه

علوبة باشا : كان مصطفى كامل دون شك اول زعيم شعبي . وكان لا ينطق الا بكلمة الجلاء ، ولا نستطيع ان ننكر فضله في توحيد صفوف الشعب واجماعه على هذا المطلب . وها نحن الآن بعد اربعين عاما على وفاته ، ندرك السر في اصراره على الجلاء ورفضه لسياسة المفاوضات قبل ان يتحقق الجلاء

الاستاذ فتحي رضوان : الواقع ان عمر مكرم أول من يحق ان نسميه زعيم الحركة الوطنية المصرية .. فقد شهد عصرا مضطربا تسوده الاحداث العنيفة . ولم يكن الاحساس بالوطنية قد نضج نضوجا كافيا ، لا في الغرب ولا في الشرق. ومع ذلك فقد مثل القومية المصرية ، وأعان على وجود حكم مصري مستقل ثابت ، مستند الى أساس دستوري سليم . فقد بايع محمد على الكبير . ولكنه بالرغم من ضخامة الدور الذي لعبه ، فقد كان مكلفا بذلك بحكم منصبه الديني. وكذلك عرابي باشا. . لم يبدأ حركة وطنية بحتة ، وانما كانت حركته تتعلق بمسائل خاصة بمرتبات الجيش، وغيرها من المطالب العسكرية

صدقي باشا : هناك دافع وطني في الدور الذي لعبه عرابي .. فقد كان يشكو من التمييز بين المصريين والاتراك في الجيش المصري

الاستاذ فتحي رضوان : ولكنه جعل مطالبه مقصورة على أفراد الجيش . ان عرابي لم يكن كامل الوعي الوطني حين بدأ حركته . ولم يترجم الاحاسيس الوطنية التي كانت تخالجه ترجمة وطنية صحيحة ، الا بعد أن ادرك انه لا يستطيع أن يحقق مطالب الجيش الا اذا عممها ، فتضمنت مطالبه جميع أفراد الشعب

علوبة باشا : الم يطلب عرابي مجلسا للنواب ؟

الاستاذ فتحي رضوان : طلب ذلك في المرحلة الثانية من جهاده الوطني .. على أن عرابي يقول في كتاب له ، ان عريضته الاولى تضمنت طلب مجلس للنواب . ولكن الشيخ محمد عبده ومستر «بلنت» وغيرهما يؤكدون أن هذا المطلب لم يكن مذكورا .. وأنا أميل لهذا الراي

اما مصطفى كامل .. فقد كان مبكر النضوج اشبه بالرسول الذي تهيأ نفسه منذ ولادته لرسالة الحق التي وجد لها .. فكان صاحب تفكير سياسي وهو تلميذ في المدرسة الثانوية ، وصاحب تفكير سياسي وهو في كلية الحقوق . ولعل التاريخ لا يعرف نظيرا لمصطفى كامل ، يصدر مجلة وهو طالب ، يختار لها شعارا « حبك مدرستك .. حبك أهلك ووطنك »

صدقي باشا : كان لي شرف التحرير فيها

الاستاذ فتحي رضوان : وكان مصطفى كامل ــ وهو في مستهل شبابه ــ يتردد على ندوة لطيف باشا سليم ، وهذه الندوة كانت

الوعاء الذى احتوى الحركة الوطنية وهى جنين .. وكانت خلاصة دعوتها ، اننا فى حاجة الى لسان يدافع بالعربيـة فى مصر ، وباللغة الفرنسية فى الخارج .. فتشبع مصطفى كامل بآرائهم واخرجها الى حيز التنفيذ

علوبة باشا : ان جهود مصطفى كامل لم تقتصر على مصر وفرنسا .. وانما تعدتهما الى انجلترا نفسها ، فقد دافع عن مصر ضد انجلترا فى عقر دارهم .. فى لندن ذاتها

الشوربجي بك : ولذا اصدر ثلاث جرائد عربيـة وفرنسـية وانجليزية ، ومجلة العالم الاسـلامي . ذلك برغم مشاغله الوطنيـة ومهاجمته لانجلترا وللسياسى الداهية كرومر

صدقى باشا : وكانت انجلترا حينذاك اقوى دولة فى العالم

▭

ثم تفرع النقاش الى علاقة مصر بتركيا فى ذلك الحين وسياسـة مصطفى كامل بصددها ..

علوبة باشـا : احب ان اضيف ان مصطفى كامل لم يشـأ مهاجمة تركيا ، ولم ير ان تعلن انفصال مصر عنها. وكان رايه فى ذلك سديدا ، فان الاتصال بها كان فى الواقع رمزيا ، وكانت مصر مسـتقلة عنها استقلالا تاما .. فراى بثاقب فكره الا يتسبب فى تضافر الامم كلها ضده

صدقى باشا : انقسمت الامة فى ذلك الحين الى قسمين .. قسم يرى ما يراه مصطفى ، وقسم يرى ضرورة الانفصال حتى تصبح مصر ذات كيان قومى مستقل شكلا وموضوعا

الشوربجى بك : علاقتنا بتركيا فى ذلك الحين ، كانت تشبه علاقة السودان بنا .. ان انجلترا كانت تسعى الى قطع علاقة تركيا بمصر .. فحاولت شراء الجزية فلم تفلح ، وحاولت عبثا الضغط على تركيا كي تعلن استقلال مصر التام ، فيخلو لها الجو ويتم لها الامر فى مصر .. بعد ان تتملص من المعاهدات الدولية التى تربط مصر بتركيا ، وترغم انجلترا على احترام هذه الرابطة

▭

ترى لو كان مصطفى كامل بيننا اليوم ، فكيف كان يعالج القضية المصرية ؟ .. هذه هى النقطة الاخيرة التى تناولها الحديث

الاستاذ فتحى رضوان : سال صحفي امريكي مصطفى كامل قبل وفاته ، عن الوسائل التى يعتزم التذرع بها لتحقيق اهدافه. فاجاب . « نحن نعتمد فى الداخل على نشر التعليم واذكاء الروح الوطنية ، وفى الخارج على اغتنام الفرص الدولية التى تخدم قضيتنا »

صدقى باشا : الواقع ان سياسة مصطفى كامل كانت تتلخص فى هذين العنصرين

الشوربجى بك : وكان يستند دائما الى الامة

علوية باشا : لو بقي مصطفى كامل على تفكيره الاصلي الذي عهدناه فيه ، لاستمر زعيما شعبيا ولما قبل أن يتولى مناصب الحكم

الاستاذ فتحي رضوان : ولما قبل مبدأ المفاوضة مع الانجليز .. فالمفاوضة بلا استناد الى القوة ، تعني املاء من القوى للضعيف

صدقي باشا : ولماذا سافر اذن الى انجلترا ؟

الاستاذ فتحي رضوان : سافر مصطفى كامل الى لندن سنة ١٩٠٦ ليعرض القضية على الراي العام في بريطانيا ويجتذبه اليه ، ويهاجم سياستها في مصر ، ويبين خطر الاحتلال على موقفها دوليا . وحين قابل رئيس الوزراء السير كامبل باترمبان ــ وهو من الاحرار ــ قال له : « أن بريطانيا تريد أن تعطي فرصة للمصلحين المصريين كي يتولوا الحكم ، ويكونوا رايا ناضجا يحقق لمصر نهضتها » فقال له مصطفى : « انه يؤثر ان يكون حارسا لمصالح البلد وهو خارج الحكم » . وتقول مدام جوليت آدم في احد كتبها : ان مصطفى كامل ذكر بضعة أسماء من المصريين الذين كان يتوسم فيهم حسن الادارة والخلق ، والعطف على الحركة الوطنية .. ولكن مؤرخي الحزب الوطني لا يطمئنون الى هذه الرواية

صدقي باشا : وانا لا أصدق هذه الرواية .. وارى اننا لو اعتمدنا على القوة ، كشرط اساسي للمفاوضة ، ما كان جلاء وما كان استقلال

الاستاذ فتحي رضوان : لم يكن مصطفى كامل يؤمن بالمفاوضة .. ولكنه كما سبق أن قلت ، يؤمن بضرورة اغتنام الفرص الدولية ، وعرض القضية المصرية امام ابصار العالم أجمع كي تستبين له عدالتها . خذ مثلا بولندا ، التي عد تقسيمها ــ منذ قرنين ــ بين روسيا وبروسيا والنمسا ، جريمة القرن الثامن عشر . وكانت هذه الدول أقوى الدول العسكرية في أوربا ، بل وفي العالم أجمع . فلو يئست بولندا من نجاحها ، لتعذر استردادها لاستقلالها . لكنها ظلت تسعى الى نيل مطالبها ، حتى تضاربت مطامع الامم المحتلة فنالت بولندا استقلالها . كان مصطفى كامل يعلن في كل مكان أن استقلال مصر مصلحة دولية ، وأن تحقيق هذا الاستقلال ضرورة لضمان مصالح الدول المختلفة في الشرق . ولو أننا حشدنا جهودنا للدعاية للقضية المصرية على هذا الاساس ، وبسط مظالمنا لمختلف الدول ، لأفدنا من القوى العسكرية التي ترى مصلحتها في التعاون معنا

الشوربجي بك : أن المفاوضة تضعف الروح الوطنية

صدقي باشا : احسب أننا لم نأت للمناقشة في موضوع المفاوضات

علوية باشا : في مجال تكريم مصطفى كامل ، ذلك الزعيم الذي عاش فقيرا ومات فقيرا في سبيل الوطن .. ادعو الله أن يجعل من كل شاب عندنا ، مصطفى كامل في وطنيته وشجاعته واخلاصه ونزاهته

« ليس حب الاوطان وقفا على جيل دون جيل ، ولا قبيل دون قبيل . واحسبه بدأ بآدم »

حبّ الأوطان

بقلم
الدكتور احمد زكي بك

ليحي الوطن ، ولتحي مصر ، ونحن نحب الاوطان

كلمات كنا نقولها على الصبا فى صوت جهير ، وفى غير فهم كثير ، أيام الاحاسيس هى المرهفة وهى الغالبة ، وهى المتسلطة ، وأيام الفكر منضمر متخاذل، قد زحمته العواطف، فدفعته ، فانزوى الى جانب الطريق يفسح للموكب المتدفق السبيل

وتمر الايام فيصبح الصبي شابا ، فرجلا ، فكهلا ، فتقل عاطفته ويزيد فكره ، ويضعف صراخه ويقوى منطقه . وقد يستحي أن يهتف مع الهاتفين ، الا أن يكون زعيما من صناعته الهتاف ، ومع هذا فهو يجد فى القرارة من نفسه ، وفى المهجة من قلبه، عاطفة قوية جامحة ،كعاطفة الحب على الشباب الجامح ، هى حب وطنه، وحب اهله وعشيرته. وهو ان لم يهتف للوطن بحياة ، هتافا يشق الهواء مسموعا ، فهو يهتف به فى حنايا نفسه هتافا ترن فى جنبات النفس أصداؤه ، فيهز جدرانها ، وينال من أعصابها

نعم .. ان حب الوطن ليس وقفا على عمر دون عمر ، ولا على جيل دون جيل ، ولا على قبيل دون قبيل، واحسبه بدأ مع آدم. تلك الالفة التى يألف بها القلب المكان ، ويألف العيش ، ويألف من صحب من الناس.

ولما كانت الالفة تزيد على السنين ، فهى تزيد بتقدم العمر . فان ذكر الشاب الوطن بما قضى فيه من طفولة وصبا ، ذكر الكهل الوطن بما قضى فيه من طفولة وصبا وشباب واكتمال .. فكان بالذكر أعلق ، وبه أمتع ، وللوطن من اجل ذلك أحب :

وحبب أوطان الرجال اليهم
مآرب قضاها الشباب هنالكا
اذا ذكروا أوطانهم ذكرتهمو
عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا

❋

والشاب قد يفتدي وطنه حبا فى سورة من سورات الشباب تحجب عنه العواقب . والشيخ قد يفتدي وطنه ، ولكن على ثقة وعلى علم بالعواقب . وعلى مثل هذه الثقة ومثل هذا العلم افتدى ريجليوس الشيخ الروماني

المشهور وطنه ، وصار مضرب الامثال في حب الاوطان ، عند رومان وغير رومان . حاربت روما قرطاجنة وغلبتها بحرا . وعادت الاخرى فغلبتها برا . ووقع ريجليوس ، وهو قنصل روما وسيدها وقائد جيشها ، وقع أسيرا في ايدي القرطاجنيين . ثم فكوا اساره على ان يعود الى روما فيغري قومه ، اما بالصلح واما بفداء بعدة من اشرافهم وقعوا في أسر روما . فان لم يكن صلح اوافتداء، عاد اليهم اسيرا . وحلف لهم بشرفه انه يعود .

واجتمع شيوخ روما في مجلسهم يتشاورون . وقام ريجليوس فيهم يبدي رايه . فاذا به لايرضى للحرب وقفا ، ولايرضى عن افتداء نفسه بفكاك الاسرى . واذا به يقول لهم ان صالح الوطن في غير هذا وهذا ، وانه رجل شيخ لم تبق منه بقية ترجى ، وانه هامة اليوم او غد . وترددوا في الحكم فقال لهم : «علام التردد ، وفيم حبسكم اياي عن العودة لاختتم ايامي الطويلة بيوم للفخار كبير ، استقبل فيه عذابا شديدا ، ولكنه عذاب قصير ، ارقد بعده رقدة الابد ، على الراحة والطمانينة »

واقروه على ما رأى .. وقام يودعه اهله والصحاب ، على قلوب كسيرة واعين دامعة .. وسار الى موت لا شبهة فيه ، ولقي قبله من العذاب ما ظن انه ملاقيه

وحب الوطن ككل حب ، لا يحس به صاحبه حتى يمتنع ، وتمتنع أسبابه ، وتجف منابعه وتتحبس افاويقه .. كالثدي لا يفتقده الطفل كافتقاده عند فطام

قيل لاعرابي : « أي بنيك احب اليك ؟ » قال : « الصغير حتى يكبر ، والمريض حتى يبرأ ، والغائب حتى يؤوب» . والوطن احب ما يكون عند الغائب حتى يؤوب . وقد ينام حب الوطن في قلب أهله ، حتى توقظه الغربة ، فيصحو على الصراخ والعويل . ونعيم العيش في غيبة الوطن يهون، وتعزالسلوى ويغلبالاسى بم التعلل لا أهل ولا وطن

ولا نديم ولا كاس ولا سكن

هكذا قال المتنبي في غير شرخ من شباب . ولقد اغترب المتنبي كثيرا ، فاحب وطنه كثيرا . وجاء العيد ، وهومحرك الذكريات ، فما احتفل في غربته بعيد ، وود لو ان بينه وبينه الصحارى والبيد:

عيد باية حال عدت يا عيد

بما مضى ،ام لامر فيك تجديد

أما الاحبة فالبيداء دونهم

فليت دونك بيدا دونها بيد

*

ومنذ عامين خرج عن مصر استاذا جامعة أعرفهما . وخرجا ضيقا بمصر وضيقا بأهلها . وخرجا الى الولايات لغير رجعة . وخرجا بقضهما وقضيضهما . والجنسية الجديدة طلباها . ونزلت من امريكا حيث نزلا، فلم أود لهما لقاء . والح احدهما

فلقيه على مضض . وقص لي قصة طويلة مرة كانت له بمصر، لم تكف عندي في تبرير هـــذا الهرب من الواجب الوطني ، في وقت.. الوطن فيه احوج مايكون الى رجاله . وانفتحت ثغرة في الحديث تلقفتهـا لاغريه بالعودة الى مكانه القديم أستاذا . فغضب غضبا كدت أحسبه غضبا خفيا على نفسه لما سولت . فقلت لا والله ، ما اغضبك الاحب في قلبك لوطنك ، ولاهلك ، ما تستطيع لجذوته اخمادا ، ولا لصوته اخفاتا وتركته

وبعد اشهر قرات في الجرائد المصرية خبـرا : « توفي امس في نيويورك الاستاذ المصري فلان ، الباحث في معهد كذا ، قضى على نفســه بنفســه ، فشرب السم زعافا ، ومات لساعته . وخلف كتابا »

وودت لو اطلعت على هذا الكتاب ، اذن لوجدته كتابا بللته دموع غزيرة لا شك سكبها عليه كاتبه ، في ساعات العمر الاخيرة ، وهي تحفل بذكريات السنين ، ذكريات الوطن الذي زعم انه ضاق به ، ولم يضق به قلبه

والاســتاذ الثاني ماذا صنع ؟ انه يتربص الفرص، وهو الشاعر، ليرسل الى الوطن الحبيب رسائل الغزل من بعيد

وأهل المهجر الامريكي ، ماذا صنعوا بعد أن خلفوا الأوطان ؟ تشبثوا بها ، وتشبثوا بلغتهـا ، فكانت لهم في المهجر البعيد صحف بالعربية ، واجتماعات يؤكل فيها الطعام عربيا ، ويشرب الشراب عربيا ، ويجري الحديث عربيـا صميما ، عربي اللفـظ ، عربي الموضوع . وخلف منهم خلف لم ير الوطن العربي ، ولكن بقي في قلبه منه بقيـة شوق . دخلت مطعما هناك، أنا وزميلي المصري . وجرى الحـديث بيننا عربيـا .

وكان حامل الطعام بالمطعم شابا وسـيما ، لاحظت انه كان يركن الينا طويلا على غير عادة . فنظرت اليه نظرة استفسار . قال : « بالله استرسلا في حديثكما .. فان جرس هـذه اللغة يذكرني بأمي الذاهبة . اني لا افهم شيئا مما تقولان الا كلمات يكفيني منها انها تذكرني بطفولتي الحبيبة »

نعم .. لم يبق من وطنــه القديم من صلة الا طفولة قصيرة، قصرتها وفاة أم عزيزة

وسياتي من بعد هذا الخلف أخلاف ، تختلط فيها الذكريات وتنبهم ، ويحل جديد منها محل قديم ، وتســتبدل فيها أوطان باوطان

أحمد زكي

الوطنيـــة شعور ينمو في النفس ، ويزداد لهبه في القلوب ، كلما كبرت هموم الوطن ، وعظمت مصائبه

مصطفى كامل

حوادث غريبة يرتكبها مرضى « باليقظة النومية »

يقتلون .. وهم نائمون!

يقدر الأطباء وعلماء النفس ان اثنين من كل مائة شخص مصابان بمرض اليقظة النومية Somnambulism وعلى الرغم من أن معظم المصابين لا يؤذون أحداً ، فإن فريقاً منهم يرتكب أحيانا جرائم يحار المرء فى تعليلها

كان « روبرت لدرو » ـ أحد كبار رجال البوليس السرى بفرنسا ـ يقضى بعض الوقت بالقرب من شاطىء البحر فى ميناء « الهافر » للاستجمام بعد عناء العمل فى قضية ارهقت اعصابه .

وذات ليلة نام نوما هادئا عميقا ـ أو هكذا خيل له ـ واستيقظ فى الصباح ممتلئا نشاطا وحيوية. ولكنه لاحظ ان جوربه مبتل ـ وكان من عادته ان ينام به ـ فاثار ذلك دهشته . وعبثاحاول تعليل هذه الظاهرة . ولم يمض وقت طويل حتى تلقى برقية من مدير ادارة البوليس السرى فى باريس ، ينبئه فيها بالعثور على جثة قتيل مجهول على شاطىء البحر فى المنطقة التى يقيم بها ، ويطلب منه معاونة رجال الأمن فى كشف أسرار تلك الجريمة

ولم تمض أيام حتى اتضح ان القتيل موظف صغير ، حضر من باريس ليقضى اجازته هناك وانه رجل محبوب عند معارفه وليس له أعداء ، كما ان حياته الخاصة ليس فيها ما يثير الشكوك . ولكن هذا لم يزد الجريمة الا غموضا . اذ لم يعرف القاتل ، ولا الدافع له الى القتل؟ وكل ما اهتدى اليه رجال البوليس فى بحثهم الدقيق الطويل انهم عثروا فى مكان الجريمة على آثار قدمين فوق الرمال ، لشخص يغلب على الظن انه القاتل ، كما أثبت الفحص ان صاحبهما خلع حذاءه دون ان يخلع جوربه ، كما ان الرصاصة التى وجدت فى جثة القتيل تدل على ان المسدس الذى اطلقت منه ، من النوع الذى يستخدمه رجال البوليس

وذهب « لدرو » الى مكان الجريمة ، ثم انحنى على الرمال وأخذ يفحص آثار قدمى القاتل، مستعينا بمنظاره المكبر .. وكم كان عجبه شديدا حين لاحظ ان القدم اليمنى ذات اربع اصابع فقط، وانهاشبيهة بقدمه اليمنى تماما ، وسرعان ما عادت الى ذهنه حكاية جوربه الذى وجده مبتلا منذ أيام ، وعجزه عن معرفة

السبب فى بلله .. فنهض من مكانه شاحبا تبدو عليه امارات الحيرة والاضطراب . واستأذن رفاقه وعاد الى الفندق ليفحص مسدسه ، فكان عجبه اشد اذ وجده قد اطلق فعلا منذ وقت قريب !

وعلى أثرذلك استقل «الدرو» سيارة اسرع بها الى باريس ليقول لاولى الأمر هناك : « لقد وضعت يدى على القاتل .. ولكنى لم اتمكن بعد من معرفة الباعث على الجريمة .. انا هو القاتل .! »

ولم يصدقوه فى بادىء الأمر، وخيل لهم انه اصيب بخبل فى عقله ، ولكنه دلل لهم على صحة أقواله بالبراهين القاطعة

وظهر أنه نهض من فراشه اثناء الليل ، وخرج من غرفته وتوجه الى الشاطىء حيث ارتكب جريمته ــ وهونائم لايدرى ماذا يصنع ؟ !

واستقال الرجل من عمله ، بعد ان برأته المحكمة . وظل بعد هذا الحادث ينام فى غرفة مقفلة النوافذ والأبواب حتى قضى نحبه اخيرا !

❋

ومنذ عامين رأت فتاة ريفية امريكية فى السادسة عشرة من عمرها حلما ، صور لها لصوصا عدة مدججين بالسلاح يسطون على المنزل ويتوجهون الى غرفة ابيها لقتله وسرقة ما كان معه من نقود .. فقامت ــ وهى نائمة ــ وذهبت الى المكان الذى يحتفظ فيه ابوها بغدارتيه فاخذتهما ، واسرعت الى غرفة ابيها وراحت تطلق الرصاص منهما على « اللصوص » الذين توهمت وجودهم .. فقتلته وقتلت اخاها ، وكان اذ ذاك فى السادسة من عمره !



وفى حادث آخر، قتل شخص يدعى « الفريدموريس » زوجته أثناء نومه ، وذكر عند محاكمته انه كان حينذاك نائما ، وانه لم يستيقظ من نومه الا بعد وقوع الحادث بساعات . وايد الأطباء الشرعيون صحة اقواله !

❋

ويجمع العلماء اليوم على ان كثيراً من المصابين بمرض اليقظة النومية Somnambulism لا توقظهم الطلقات النارية ، ولا الاصوات العالية ، وان حاسة السمع عندهم تكاد تكون معطلة .. وقال الدكتور « ساندلر » ، وهو من كبار اطباء الجيش الأمريكى، فى محاضرة له : ان جنديا فى فرقته — فى الحرب العالمية الأخيرة — كان مصابا بهذا المرض، استيقظ ذات ليلة وارتدى ملابسه وخرج من خيمته ، ولما صادفه حارس المعسكر ذكر له « كلمة السر » المتفق عليها ، ثم توجه الى مدفع قريب ، واطلقه ، فاستيقظ جميع أفراد الفرقة وهرعوا الى مصدر الصوت ليروا ما حدث ، فوجدوه هناك لا يزال نائما !.. وحين سئل فى الصباح عما حدث ، قال انه لا يذكر شيئا !

❋

ومن الحوادث الطريفة التي اكتشفت اخيرا فى مدينة «بوسطن» ، ان موظفا امينا ابلغ رؤساءه ذات يوم خبر اختفاء مبلغ معين من الخزانة التى فى عهدته .. ودلت التحريات على ان شخصا غريبا لم يمس الخزانة ولم يقتحم غرفته.. وكاد الرجل يجن لان التهمة تكادتكون منصبة عليه مع انه لم يأخذ من هذا المبلغ شيئا .. واخيرا اتضح انه مصاب بهذا المرض وانه دخل مكتبه وهو نائم وفتح الخزينة واخذمنها المبلغ ثم اخفاه فى ركن من الحديقة .. وهو لايقصد السرقة او الاختلاس ، وانما فعل ذلك مدفوعا بعامل نفسانى يجهله

❋

ان علماء النفس — وعلى رأسهم الدكتور « ورنر ولف » — يرون أن امثال هؤلاء المرضى يمكن علاجهم نفسانيا ، وان كانوا يعترفون بقصور العلم حتى الآن عن ايجاد العلاج الناجع ، واكتشاف العلة الصحيحة لهذا المرض

[عن مجلة « امريكان ويكلى »]

الشجاع !

كان الهاد الحلى يقول :

— ليس الشجاع عندى عمرو بن معدى كرب ، ولا عنترة العبسى ، ولا خالداً ابن الوليد . إنما الشجاع من يرى طعامه يؤكل بحضرته وهو صابر

«ليس يعرف المراة من لا يعرف الزوجة»

لو كنت أعزب؟

بقلم الأستاذ
ابرهيم عبد القادر المازنى

لو كنت اعزب لما اطقت الحياة — او هذا اكبر ظنى الآن ، وانا ادلف الى الستين ، وبعد ان الفت حياة من له زوجة وبنون ، والعادة يصعب على المرء ان يغيرها بعد طول الجرى عليها ؛ على انى جربت الحياتين — حياة الأعزب ، وحياة المتزوج ، فقد ماتت زوجتى الاولى فلبثت ثمانى سنوات معرضا عن الزواج ، لا زهدا فيه اونفورا منه ، بل حتى يكبر ابنى قليلا ، ويستغنى عن كفالة امراة ابيه ، فلما اطمان قلبى تزوجت مرة اخرى ، او « تاهلت » كما يقول المصريون ، اى اتخذت لى أهلا اى زوجة.. فلى من التجربة ما يجرئنى على القول بان الاعزب مسكين ، بل مسكين المساكين ! يسير فى الحياة «مستفردا وحدا» كما يقول الشاعر ، بلا انيس ، او رفيق ، او معين ، او مشجع ، او سكن . ولو كان كل ما فى الزواج ان تكون فى البيت امراة تهيىء له الطعام، وتعد له الثياب، وتمهد له الفراش ، وتعينه على حاجته، لهان الأمرجدا ، ولوسعه ان يستغنى عن الزوجه بخادم او خادمة ، ولكن اكبر مزية الزوجة انها « سكن » وانها تفيض على نفس الرجل ، وتفرغ على قلبه «سكينة» ، هى فى رأيى السعادة التى يحق للانسان ان يطمع فيها ، فى دنيانا هذه ، ولا يعجز عن الفوز بها ولا يقل احد ان هذا القول يصدق اذا كان الزواج موفقا، اما اذا اخفق فمن اين تجىء هذه السكينة النفسية؟ ذلك ان التوفيق فى الزواج ، هو فى الحقيقة القاعدة، وليس الاخفاق الا الشذوذ والاستثناء ، وماعليك الا ان تراجع نسبة الطلاق فى كل بلد لتتبين هذا ، اى ان الاكثرين يتزوجون ، وان الاقلين منهم يخيبون ويفترقون

*

ثم انى اذهب الى ان الاخفاق يسال عنه الرجل قبل ان تسال عنه المراة ، لانه هو الذى بيده الزمام ، وهو الذى يحسن او يسىء سياسة الزوجة . وليس قولى هذا من الغرور «الرجالى» وما انا ممن يزدرون المراة ، او

يستخفون بها ، أو يحاولون الغض من قدرها أو شخصيتها ، أو يعدونها «جارية» لا اكثرولا اقل، وانما انا ممن يعترفون بالحقائق الطبيعية التى لاخير فى تجاهلها ، وممن يؤثرون ان يزنوا الأمور بميزان صحيح أو دقيق ، ليعطوا كل شيء حقه ، بغير بخس ، ويجتنبوا المغالاة والتجسيم والتهويل . والحقائق الطبيعية تقول ان الرجل دوره ايجابي ، ووظيفته أيضا ، ولا ينفي هذا ان فى الدنيا نساء هن أقوى من الرجال شكيمة واصلب عودا ، فان هؤلاء قلةوفلتات. ومع ذلك أرى أن سياسة امرأة من هذا الضرب الشاذ لا تستعصى على الرجل الرشيد الحكيم ، كما لا يستعصي علاج مرض بين على الطبيب العليم الحاذق . والمسألة فى اعتقادى مسألة عقل وحكمة ، لا مسألة « قوة » ــ اى قهر من جانب ، وذلة من جانب آخر

*

واقرب اليك ما اعنى ، فأقول: تصورمعلما مع فرقة منالتلاميذ ــ اربعين تلميذا مثلا ــ هؤلاء الاربعون ، وان كانوا صغارا ، يستطيعون ان يتناولوا معلمهم هذا ويقذفوا به من النافذة ، ولو كان مصارعا ، ولكنهم لا يفعلون ولا يخطر لهم أن يفعلوا ، لأسباب شتى منها التوقيرالطبيعيالمستقر فى النفوس للمعلم، ومنها ــ ولعله اهمها ــ قدرة المعلم علىسياسة تلاميذه ، فما يمنعهم هذا التوقير أن يستهينوا ويعبثوا به اذا بدت لهم منه حماقة أو سوء تصرف ، او قصور فى اية ناحية . وقد يكون علمه نزرا ، ولكنه يستطيع بحسن التصرف والحكمة فى سياسة تلاميذه أن يعوض هذا النقص،وأن يحملهمعلىاحترامه. فلا قيمة لكون المرأة شرسة أو نزاعة الى السيطرة او عنيفة سريعة الغضب ، فان كل هذا يعالج بالحكمة ، واحكم الحكمة أن تحرص على أن يظل الزمام فى يدك دون أن تراه المرأة أو تشعر به ، وأن تسرق وعيها وتستولى عليه كما يسرقه منها النوم ، بخفة ولباقة ، وبغير ازعاج ، ثم يصبح الأمر عادة : هى تظن ان الأمر كله اليها ، وما ذا يضيرك ظنها ؟ ولكنها مع ذلك تنتظر رأيك قبل أن يكون لها رأى ، وما يبدو لها أن لك فيه رغبة ، قبل أن تستوحى هى رغبتها ، بل لا تكون لها رغبة سوى رغبتك ، او ارادة سوى ما تريد

*

والحياة الزوجيةمتعبةولاشك، وهى تكلف الرجل والمرأة على السواء نصبا شديدا ، ولكن اى شيء فى هذه الحياة الدنيا هين ؟ وانها لتحمل الزوجين مسئوليات جسيمة ، ولكن قيمة الحياة رهن بما يضطلع المرء به من تبعات . أما من تخلو حياته من التبعات ــ اذا امكن هذا ــ فانه يفقد حقه فى الحياة نفسها . اذ ما خيره فى الدنيا؟ وما ذا يصنع فيها ؟ ولماذا يبقى بها ؟ وباى شيء يستحق هذا البقاء ؟ وما محله أو اثره فى

عدا الوجود الانساني لا ان كل عمل ـ بالغا ما بلغ من ضآلة الشأن ـ ينطوى على تبعة ، ومن كان لا يعمل شيئا ـ ماديا أو أدبيا ـ لنفسه ولأسرته أو للجماعة ، أى من كان لا ينهض بفرض من فرائض الحياة ، فأولى به أن يخرج من الدنيا

*

ولست ممن يقولون ان المراة هي وحي الأديب أو الفنان أو العالم أو غير هؤلاء ، فان في هذا القول مبالغة وتخليطا أيضا ، والذين يلهجون بهذا الكلام الفارغ يعنون ـ في الاغلب ـ المراة بالمعنى الجنسي ، ولا أدرى لماذا لا تكون الأم أو البنت أو الأخت ، أو الصديقة ـ اذا امكن ان تكون المراة صديقا للرجل بالمعنى الذي يفهمه هو من الصداقة ـ هي وحيه اذا كان لابد من وحي ؟ ان كل ما اعرفه ـ واعترف به ـ في هذا الباب ، هو ان المراة اداة لاراحة أعصاب الرجل من الناحية الجنسية ـ وكذلك هو اداة لها ـ ومتى استراحت الاعصاب وسكنت واعفيت من الاضطراب ، تيسر التفكير الهادىء المتزن ، والانتاج في يسر وبغير اجهاد ، واستطاعت الاعصاب أن تتحمل جهد العمل بلا كلل أو ملل ـ أى ان هذه الراحة وسيلة للانعاش والتنشيط ، واظن ان هذا بديهي لا يحتاج إلى بيان

ولو كنت اعزب لعددت نفسي نصف حي ، أو غير حي الا على المجاز أو التسامح ، لأنه لا يعد حيا من يجهل المراة ولا يعرفها ؛ وليس يعرف المراة من لا يعرف الزوجة . ولو عرف الف امراة غيرها ، فان غير الزوجة لهو ساعة ، اما الزوجة فهي الاداة التي اختزنت فيها الطبيعة سر الحياة كله ، ولست ازعم ان كل زوج يفهم المراة والحياة كما لا يفهمها الأعزب ، فان كل امراة كـكل امراة أخرى في الطباع الاصيلة ، ولكنى اقول ان الحياة لا تتم الا بزوجة ، أى بامراة تشارك الرجل وتقاسمه حياته ، ولا خوف من جورها عليه ، فما تستطيع ان تجور الا على رجل ناقص الرجولة أو قليل العقل ، ولا خوف من سوء أثر الزواج في حياة الاديب او العالم اوالفنان أو غير هؤلاء ، كما لا خوف من العزوبة أيضا الا اذا كان الرجل شاذا ينفر من المراة نفورا لا مسوغ له

*

كلا ، لا أستطيع ان أتصور اني أعزب ، لأني لا استطيع أن اشيح بوجهي عن أهم جانب من جوانب الحياة ، أوان أرضى بحياة تجعل المرء أشبه بحصان مشدود الى مركبة ، وعلى جانبي وجهه ما يحجب عنه ما حوله ، ولا يسمح له الا برؤية ما هو أمامه دون غيره

ابرهيم عبد القادر المازني

رسالة الى ..

ويل الشجي من الخلي

بقلم الدكتور طه حسين بك

> « .. أنت تحيا على هامش مصر ، ولكنك تستمد حياتك من صميمها . وأنت تحيا وتنعم على هامش فرنسا ، ولكنك تستمد حياتك ونعيمك من صميمها . يشقى المصريون والفرنسيون جميعاً لتحيا أنت وتنعم بالحياة ، ثم لا يجد أولئك ولا هؤلاء منك معونة حين تنزل بهم النوازل »

من اية عاطفة صدرت يا سيدى حين كتبت الى كتابك هذا الذى تلقيته منذ ايام ، فلم ادر ماذا أصنع به ولم ادر ماذا صنع بى ! فلو قد استجبت للعواطف الاولى التى اثارها فى نفسى ، لمزقته تمزيقا ، أو لحرقته تحريقا ، او لالقيته فى سلة المهملات كما يقول الذين يتبذلون فى الحديث . ولكنى اكره أن استجيب للعواطف حين تجيش وللغضب حين يثور ، فلم امزقه ولم احرقه ولم الق به بين المهملات ، وانما تركته يوما ويوما ثم عدت الى قراءته . فلم يثر فى نفسى ، الا ما أثاره اثناء القراءة الاولى من الغضب والحفيظة والموجدة

ويل الشجى من الخلى .. انك لرجل ناعم البال ، قرير العين ، مطمئن القلب ، هادىء النفس ، مستريح الضمير . تكتب الى قوم ليس لهم من هذا كله حظ قليل او كثير ، فهم مروعون مفزعون ، قد شمل القلق نفوسهم ، وملأ الحزن قلوبهم ، وشاعت الكآبة فى ضمائرهم ، حتى ضاقوا بالحياة وضاقت بهم الحياة . وشتان ما حال المقيمين فيما وراء البحر ، تبتسم لهم الشمس المشرقة ويبتسمون لها ، ويحنو عليهم الليل الهادىء ويطمئنون اليه ، لا تشغلهم بين ذلك احداث النهار ولا خواطر الليل ، وانما هم يستقبلون حياة رائقة شائقة ، قد فرغوا فيها لانفسهم وفرغت فيها انفسهم لهم . فهم يمرحون ويفرحون ويسرحون ويروحون .. قد امنوا كل كيد ، واعتصموا

من كل مكروه

ولست أزعم ان الحيــاة من حولك هادئة راضيــة وناعمــة باسـمة ، فان الهدوء والرضـا والنعيم والابتسام امور لا تتـاح الآن لكثير من الشعوب . ولكنك تعيش غريبا فيما وراء البحر ، قد بعدت عن وطنك فلم تشاوك أهله فيمـا يجدون من البـؤس والشقاء ، ومن الخوف والاشفاق، ومن القلق والاضطراب . وبعدت عن مضيفيك لأنك غريب بينهم ، لا تشاركهم فى الم ولا أمل ، ولا تشاطرهم نعيما ولا شقاء . وانما أنت قريب منهم بعيــد عنهم ، تنعم بما عندهم من نعيم، وتتجافى عما عندهم من بؤس وشقاء

فانت الرجل الحر الطليـق ، وانت الرجل الموفق السـعيد ، يأتيك المال كثيرا موفورا من مصر، ويأتيك النعيم كثيرا موفورا من فرنسا ، لأنك تقدر بالمال المصرى الذى لا يجده أكثر المصريين ، على أن تحصل من النعيم الفرنسي ما لا يجده أكثر الفرنسيين . فانت ناعم على رغم المصريين والفرنسيين جميعا . يستخرج لك المال المصرى من شقاء مواطنيك ، ويستخرج لك النعيـم الفرنسي من شـقاء مضيـــفيك .. وأنت مع ذلك ســاخط على أولئك وهؤلاء ، لا ترضى عما يجرى هنا ، ولا تطمئن الى ما يجرى هنـــاك . تنكر المصريين لأنهم لم يبلغوا فى رقيهم المادى والعقلى مابلغ الفرنسيون، ولأنهم لا يستطيعون ان يوفروا لك من وســائل الترف والدعة والأمن ما يوفره لك الفرنسيون

وانت من أجـل ذلك تهجرهم وتهاجر من ارضــهم ، وتكتفى منهم بأن يزرع الزارع ، ويصنع الصــانع ، ويجوع الجــائع ، ويبتئس المبتئس ، ويشــقى الشقى ، لتجتمـع لك الوف من الجنيهات تتبعها الوف ، ولتحول لك هذه المقادير الضخمة من المال، تنفقها فيما يحب الله وما لا يحب من وسائل الترف.. ومواطنوك فى شـظف من وسـائل الراحة والنعيم ، ومواطنـوك فى عنـاء وشقاء . وتنكر الفرنسيين لأنهم لا يخضعون للسلطان كما يخضع له مواطنوك ، ولا يستكينون للقوة كما تعودت أن ترى النــاس يستكينون لها من حولك فى مصر، ولا يعبـدون عجول الذهب كما تعودت أن ترى الناس يعبدون عجولا ذهبية كثيرة على ضفاف النيـل ، كما يقول جوت — أن أتاح لك الفراغ والعبث أن تقرأ ما قال جوت . ولـكنك مع ذلك تسعى الى فرنسا كلما أمكنتك الفرصة ، وتقيم فيها ما طابت لك الاقامة ، يكفيك من اهلها أن يأخذوا منـك مالك الذى شقى المصريون ليرسـلوه اليك ، وأن يعطوك نعيمهـــا الذى يشقى الفرنسيون ليتيحوه لك

ولو طلب اليك او ابيح لك أن تتمنى وأن تعرب عمـا تمنى ، لتمنيت وطنا يجمع بين ما تحب من الرقى المـادى والعقلى الذى تعجب به فى فرنسا ، ومن خصال الخضـوع للسلطان والاستكانة

للقوة وعبادة المال التى تعجب بها فى مصر ، ويبرا من هذه الخصال التى تنكرها هنا وهناك ، وطنا يلائم حبك لنفسك وايثارك لها بالخير كل الخير وازورارك بها عن كل ما يكره أو يشق أو يسوء . ولكن ارح نفسك من هذا العناء ، واعفها من هذه الامانى الكاذبة التى لن تتحقق ، لان تحقيقها شىء ليس اليه سبيل . فحيثما وجد الرقى العقلى والمادى الذى تحبه ، وجد النزوع الذى تكرهه وتنكره الى الحرية الحرة التى لا تبيح لاهلها خضوعا ولا استكانة ولا اذعانا لسلطان المال . وحيثما وجد الانحطاط المادى والعقلى الذى تكرهه ، وجد الاذعان والخضوع والاستكانة وعبادة المال والفناء فى الثراء ، الى غير ذلك من الخصال التى تعرفها وتألفها وترضاها من مواطنيك

فانت بين اثنين يا سيدى ، ليست لهما ثالثة . اما ان تعيش فى مصر كما نعيش ، مواجها ما تنكر من الضعف والقصور والتقصير والانحطاط ، محاولا كما نحاول اصلاح ذلك . واما ان تعيش فى فرنسا مستمتعا بما يتوق اليه جسمك من هذا النعيم المادى الفارغ ، والى ما قد يطمح اليه عقلك من هذا النعيم المعنوى الخصب ، محتملا ما تعيب على الفرنسيين من طموحهم الى الخير ، ونزوعهم الى الحرية ، ومطالبتهم بالحق ، والتجائهم احيانا الى ما يغيظك ويحفظك من مظاهر التمرد والغلو فى الاضراب ، وحرمانك بين حين وحين هذه اللذة أو تلك من لذات الجسم والعقل .

فانت ترى هذه اللذات حقا لك ، لا ينبغي أن ترد عنه ولا أن تجد مشقة فى الظفر به ، متى شئت وكيف شئت . والفرنسيون يرون مثل ما ترى ، ولكنهم لا يؤثرونك انت وامثالك بهذا الحق من دون عامتهم ، وانما يريدون ان يظفروا به كما تظفر به ، وأن يحصلوا عليه كما تحصل عليه ، متى شاءوا وكيف شاءوا ، والا يذودهم عنه ذائد من فقر أو جهل أو مرض ، ومن ظلم او بغى أو طغيان

فاختر لنفسك ياسيدى ، وقد اخترت فأحسنت الاختيار .. فانت لا تعيش فى مصر لأنها لم تبلغ من الرقى العقلى والمادى ما تحب ، ولكنك تستغل مصر لأنها ترسل اليك المال الكثير الذى تشترى به النعيم الكثير . وانت لا تعيش فى فرنسا لأن أهلها لا يخضعون ولا يخنعون ولا يقنعون ، وانما تقيم فيها اقامة الغريب تستمتع بخيراتها ولا تحمل مع اهلها شيئا من التبعات . انت تحيا على هامش مصر ، ولكنك تستمد حياتك من صميمها . وانت تحيا وتنعم على هامش فرنسا ، ولكنك تستمد حياتك ونعيمك من صميمها . يشقى المصريون والفرنسيون جميعا ، لتحيا انت وتنعم بالحياة ، ثم لا يجد اولئك ولا هؤلاء منك معونة حين تنزل بهم النوازل ، أو تلم بهم الخطوب ، لانك قد تركت

مصر بجسمك وعقلك جميعا ، وتركت فرنسا بجسمك وعقلك جميعا ايضا ، وان أقمت فيها واطلت الاقامة ، لأن اقامة الغريب فى وطن لا تحمله من تبعات المواطنين شيئا

لقد اخترت ياسيدى فأحسنت الاختيار فيما ترى .. عشت على هامش الوطنين ، واستمددت حياتك وسعادتك من صميم الوطنين ، ورضيت لنفسك هذه المنزلة ، منزلة الطفيلى الذى ليس هو من أولئك ولا هؤلاء ، ولكنه على ذلك يستغل جهد أولئك وهؤلاء . وليس كل الناس قادرين على أن يرضوا لأنفسهم ما رضيت لنفسك ، وليس كل الناس يستطيعون أن يكونوا على هامش الحياة فى أوطانهم او فى مهاجرهم . فانعم ان شئت بحياتك هذه التى آثرت بها نفسك ، ولكن لا تنكر على غيرك من الناس أن يعيشوا كما يحبون. وانظر الى الحياة ان شئت على انها متاع عابث أو عبث ممتع ، ولكن لا تنكر على غيرك من الناس ان ينظروا الى الحياة على انها جد وكد ، واحتمال للأثقال ، ونهوض بالاعباء ، ومحاولة للنفع ، وسعى الى الخير ، وجهاد فى سبيل الاصلاح

افهمت الآن لماذا تلقيت كتابك ، فهممت ان أمزقه او احرقه او اهمله . غاظنى ما فيه من سخر بمصر لأنك لا تستطيع أن تجد فيها الفنادق التى تجدها فى فرنسا ، ولاتستطيع ان تجد فيها الملاهى التى تختلف اليها فى فرنسا ، ولا تستطيع أن تزور فيها المتاحف الفنية الرائعة الكثيرة التى تزورها فى فرنسا ، ولا تستطيع أن تنعم فيها بمثل ما تنعم به فى فرنسا من ضروب اللهو والوان المجون وفنون النعيم

وغاظنى سخطك على فرنسا لأن العمال يضربون فيها فيكثرون الاضراب ، ويضيعون عليك من لذاتك المباحة والمحظورة ما انت حريص على تحصيله ، ولأن الاحزاب تختلف فتسرف فى الاختلاف وتختصم فتغلو فى الخصومة ، وينشأ من ذلك ما ينشأ من الاضراب والاضطراب والمظاهرات ، وتردد الفرنك بين الرفعة والضعة وبين الغلاء والرخص ، ويؤثر ذلك كله فى حياتك المادية بما يحدث فيها من العسر ، وفى حياتك العقلية والشعورية بما يحدث فيها من الخوف والشك والقلق

ولكن ما رأيك فى أن مصر فى حاجة اليك والى أمثالك ليستنقذوها من ضعفها ، وليبلغوا بها هذا الرقى الذى تحبه وتتمناه .. فعد اليها واعمل فيها واعمل لها ، وامنحها وقتك وجهدك ومالك ان استطعت . ولكنك لن تستطيع .. فدعها اذن وما هى فيه ، ودع اهلها وما هم فيه ، انك لا تستطيع ان تمنحهم معونة ولا حولا ولا قوة ، تحول الاثرة بينك وبين ذلك .. فأرحها منك وأرح نفسك منها. خذ ماترسله اليك من المال ، ولا ترسل اليها

مكانه سخرية واستهزاء
وماراًيك فى ان فرنسا لم تخلق لك ولا لامثالك من الطارئين النازحين الذين ياكلون وينكرون وينعمون ويعيبون . وانما خلقت لنفسها واهلها قبل ان تخلق لغيرها من البلاد ، وقبل ان تخلق لغير أهلها من الناس . فخذ منها ما تقدم اليك من ضروب اللهو والمتاع ، وأد اليها ثمن هذا كله من المال الذى ترسله اليك مصر ، وارض عن نفسك وانكر على فرنسا ان شئت ، ولكن اخف انكارك واجعله شيئا بينك وبين ضميرك ولا تتحدث به الى الفرنسيين ، ولو قد فعلت لالقوك فى غيابات السجن القاء ، او لنفوك من الارض نفيا . ولا تتحدث به الى ، فانى لا احب الذين ياكلون وينكرون وينعمون ويسخطون .
وانى بعد هذا كله اعجب أشد الاعجاب واقواه بما أجد فى الفرنسيين من هذا النزوع الى الحرية والطموح الى الكمال والتوثب الى الخير
ويل الشجى من الخلى ، وويل العاملين من الكسالى ، وويل الجاهدين من القاعدين
أرح نفسك من الناس وارح الناس منك ، وافرغ لحياتك الفارغة . واذا لم تجد بدا من الكتابة الى ، فاكتب الى بما يرضيني ولا يؤذيني ، فانى لست منك ولا من حياتك الفارغة فى شىء . . وانا اهدى اليك مع ذلك تحية فيها من الرثاء لك أكثر مما فيها من السخر منك

طه حسين

الحرية الحقيقية تحتمل ابداء كل رأى ونشر كل مذهب وترويج كل فكر
فى البلاد الحرة قد يجاهر الانسان بأن لا وطن له ويكفر بالله ورسله ويطعن على شرائع قومه وآدابهم وعاداتهم ويهزأ بالمبادىء التى تقوم عليها حياتهم العائلية والاجتماعية . يقول ويكتب ما شاء فى ذلك ولا يفكر احد ولو كان من الد خصومه فى الراى ان ينقص شيئا من احترامه لشخصه متى كان قوله صادرا عن نية حسنة واعتقاد صحيح . كم من الزمن يمر على مصر قبل ان تبلغ هذه الدرجة من الحرية ؟ قاسم امين



لقد كان تعليم القراءة فى العصر الحاضر موضعا لاهتمام اولى الشأن ، فقد بلغ عدد الاطفال العاجزين عن تعلمها حد المأساة.

ومتى اخفق الطفل فيها ، ساور الآباء والامهات القلق ووجهوا اللوم الى المدرسة ، أو عزوا قصور الطفل الى كسله وغبائه

واذا صح اعتقاد رجال التربية أن ثلث الاطفال الذين يواظبون على الذهاب الى مدارسهم ، لا يحسنون القراءة ، تحتم علينا أن نبحث عن علة ذلك . فالى ضياع الاموال التى تجبى خصيصا للتعليم هباء منثورا ، تحطم هذه العلة وجدان الاطفال وتشعرهم بالخيبة والفشل . فالقراءة اذن مشكلة يجب الاعتراف بها . وليس ثمة من سبيل الى معالجتها ، ما لم يتضافر مراقبو التعليم والنظار والمعلمون على حلها

وليس معنى هذا أن نسبة الاطفال الذين يصعب عليهم تعلم القراءة اليوم ، اكثر منها منذ خمسين أو مائة عام ، وانما كل ما هنالك ان معظمهم فى ذلك الحين كان لا يتعدى السنة الرابعة الابتدائية، وقل من كان يتم دراسته الثانوية . ويرجح ان أكثر هؤلاء كانوا ينقطعون عن الدراسة لانهم كانوا لا يرتاحون اليها ، وكانوا لا يرتاحون اليها، لانهم لم يتمكنوا من تعلم القراءة كما يجب ، ولم يحسنوها

*

وقد فطن رجال التربية الى عامل آخر ، وهو ان بعض الاطفال يمتازون عن سواهم بالذكاء اللغوى ، كما ان البعض ينصرف ذكاؤه الى غير اللغة . والنظام المدرسى على ما هو عليه الآن ، وضع على أساس الذكاء اللغوى. ومما يؤسف له ان الطفل ذا المواهب غير اللغوية، لا حظ له فى المدارس على حالتها الراهنة ، اذ أن مجال استعمال هذه المواهب يكاد يكون معدوما . والطفل ذو المواهب غير اللغوية، ينصرف ذكاؤه الى الموسيقى أو الحساب أو العلوم الطبيعية ، أو الاشغال اليدوية ، أو الصناعات والفنون الميكانيكية

وهناك طائفة أخرى من الاطفال الذين يعزى عجزهم عن القراءة الى ما سماه العلماء « الرموز الملتوية Strephosymbolia » . ويختلف هؤلاء عن الاطفال ذوى الذكاء اللالغوى، فانهم يستطيعون التعبير عن آرائهم شفويا بلغة سليمة ، ويلذ لهم الاستماع لما يقرأ عليهم من القصص ، ولكنهم يشذون فى تراكيبهم الفيزيولوجية كأن يبدو عليهم بعد السنة الثانية من اعمارهم اليسر (اى استعمال اليد اليسرى) ، أو يكون الطفل أيمن احيانا وأيسر أخرى ، او يستعمل عينه اليمنى دون اليسرى أو بالعكس ، أو يرى الحروف المكتوبة معكوسة ، كأنه يراها فى المرآة ، او يكون أيمن يدا وأيسر عينا أو بالعكس ، أو قد يكون أحد والديه كذلك . وهؤلاء عادة يصعب عليهم ، عدا القراءة ، ربط سير الحذاء ، ومعالجة أزرار الملابس ، والكتابة ، وكل ما يحتاج الى ارتباط بين اليد والجهاز العصبى

*

وهناك ثلاث طرق لتعليم القراءة، وهى البصرية ، والسمعية، والعضلية أو (الحركية) . فالطفل المصاب بعاهة «الرموز المعكوسة» لا تجديه الطريقة البصرية نفعا ، فعلينا اذن ان نلجأ فى تعليمه الى الطريقتين الاخريين . وليس هنا مجال البحث فى هذه النقطة الفنية

ومن سوء الحظ ان حاجة الطفل الى العلاج لا تظهر الا بعد دخوله المدرسة بسنتين أو ما يقرب من ذلك . فاذا لم ينجح فى نهاية هذه المدة فى تعلم القراءة ، فعلى الوالدين وضعه بين يدى أخصائى لعلاجه

والسن التى ينبغى أن يبدأ فيها الطفل بتعلم القراءة هى السادسة، ولكن هذا المبدأ لا ينطبق على جميع الاطفال ، لذلك يوجد فى المدارس الحديثة الآن نظام خاص، يفحص به الطفل فى خلال السنة الاولى فيما يتعلق باستعداده للقراءة . وقد وجد بالاختبار أن الطفل الذى يشرع فى تعلم القراءة قبل نضوجه بدنيا وعقليا ووجدانيا ، قد يكون عرضة للعلل التى تجعله عاجزا عن اجادة القراءة زمنا طويلا

ومن اسباب العجز عن تعلم القراءة أن الطفل ، برغم بلوغه السادسة ، ما يزال محصوله اللغوى ضئيلا ، وما يزال حديثه رطانة أو عيا . . او انه لا يستطيع أن يركز انتباهه الا أمدا قصيرا ، أو انه انتقل انتقالا فجائيا من البيت الى المدرسة ، فلم يشعر بالطمانينة بين اطفال لم يكن له عهد بهم ، بل لم يكن له عهد بسواهم ، فشق عليه أن يركز انتباهه فى القراءة ، فى بيئة من جيش من الاطفال ، يشرد فيها ذهنه . ولعل روضة الاطفال خير علاج لحل هذا المشكل

*

ومن رأيى ان الطفل الذى يعجز عن تعلم القراءة فى نهاية السنة

الثانية ، يجب ارساله أولا الى طبيب الاطفال لفحصه بدنيا ، بما في ذلك فحص الاذنين والعينين. فاذا لم تكن هناك علل بدنية او وجدانية ، يلزم تسليمه الى اخصائي في تعليم أمثاله القراءة.

ومن المعلوم ان الطفل الذى لا يحسن القراءة يفشل في الجغرافيا والتاريخ والحساب والعلوم ، وان كان مولعا بهذه كلها أو بعضها ، فقد يكون نابغة في الحساب، ولكن ما الفائدة اذا كان لا يستطيع قراءة المسألة قبل حلها ؟ ان مثل هذا الطفل لا يخفق في هذه المواد في الواقع ، ولكنه يخفق في القراءة . وما لم يحسن الطفل القراءة، فمن العبث أن تتوقع نجاحه في سائر المواد ، اذ ان اكثرها يحتاج الى التمكن من القراءة

وكثيرا ما سألنى الوالدان هذا السؤال : كيف نجنب أطفالنا هذه العلة ، أو كيف يمكننا اكتشافها فيهم قبل ظهورها ؟ وجوابى عن هذا انني لا اعرف، وكل ما أستطيع أن ادلى به ، ان جميع من عالجت من الاطفال كانوا من الصبيان ، لا من البنات . وقد دلت بحوث العلماء على ان الاغلبية الساحقة من الاطفال الذين يصادفون عقبات في تعلم القراءة، من الذكور لا من الاناث . وليس لدى تعليل مقنع لهذه الظاهرة، ولذا انصح الى الوالدين ان يكونا على حذر اذا كان طفلهما ذكرا

وعندما عهد الى التدريس لتلاميذ السنة الاولى الابتدائية، كانت أولى الخطوات التى اتبعتها ان اطلب الى والديهم ان يأخذوهم الى طبيب لفحص آذانهم وعيونهم. وبعد ذلك فحصتهم باختبار «الاستعداد للقراءة» وهو اختبار دقيق المقياس، معروف في المدارس الحديثة . ومتى دل الاختبار على أن الطفل ناضج للشروع في تعلم القراءة ، اخذت اغذى استعداده بشتى الوسائل ، ومنها تشجيعه على الكلام ، وتهيئة الفرص له للتعبير عن رأيه ، والتحدث عن العابه وهواياته ، وتدريبه على النطق الواضح الصحيح، وسهولة الكلام ، وسائر الطرق التى تكون بمثابة مقدمات للقراءة. ويضاف الى ذلك انى كنت ادعو والدى الطفل للتحدث اليهما ، والوقوف منهما على ما قد يلاقيه من الصعوبة في ارتداء ملابسه ، أو قضاء حاجاته اليومية ، أو ظهور عيوب كلامية فيه ، أو غير ذلك

ومما يؤسف له انه لا يوجد طريق سلطاني لاكتشاف هذه العلل سلفا ، ولكن المعلم الحاذق يستطيع أن يطبق المعلومات الآنفة الذكر تطبيقا يتفق والمنطق. ومن أهم ما يجب العناية به أن يشجع المعلم الطفل، ويزيد امله في النجاح، ويشعره بقدرته على أن يصبح رجلا نافعا قوى الشخصية

[عن مجلة « مايجيا »]



« اليدا فالى » .. نجم جديد اكتشفه المخرج المعروف « دافيد سلزنيك » .. لم تتجاوز بعد السادسة عشرة من عمرها !

وجوه جديدة يتنبأ لها الاخصائيون بارتقاء عروش المجد فى هوليود

كواكب ١٩٤٨

كواكب الارض تتلألأ حينا فى سماء هوليود ، ثم تخبو لتفسح المجال لنجوم جديدة من جيل جديد . وقد ظهرت فى الاعوام الاخيرة نجوم دفعتها ظروف الحرب – من غير جدارة – الى مكانتها الرفيعة دفعا. فلما انتهت الحرب انطفأ نورها ، فهوت من عليائها . وقد كان المختصون فى هوليود يختارون فيما مضى من الوجوه الجديدة ما يتفق واذواق الشعب الامريكى وحده .. اما اليوم فقد غدوا بفضل دراساتهم واختباراتهم يدركون ميول الشعوب الاخرى، ويسعون عادة عند اختيار هذه الوجوه الى ارضاء اكبر عدد من الناس. وقد روعى ذلك – فيما روعى من اعتبارات – عند اختيار كواكب ١٩٤٨ ، اللائى نروى – فيما يلى – طرفا من تاريخ حياتهن :

اليدا فالى

ممثلة ايطالية بارعة استدعاها المخرج « دافيد سلزنيك » من ايطاليا فى يناير ١٩٤٧، وقد أبدت كفاية ومقدرة فى جميع الادوار التى قامت بها مدة اقامتها فى هوليود . وتعد ادوارها من خير ما مثل فى العام الماضى . وقد اشتركت « فالى » فى اربعة وثلاثين فيلما فى ايطاليا ، منذ ان بدات الاشتغال بالسينما سنة ١٩٣٧ ، وهى لم تتجاوز بعد السادسة عشرة من عمرها . وقد صادف ان رآها « سلزنيك » فى احدى جولاته، فعرض عليها ان تعمل معه فى هوليود ، فوافقت .. ويتنبأ لها المخرجون بمستقبل زاهر

مارتا تورين

ممثلة ناشئة ، كانت تدرس فى الاكاديمية الملكية للتمثيل فى السويد . وهى نفس المعهد الذى تخرجت فيه « جريتا جاربو » و« انجريد برجمان » . وقد اختار احد مندوبى هوليود هذه الغادة الهيفاء ذات الشعر الاشقر والطابع الشرقى وهى لا تزال فى سنتها الاولى بالمعهد ، واشار الى احدى الشركات باستدعائها قبل تكملة دراساتها ، فابرقت لها الشركة تعرض عليها التعاقد معها .. وقد غادرت السويد الى استوديوهات شركة « يونيفرسال » بهوليود للعمل فيها .. وحين تحققت للمخرجين كفاءتها ، اسندوا اليها دور البطولة فى فيلم ستبدأ الشركة فى اخراجه هذا الشهر

جان بيترز

حسناء في العشرين من عمرها، اختيرت ملكة للجمال في كليتها ، فكوفئت بنفقات رحلة الى هوليود . وكانت حينذاك تعد نفسها لنيل درجة في التربية تؤهلها للتدريس . وأثناء اقامتها بهوليود ، رآها احد مندوبي شركة « فوكس » فاستشف في ملامحها وحركاتها موهبة فذة للتمثيل في السينما .. فما أن عادت الى كليتها ، حتى فوجئت برسالة من مدير الشركة يطلب منها العمل معه بشروط مغرية ، فقبلت دون تردد

جانيت ليه

اكتشفت هذا الوجه مصادفة « نورما شيرر » فقد كانت في متجر أبيها تشتري شيئا .. واتفق أن رأت « البوم » صاحب المتجر على مكتبه ، فراحت تقلب صفحاته وتتأمل صوره . فاذا بها تقف عند صورة هذه الفتاة ، ثم تسأل عنها وتطلب من أبيها أن يدعها لتتقدم لاختبار الوجوه الجديدة باستوديو « مترو » . وقد جاء في حديث « نورما شيرر » عن هذا الكوكب الجديد : « لقد أحسست منذ رأيت صورتها للمرة الاولى انها فتاة موهوبة ، فلما تحدثت اليها ايقنت انها تبشر بمستقبل عظيم في عالم السينما ، لو تهيأت لها الظروف الملائمة »

كولين جراي

شقراء ساحرة في الخامسة والعشرين ، سريعة الخاطر ، قوية الشخصية ، قضت اربع سنوات في الكلية وظفرت بشهادة في فن التمثيل .. ولكنها التحقت بعدة وظائف ، وظلت تنتقل من عمل الى آخر حتى ظفرت بوظيفة سكرتيرة في « لوس انجلوس » اثناء النهار ، ووظيفة ممثلة على مسرح صغير فيها اثناء الليل . وفي هذا المسرح شهدها أحد مندوبي شركة « فوكس » فرشحها للعمل في الشركة ، فساهمت بنجاح في عدة افلام . واخيرا انتقلت الى شركة «وارنر»

سد تشارلس

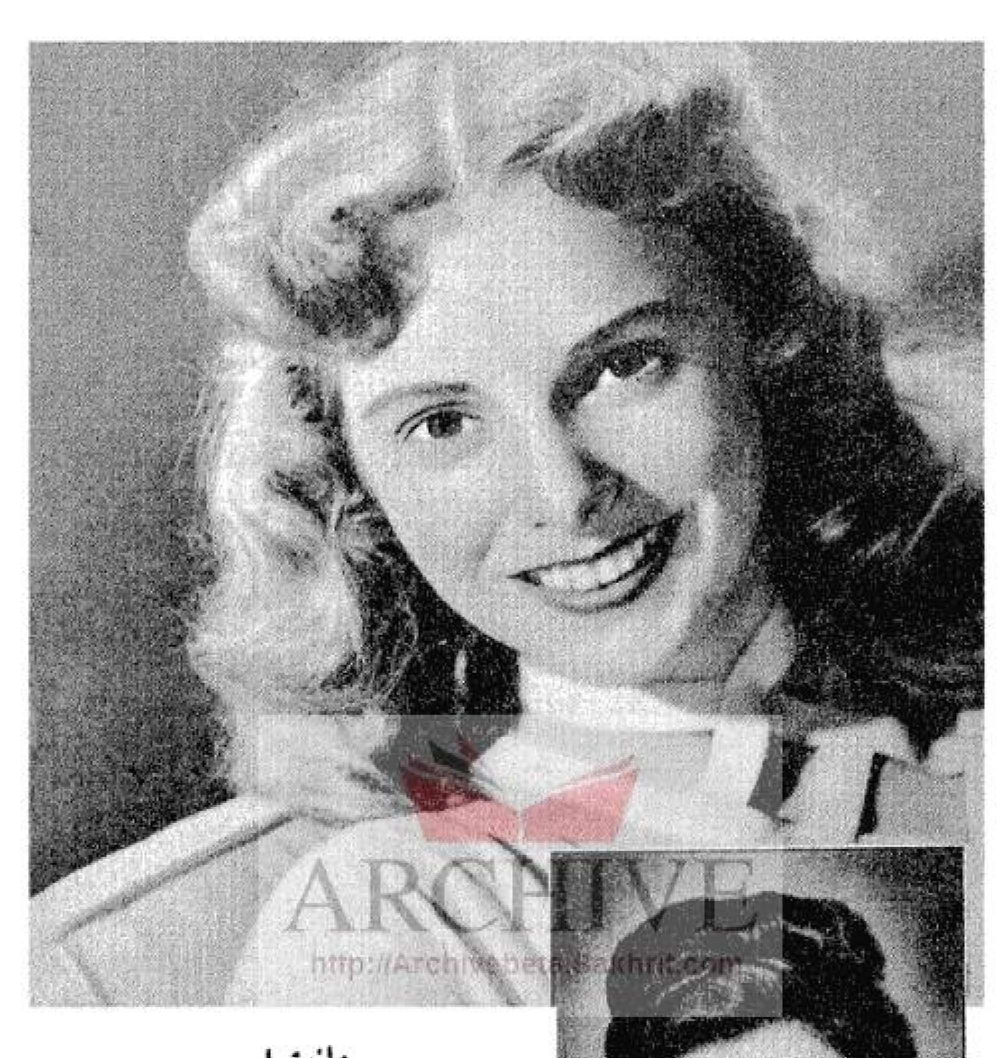
ولدت في « تكساس » وبدأت تدرس الرقص وهي لم تتجاوز بعد الثامنة من عمرها ، وذهبت الى هوليود في الثانية عشرة ، واشتركت مع احدى فرق الرقص المتنقلة وهي في السابعة عشرة ، وظلت تجوب معها ارجاء اوربا . وقد توافرت في هذه الممثلة عناصر النجاح، فجمعت بين الجمال وقوة الجاذبية، وبراعة الرقص، والاجادة في التمثيل . ومنذ عام ١٩٤٢ وهي تطمح في الظهور على الشاشة وتسعى الى العمل في السينما ، ولكنها ظلت حتى العام الماضي لا يسند اليها الا ادوار ثانوية .. واخيرا رشحها أحد مخرجي هوليود لدور البطولة في أحد الافلام

اولئك أجمل كواكب هوليود وابرعهن .. اللاتي يرجى لهن سناء باهر وضياء متلألىء في سماء هوليود هذا العام

[مراسلنا الخاص في هوليود]



كانت الشقراء الساحرة « كولين جراى » تعمل فى مسرح صغير . . وهى اليوم من النجوم التى تعتز بها شركة وارنر



جانيت ليه

انها فتاة موهوبة ، تبشر بمستقبل عظيم
اكتشفتها الممثلة المشهورة « نورماشيرر »
فلعلها تبلغ مابلغته من شهرة

مارتا توربن

كانت فى نفس المعهد الذي تخرجت فيه
« جريتا جاربو » و « انجريد برجمان »
ولكنها تمتاز عنهما بطابعها الشرقى

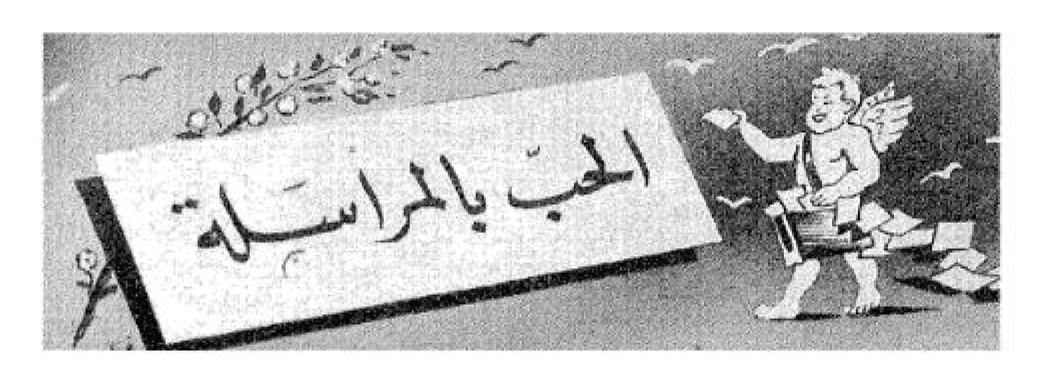


سد تشارلس

كوكب جديد توافرت له جميع عناصر النجاح ، من الجمال والفتنة وقوة الجاذبية واجادة التمثيل ، وبراعة الرقص

جاله بيترز

ختيرت ملكة للجمال فى كليتها . . وها هى تنضم أخيراً الى ركاب الممثلات الفاتنات فى مدينة هوليود



مؤسسات تجارية ، واجتماعية ، لتعارف الشباب تعارفا قد يؤول الى التآلف او الحب ، او ينتهى الى الزواج

ليس غريبا أن يحب رجل ممثلة ، أو راقصة ، أو كاتبة ، أو خطيبة ، أو فتاة من الطبقة الراقية ، لم ترها عيناه الا على الشاشة البيضاء ، أو فى صحيفة أو مجلة أو كتاب . وليس غريبا أن تحب امرأة ممثلا ، أو كاتبا ، أو خطيبا ، أو أحد مشاهير الرجال ، لم تقع عيناها الا على خياله فى سينما ، أو صحيفة ، أو مجلة ، أو كتاب ، أو لم تر خياله أو صورته بتاتا ، ولكنها احبته لبطولته أو شهرته .

وليس غريبا أن تتمكن أواصر الحب بين اثنين ، لمجرد سماع احدهما صوت الآخر من التليفون أو المذياع ، فالمعروف من قديم الزمان أن الأذن تعشق قبل العين فى بعض الأحيان .

والأمثلة على هذا اللون من الحب كثيرة ، نراها شائعة فى كل زمان ومكان . فهذه « الن ترى » الممثلة الانجليزية الأولى فى زمانها ، احبت برنارد شو قبل أن تراه ، والرسائل التى بادلته اياها ، ونشرها شو فى أحد مؤلفاته ، قطعة رائعة من الأدب الانجليزى .

ولكل نجمة من نجوم السينما فى هوليود ـ كما فى مصر وسائر بلدان العالم ـ عشاق لا يتوانون عن اغراقها بالرسائل ، وان لم يحظوا منها بردود ، ولا يقل بريد النجمة فى هوليود ، فى أوج علاها ، عن الف رسالة يوميا

•

ليس غريبا ان يقع الحب بهذه الكيفية ، من طرف واحد ، أو أن يكون متبادلا بين اثنين ازاء هذه الظروف . ولكن الغرابة فى أن يتبادل الحب شخصان عن طريق المراسلة ، من غير ان يشتهر احدهما بفن او سياسة او علم او اى شىء آخر ، أو يعرف احدهما عن الآخر شيئا قبل بدء المراسلة ، او يأنس احدهما فى صاحبه صفة يحبها ، أو ميلا مشتركا يجمعهما !

ولكن كيف تبدأ المراسلة بين اثنين لا يعرف أحدهما الآخر ؟ فى جميع البلدان الغربية مؤسسات للتعارف بالمراسلة .. وبعض هذه

المؤسسات تقوم لغرض تجارى فتتقاضى من اعضائها اجورا ، وبعضها اجتماعى لا يكلف الذى ينضم الى عضويتها شيئا

واصحاب المؤسسات التجارية افراد أو جماعات .. وطريقة تاسيسها، والحصول على الاشتراك فى عضويتها امر لا يحتاج الى نفقات كثيرة ، او ادارة واسعة ، او كبير عناء . فما على القائمين بامرها ، وقد يكون فردا واحدا يدير عمله من منزله ، او من غرفة الفندق الذى يعيش فيه ـ ما على هؤلاء الا ان ينشروا اعلانا فى صحيفة او مجلة ، يذكرون فيه استعدادهم لارسال قائمة باسماء طائفة من الفتيات او النساء لمن يريد من الرجال ، واسماء طائفة من الشبان والرجال لمن تريد من النساء ، مقابل مبلغ معين ، لا يتجاوز عادة ما يعادل عشرين او ثلاثين قرشا مصريا . والصحف والمجلات التى تنشر مثل هذه الاعلانات ، صحف ومجلات معينة ، تقراها طائفة معينة من الناس

وما يكاد يظهر اعلان من هذا النوع ، حتى ينهال على صاحبه سيل من الرسائل من كل صوب ، من رجال ونساء من جميع الاعمار من مراهقين وشبان ومتوسطى الاعمار وشيوخ وعوانس وعجائز . يصف كل منهم نفسه ، وصفا يتفق وذمته وخياله ، كما يصف من يريد التعرف عليه ومراسلته، وصفا يتفق وميله وشعره وخياله .

ولما كان الطلاب الذين يريدون الانضمام الى هذه المؤسسات يذكرون عناوينهم ويبعثون بقيمة الاشتراك ، فما على صاحب المؤسسة سوى ان يجمع الاسماء وعناوينها ، ويبوبها ويرتبها ، ثم يبعث لكل مشترك من الجنس النشيط قائمة باسماء المشتركات من الجنس اللطيف ، وبالعكس . ومتى كرر الاعلان فى هذه الصحف والمجلات وتراكمت لديه رسائل المشتركين والمشتركات ، امكن تقسيمهم الى فصول واقسام ، تبعا لاعمارهم واوصافهم وميولهم، وارسل لكل مشترك اسماء القسم الذى يلائمه . وبهذا يتم التعارف «على بياض» . وقد يتمكن الحب بين قلبين لاول رمية ، او قد يضطر العضو الى ان يراسل عدة زملاء من الجنس الاخر ، الى ان يعثر على ضالته المنشودة ، او الى ان يصور له الشعر والخيال انه اصطاد السمكة التى القى لاجلها بشبكته

اما المؤسسات الاجتماعية للمراسلة وتبادل المعرفة ، فالغرض منها فى الاصل اتصال الافراد من امم مختلفة بعضهم ببعض ، وبذلك يتقوى احدهما فى لغة الاخر الاجنبية عنه ، ويزداد الثانى الماما بعادات البلد الذى ينتمى اليها زميله ، وتقاليدها واخبارها . وقد يكون الغرض اوسع من ذلك ، اى توثيق عرى الصداقة بين افراد

امة من الأمم وسواها من الشعوب فى سائر الأقطار ، بتبادل الرسائل بين من يريد من شعوب هـذه الأقطار . واكثر هذه المؤسسات تنشأ فى المدارس الابتدائية والثانوية ، وفى الكليات والجامعات ، وفى الأندية الخاصة . ولا يعنى اعضاء هـذه المؤسسات بجنس من يراسلهم فى بلادهم ، أو فى البلدان الأجنبية ، فقد تنشأ المراسلة بين ذكرين ، او انثيين ، او بين ذكر وانثى ، كما اتفق . بيد أن المسألة سرعان ما تتطور ، ويؤثر الكاتب ان يراسل فردا من الجنس الآخر . كما تتطور العلاقة من ناحية اخرى ، فبدلا من أن تكون الرسائل نفعية محضة للمعرفة او تقوية اللغة او الالمام بالعادات والتقاليد ، او توثيق عرى الصداقة بين امتين ـ بدلا من هذه تنقلب لغة الرسائل الى لغة عاطفية ، تزدرع فيها بذور الحب ، وسرعان ما تنمو وتترعرع ، وقد تصبح غراما اكيدا ، قد ينتهى بانتقال الواحد الى بلد الآخر ، والذهاب توا الى الكنيسة او المأذون الشرعى وبهذا تنتهى المسألة فى المؤسسة الاجتماعية الى عين النتيجة التى تنتهى بها مثلها فى المؤسسة التجارية

●

وقد لا يعلم القارىء انه مع عدم وجود مثل هذه المؤسسات فى مصر ، فان بين المصريين ، خصوصا الطلبة ، من يراسل اعضاء مؤسسات فى الخارج .

ويعرف كاتب هذه السطور حالات من هـذا النوع ، منها ما انتهى بمأساة ، ومنها ما كان مهزلة ، ومنها ما ادى الى اتصال برىء سليم ، تبودلت فيه الفوائد العلمية والثقافية والاجتماعية ، وامتلأت فيه الرسائل بعبارات الصفاء والتودد ، وابيضت صفحاتها بقطع فريدة من الشعر والفن والأدب . وقد التقيت مرات عدة مصادفة فى اوربا وأميركا بأفراد من الذكور والاناث ، فأسروا الى انهم يراسلون مصريين ومصريات من غير ان يبوحوا بالاسماء . كما طلب الى مرات فى أندية ومعاهد للتعليم أن امدهم باسماء افراد يستطيعون مراسلتهم لمجرد التعارف وتبادل الآراء والوقوف على العادات والتقاليد. واذكر أن تلميذة صغيرة فى نحو التاسعة من عمرها ، طلبت الى عند زيارة مدرستها ان أدون فى كراستها اسمى واسم بلادى ، ولم تمض شهور بعد عودتى حتى جاءتنى منها رسالة بديعة ، لغتها لغة الطفولة ، وغلافها لايذكر فيه سوى كلمة «مصر» والاسم مجردا عن اللقب . وقد حملها الى البريد وكان كل ما تريده تلك الطفلة أن أرسل اليها عروسا مصرية مبرقعة ففعلت

●

وحدث مرات ان طلب الى بعض الطلاب ان ادلهم على مؤسسة مدرسية او جامعية لمراسلة احد اعضائها ، فاجبت

طلبهم ، مع توصيتهم بتمثيل مصر فيها تمثيلا مشرفا . واذكر مرة اننى كنت مع صديق فى احدى مدن اوربا اصور كنيسة اثرية ، وصادف أن كان امام بابها آنستان لم تقصد ظهورهما فى الصورة ، ولكنهما اقتربتا منا وطلبتا الينا ان نرسل الى احداهما نسخة من الصورة بعنوانها فى بلجيكا ، ففعلنا . وكانت هذه الصورة واسطة للتعارف متينة تقابلت بعدها احدى هاتين الآنستين فى اوربا مع صديقى هذا مرات . ومن الحوادث المضحكة اننى عثرت مرة فى انجلترا على مجلة ، فبعثت بها الى هذا الصديق عينه . وكان بها عنوان احدى المؤسسات التجارية للمراسلة . فما كان منه الا ان اتصل بهذه المؤسسة وعثر على عناوين عدة ، فتخير احدها واخذ يراسل صاحبته نحو تسع سنوات ، تبادلا فيها عبارات الحب ، الى ان اتيح لها فى النهاية ان تزور مصر وتستمتع بجوها وآثارها . وبالرغم من تمكن عرى الصداقة بينهما بالمراسلة ، وتبادل عبارات الحب والصور الشمسية طيلة تسع سنوات ، فانهما لم يجدا عند اللقاء وجها لوجه ، ادنى اثر للانسجام او الحب ، وان ابدى كل منهما للآخر مظاهر الاحترام والكياسة واللطف والبشاشة

والحب بالمراسلة له مثيل فى ناحية أخرى من النواحى الاجتماعية ، وهو ما يسمونه المواعيد «على بياض» او المواعيد « العمياء » ففى المراقص العديدة التى تقيمها الجامعات — مثلا — يحدث أن فتاة تشكو للعميدة أنها لا تعرف طالبا يراقصها ، فتخرج العميدة من سجلها اسماء طلاب ذكور ، لا يعرفون فتيات يراقصونهن ، وبكتابة عناوين هؤلاء وارقام التليفون تتصل الفتاة بشاب وتلتقى معه بموعد «على بياض» للرقص او الخروج للسينما او المطعم او النزهة ، وقد ينتهى الموعد بصداقة متينة فخطبة ، فزواج . ومثل هذا النوع من التعارف يحدث فى بعض الاندية ، وقد تكون نتيجته اما التوفيق ، أو فقدان الامل

واذا بحثنا عن اولئك الافراد الذين يسعون الى الجنس الآخر عن طريق المراسلة ، خصوصا افراد الجنس اللطيف ، وجدنا انهن عادة من فرائس الوحدة ، والوحشة ، وفرط الحياء ، وعدم الثقة بالنفس ، والشعور بمركب النقص ، او من اللاتى حاولن التقرب الى الجنس النشيط بجميع الوسائل الأخرى ففشلن . أما الأفراد من الجنس النشيط الذين يسعون الى الحب بالمراسلة فاكثرهم من محبى المغامرة الذين لا يهدأ لهم بال الا اذا غزوا كل ميدان ، والقوا شباكهم فى كل بحر وبحيرة . بيد اننا نجد النوعين فى كل من الجنسين

تجربة..!

بقلم الأستاذ طاهر الطناحي

> « كنت أتمنى أن أعيش لمصر حتى أراها حرة مستقلة »
> مصطفى كامل

ـ ان أسبوعا واحدا يا والدتي يمضي بلا عمل، يرجع بجهادنا سبع سنوات الى الوراء ..

ـ لعلك تحسبني يا مصطفى اني أنصحك بقلب الأم الرءوم، التي تؤثر وليدها على كل شيء، وتضن بصحته وحياته .. كلا، فما جال بخاطري، ولا سنح بفكري أن اثبط عزمك، أو أثنى ارادتك. بل اني أهيب بك أن تستجيب يوما للراحة، فان في حياتك حياة لمصر

ـ حقا يا والدتي اني في حاجة الى الراحة، فمن أشق الأعمال أن يجاهد المرء الزمن والحوادث والناس .. ولكني لا أرى الوقت مناسبا للراحة !

ـ ان في الراحة استجماما لجسمك، وغذاء لنفسك وروحك

ـ ان روحي تتغذى من حب الوطن، وبغيره لا أستطيع الحياة، ولا قيمة للحياة بغير هذا الحب الرائع الذي يفيض على النفس كل سلوى وسعادة. ولا يجد الانسان القوة والأمل الا في حب الوطن

ـ ان حبك لمصر بلغ حد التفاني . واني أناشدك الا تبلغ بجسمك حد الفناء .. ولقد بذلت لوطنك ما ليس وراءه مطمع، ولا زيادة لمستزيد، ولا مذهب لذي همة . فاشفق بنفسك، فان موتك لايحزنني وحدي، بل يحزن أمة بأسرها، وان مصر لا تفقد فيك رجلا واحدا، بل تفقد أملا ومستقبلا !

ـ سأبقى حتى الممات حاملا لواء الاستقلال والحرية، اذ أجد حياتي في هذه العقيدة .. وبغيرها لا أستطيع الحياة

❋

وسكتت السيدة « حفيظة » والدة الزعيم، ثم قالت له :

ـ هذا رهين بتقديرك يا مصطفى . فان كنت واثقا ان في شقائك سعادة لمصر، فلا تنم الليل والنهار، ولاتبخل بصحتك وحياتك في سبيل بلادك، فانت ابنها قبل ان تكون ابني !

فقال مصطفى كامل :

ـ الحياة جهاد، وخير الناس من جاهد في سبيل بلاده، وعمل لخيرها، وناضل عن حقوقها !

ــ اصبت يابني .. جاهد ما استطعت ، فقد وهبتك لمصر التي تحبها ، واحبها .. !

ــ ان مصر جديرة بأن تحب بكل قوة ، بكل عاطفة ، بكل جارحة ، بكل نفس ، بكل حياة

ــ اذن فاستمر يابني ، ولا تخش شيئا

ــ سأستمر بمشيئة الله طول حياتي ، ولو بقيت وحيدا اخطب في الصحراء ، واكتب على صفحات الماء . وما دامت هذه الشعلة الوطنية تغذيني ، فاني لا اهاب احدا في الوجود

ان لي روحا هي من نور الحرية الساطعة ، لا تستطيع الحياة في ظلمات الظلم والاستبداد .. ان روحي تنادي الى يوم الممات ما شاكلها من الارواح الشريفة لتتحد معها على القيام بهذا العمل الشرعي الحق !

*

وجعل مصطفى كامل يبذل من نفسه وروحه وصحته في سبيل وطنه وأمته ، ويصارع الحوادث والاهوال ، ويقارع خصوم الحرية والاستقلال بعزم تقصر عنه عزائم الكماة والابطال ، على الرغم من ضعف جسمه ، وسنه الباكرة ، وكأنما الطبيعة خالفت سنتها ــ على حد قوله : « اذ جعلت قوة روحي أكبر من قوة جسمي » !

وما كادت تهل سنة ١٩٠٣ حتى احس بانه في حاجة الى



الزعيم مصطفى كامل على فراش المرض

صراع جديد ـ صراع المرض الى جانب صراع الناس والاحداث ، ولم يكن فى الماضى يأبه لهذا الصراع ، أو يسمع لنصيحة الاطباء . فسافر للاستشفاء الى احدى مدن أوربا ، ولكنه كان ينسى المرض أو يتناساه ، ولا يلبث ان يهمل عنايته بصحته ، ويهتم بامر وطنه وجهاده ، ولا ينفك يعمل بهمة فتية ، وروح قوية ، وارادة لايثنيها السقام ، وعزم لا تقعد به الشدائد عن الجراة والاقدام :

واذا كانت النفوس كبارا

تعبت فى مرادها الاجسام

وقال لصديقه محمد فريد بك يوما ، وهويطلب اليه أن يستريح رفقا بصحته :

ـ انى مستمر الى يوم الوفاة على خدمة بلادى . وان غيرتى على حقوقها تزداد يوما بعد يوم ، ولا يقلل من عزمى تهاون بقية المصريين ابدا ، بل انى سائر الى الامام حتى انزل القبر .. وبعد موتى يكون على روحى واجب الاستمرار ، وواجب دعوة الاحياء الى العمل ، وان شئت قل واجب احياء من هم أموات فى قالب أحياء

*

لم يرفق مصطفى كامل بجسمه الضعيف ، حتى تحالف عليه المرض والنحول ، وصار روحا فى هيكل عظمى ، وشبحا مجسما من الهمم والعزائم ، لا مادة قوية البنيان ، شديدة الاركان ، وكان بناؤه كالمعجزات ، وظهوره فى هذا الكيان العجيب من آيات الله البينات

*

وفى سنة ١٩٠٦ ، وهو يستشفى باحدى مدن أوربا ، وقعت حادثة دنشواى ، فما كادت تبلغه انباؤها ، حتى وثب كالأسد الهصور ، وزار زئيره القوى ، وصاح صيحاته التى دوت فى انحاء العالم أجمع ، ضد هذه الوحشية الشنيعة التى اقترفها رجال الاحتلال ، وكان لها مابعدها من نتائج .. وفى أواخر الصيف اعتزم العودة الى مصر ، ولكنه علم قبل عودته ان لجنة فى مصر تألفت لتكريمه فى حفل حافل ، وجعلت تجمع الاكتتابات ، فغضب لذلك ، وبعث الى صديقه محمد فريد بك برسالة يعتذر فيها عن هذا التكريم

*

عاد مصطفى كامل ، ونازل المرض فى مصر كما نازله فى أوربا ، وتفاقمت الحال ، وناشده أطباؤه الاعتكاف ، فاعتكف فى داره ، ولكنه ما لبث أن نهض من فراشه مجاهدا مكافحا لا تفتر له همة ، ولا ينثنى له عزم . وسافر سنة ١٩٠٧ الى أوربا وطاف مدنها كاتبا وخطيبا . ورجع فى اكتوبر من تلك السنة فقابله الشعب بأعظم مايقابل به الابطال الفاتحون ، وخطب خطبته المشهورة بزيزينيا بالاسكندرية اربع ساعات لم يسترح فيها لحظة ، وكانت كأعظم خطبة خطبها خطيب ثائر ، وزعيم

وطنى فى العالم ، وسافر بعدها الى القاهرة . ولكنه على اثر وصوله شعر بآلام شـديدة فى المعدة ، وساءت الحال ، وقال الطبيب انه « سل فى الامعاء » !

رأى الزعيم الشاب ان نهايته قد دنت ، فقال لطبيبه الدكتور صادق رمضان :

ـ انى اشعر بأن حياتى يدب اليها الفناء ، فهلا أعيش يا ترى حتى ارى اول نجاح لجهودى ، ليحصد الآخرون نتائج جهادى .. ولكن يكفى أن يكون لى وقت للغرس والزرع

فطمأنه الطبيب .. وكان وقتئذ قد قضى خمسة عشر عاما مكافحا من اجل مصر لا يعتمد فى ذلك الا على نفسـه ، وجماعة من اصدقائه ، ولم يكن قد اسس الحزب الوطنى

وذات يوم ـ وهو يعانى علته ، ويخشى أن يفارق هذه الحياة ، قبل ان يطمئن على غرسه ـ دعا الى داره أعوانه واصـدقاءه ، وابتدرهم قائلا :

ـ عما قريب سأفارقكم ..

فظنوا انه يعتزم السفر كعادته الى أوربا للدعاية والجهاد ، فقالوا :

ـ الى أين ؟ ان صـحتك لا تساعد على السفر ، وقد اجهدت نفسك ، وعملت فوق الطاقة ، فاسترح قليلا فى بلدك

فقال لهم :

ـ سـوف يستريح جسمى الراحة الكبرى ، وكنت أود لو استراحت روحى قبل المنون

فقالوا فى دهشة :

ـ ماذا تعنى يا مصطفى ؟ ..

ـ اعنى اننى لن اعيش طويلا ، وقد اموت قريبا ، فلا تضيعوا الوقت واسرعوا فى العمل

ـ سـلمت يا مصطفى ، لا تتشاءم ، ودع عنك هذا الوهم ، وسيمن الله علينا بشفائك التام

ـ كلا ، ليس هذا تشاؤما ، وليس وهمـا .. انى اشعر فى اعماق نفسى بقرب نهايتى ، وان امرءا مثلى يطـالع غـده ليس واهما !

فارتاع الحـاضرون ، ودمعت اعينهم ، وسيطر عليهم شـجو اليم .. والتفت مصطفى كامل الى شـقيقه على فهمى كامل . وقال له :

ـ تشـجع يا أخى .. واذا مت فليحمل اللواء هـذا الرجل النبيل

واشار الى محمد فريد بك .. ثم نظر اليه ، وقال :

ـ عليك يا فريد واجب مقدس لا تتخل عنه حتى الممات . واذا كنت وفيا لى فى حياتى ، فكن وفيا لروحى بعد وفاتى

ثم قال لسائر الحاضرين :

ـ هل يسمح الزمان بأن ارى فى مصر حزبا وطنيـــا شريف المبادىء قبل ان افارقكم .. انى اعرف ان اليائسين سيقولون ان تأسيس حزب كهذا محال . ولكنى اذا كنت لا أيأس من خـلاص بلادى ، فمحـال أن أيأس من تحقيق هذا الامر الجليل

ـ نحن معك يا مصطفى .. وطالما ناشدناك منذ سنوات ان تؤسس هذا الحزب !

*

وفى اوائل دسمبر سنة ١٩٠٧ وقبل وفاته بمائة يوم ، اذاع الفقيد دعوة الى تاسيس الحزب الوطنى ، وانعقدت الجمعية العمومية لأول مرة فى فناء دار اللواء ، ونزل مصطفى من سريره على الرغم من علته وضعف بنيته . وما وقف على المنبر حتى تدفق كالسيل العرم ينحدر من فوق الجبال ، وخطب قائلا :

ـ اننا لسنا حزبا سياسيا فقط ، بل نحن قبل كل شىء حزب حياة للأمة وانهاضها .. انكم أنتم قوتى وساعدى بصفتكم من خير أمة اوقفت لخدمتها حياتى وقواى ، وعقلى ، وقلبى ، وقلمى ، ولسانى ، وصحتى

« وكم من صديق قال لى اشفق على صحتك التى لا تدخر وسعا فى بذلها ، ولكن الواجب لبلادى ووطنى ينسينى هذه النصائح الثمينة »

خطب رحمه الله هذه الخطبة ، وتألف الحزب الوطنى . وأوى الى داره مطمئنا . وكانت خطبة الوداع ، فلم يخطب بعدها أبدا ، واعتكف لم يغادر سريره

وفى ٨ يناير سنة ١٩٠٨ بعث الى صديقته الكاتبة الفرنسية الكبيرة مدام جوليت آدم برسالة يصف فيها صحته ، ويقول :

« سيدتى العزيزة :



السيدة حفيظة والدة مصطفى كامل بين شقيقتيه

« انى مريض جدا منذ السابع عشر من شهر نوفمبر ، وقد بذلت مجهودا فوق الطاقة لالقاء خطبتى فى الجمعية العمومية للحزب الوطنى ، وان نجاحى السياسى ونجاح المسالة المقدسة التى اناضل عنها يفوقان كل ما أملته

« أما صحتى ، فهى بين اليأس والرجاء .. والاطباء مطمئنون الآن . واذا تحسنت صحتى بعد اسبوعين اسافر لأقيم فى أسوان شهرا

« هذا ما يختص بالسياسة والصحة . وأما ما يختص برسائلك ، فانها تفتن كل العالم ، وانك تؤلميننى كثيرا بمنعها

« حدثينى عن البرتغال ، ولا تكونى فى صف الملك ، وعن المجهودات التى بذلتها أمة

التشـيك فى سبيل نهضـتها ، وغير ذلك مما يعد عندك بالالف « واعفى عنى اذا لم أكتب اليك كثيرا ، فان كثرة الـكتابة تتعب

المخلص لك بكلياته
مصطفى كامل »

*

تفاقمت العلة ، وادلهم الخطب، وفزعت مصر لمرض زعيمهـا الشـاب ، وانتظمتها اللوعة عند ما علمت بالخطر يدب الى حياته ، وهرعت الوفود الى داره تسال عن صحته ، واتجهت بآمالها الى الله ضارعة ان يشفى لها ابن مصر البـار .. وتحالفت الآلام مع الأيام ، واشرف الزعيـم على النهاية ، واجتمع بعض اهله حول سريره ذات ليلة من تلك الليالى السود، فجعل يحادثهم عن آماله واحلامه ، ويشكو بعض اشجانه وسقامه ، ودمعت عيناه ، فبكى الحاضرون . ولكنه نفر قائلا :

ــ لا تبكوا .. انى لم اعرف البكاء يوما على نفسى ، او الحزن على حياتى ، واذا بكيت اليوم فانما ابكى لمصر المسكينة ! .. آه لو عشت عشرين عاما أخرى .. اذن لمت هانىء البال مطمئنا !

وهنا دخلت شقيقته الصغرى « نفيسـة » فدعاها للجلوس ، ثم اخذ بيدها وقال :

ــ كنت اتمنى ان اعيش لمصر حتى أراها حرة مستقلة ، وان اعيش لك حتى اراك عروسا فى منزل زوجك !

فبـكت الطفـلة الصـغيرة ، واعترى الحـاضرين والحـاضرات نشيج محزن ، فربت على كتف شـقيقته ، وقال : « لا تبـكى يا أختاه » .. فقال شقيقه على فهمى كامل :

ــ اشـفق يا مصطفى بأهلك ونفسـك !

فقال مصطفى فى الم :

ــ سنتعب يا اخى بعدى .. ولكن لا تحزن وتشجع !

وفى يوم السبت ٨ فبراير، أى قبل وفاته بيومين ، زاره سمو الخـديو عبـاس حلمى الثانى ، فاضطجع له الفقيد فى سريره ، اذ صـار لا يقوى على الوقوف ، وجلس سـموه معه يسـاله عن صحته ويخفف من آلامه ، فقال له مصطفى :

ــ لى رجاء يا افندينا ، وانا اشعر بقرب الاجـل ان تعطف على الحزب الوطنى فانه أمل مصر فطمأنه الخديو ، وتمنى له حياة طويلة . ثم انصرف

وزاره فى المساء بعض اصدقائه وفيهم أمير الشعراء احمد شوقى. وكان يكتب بيد مرتجفة احتجاجه ضد تصريح السير ادوارد جراى فى مجلس العموم عن عدم كفاية المصريين للحكم ، ودخـل عليهم الدكتور صادق رمضان ففحصه فقال له مصطفى :

ــ هل هناك أمل ؟

قال الطبيب :

ــ نعم ، ولا حياة مع اليأس ، ولا يأس مع الحياة

فقال له :

ـ لكنى اشعر بانى اذوب كما يذوب السراج الواهن الضعيف!

ثم التفت مصطفى الى شوقى بك ، وقال :

ـ سوف ترثينى يا شوقى .. اجل .. اليس كذلك ؟ ..

فصمت شوقى ، وصمت الحاضرون صمتا رهيبا ..

وفى ذلك قال شوقى بك بعد وفاته :

ولقد نظرتك والردى بك محدق
والداء ملء معالم الجثمان
يبغى ويطغى والطبيب مضلل
قنط وساعات الرحيل دوان
تملى وتكتب والمشاغل جمة
ويداك فى القرطاس ترتجفان
فهششت لى حتى كأنك عائدى
وأنا الذى هد السقام كيانى
ورأيت كيف تموت آساد الشرى
وعرفت كيف مصارع الشجعان
وجعلت تسألنى الرثاء فهاكه
من ادمعى وسرائرى وجنانى

❋

وفى الساعة الرابعة من صباح يوم وفاته ـ ١٠ فبراير ـ استيقظ من نومه غارقا فى بحر من العرق ـ وكان فى المساء قد نام نوما هادئا بعد سمر طويل مع اخوته واخواته ، انعش فى نفوسهم الامل فى شفائه ـ فأتوا له بثياب أخرى ، ثم نام الى الساعة العاشرة ، واستيقظ . فدخل عليه على فهمى بك ، وجلس كعادته يحادثه ، فلم يقو مصطفى على الكلام ، ولاحظ شقيقه اصفرارا فى وجهه ، وجمودا فى عينيه ، وشرودا فى فكره . فهلعت نفسه ، وملىء رعبا، وناداه مرارا : «مصطفى.. مصطفى..!» فلم يجب ، فصاح به فى جزع ولوعة. ففتح مصطفى عينيه ، واجاب فى صوت مهدج :

ـ لا شىء .. لا تخف .. تشجع يا على .. واستمر فى عملك بحكمة ليسهل عليك بلوغ الامل

ثم سكت سكوتا عميقا . واعترته سكرة من سكرات الموت فاذا هو يغمغم بكلمات لا يسمعها الحاضرون .. ثم اذا هم يرونه يفتح عينيه ، ويلمع فيهما هذا البريق الجميل الذى كان يشع منه النور.. ثم اذا هم يسمعونه يتكلم بصوت واهن ولكنه ذو نبرات خطابية مؤثرة، وكانما يحلم بمواقفه على المنابر خطيبا صداحا. . ثم اذا هو يردد بعض كلمات من خطبته بزيزينيا :

ـ دهش الذين كانوا لا يرون فينا الا أمواتا تتحرك ، كما بهت أعداء الوطنية من هذه الروح الجديدة التى دبت فى الأمة ، وقالوا عجبا أيحيا هذا الشعب ؟ أتنهض مصر بنفسها ؟ أتعمل للاستقلال وحدها ؟ اتقدر على تحقيق مطالبها بمحض ارادتها ؟ اتقاتل اليأس والقنوط ، وتتغلب على الحوادث والكوارث ؟

« أجل يا أعداء مصر . والف مرة أجل.. ان مصر بالغة آمالها، ومحققة أمانيها بارادتها وهمتها. .

انا وجهنا قلوبنا ونفوسنا وقوانا وأعمارنا الى أشرف غاية اتجهت اليها الامم في ماضي الايام وحاضرها، فلا الدسائس تخيفنا ، ولا التهديدات تقفنا في طريقنا ، ولا الشتائم تؤثر فينا ، ولا الخيانات تزعجنا ، ولا الموت نفسه يحول بيننا وبين هذه الغاية التي تصغر بجانبها كل غاية ! .. »

وأرهف الحاضرون أسماعهم لخطيب الوطنية المصرية الاكبر في سكرات المنون، واحلام الغيبوبة ، وناداه صديقه محمد فريد بك :

ـ أي مصطفى .. سلمت لنا ولقومك ووطنك .. ان وجودك وجود لنا . ونحن معك ، وتحت لوائك الى النهاية المحتومة

وعاد الزعيم يغمغم بنبرات واضحة ، وفي صوت تغالبه السكرات :

ـ نعم لو تخطفنا الموت من هذه الدار واحداً واحدا ، لكانت آخر كلماتنا لمن بعدنا ، كونوا أسعد حظا منا ، وليبارك الله فيكم، ويجعل الفوز على أيديكم . .

وتوقف صوته، وذابت نبراته، ولكن شفتيه كانتا تتحركان ، واستمرتا في حركتهما لحظات كانت من أرهب اللحظات حتى سكنتا في هدوء وسلام !

وناداه الحاضرون ، فلم يجب ، وفحصه الطبيب ، فوجد قلبه ينبض نبضاته الاخيرة.. وكانت الرابعة بعد الظهر ، فتنبه قليلا ، وقال :

ـ مسكينة يا مصر ! ..

ثم سكت الى الابد ، وكانت هذه آخر كلماته ، غاب بعدها عن الوجود ، وانحدرت شمس حياته وراء الافق ، ولكن روحه بقيت ساطعة في سماء الخلود !..

طاهر الطناحي

أسلوب الحكيم

كتب عمر بن عبد العزيز الى ابن ارطاة ـ وكان عاملا على البصرة : أما بعد ، فقد جاءني كتابك تذكر أن قبلك عمالا قد ظهرت خيانتهم ، وتسألني ان آذن لك في عذابهم . كأنك ترى أني لك جنة من دون الله . فاذا جاءك كتابي هذا ، فان قامت عليهم بينة فخذهم بذلك ، والا فأحلفهم دبر صلاة العصر بالله الذي لا اله الا هو ما اختانوا من مال المسلمين شيئا ، فان حلفوا فخل سبيلهم ، فانما هو مال المسلمين، وليس للشحيح منهم الا جهد ايمانهم . ولعمري لان يلقوا الله بخيانتهم أحب الى من أن القى الله بدمائهم والسلام !



البيت السعيد

كانا طالبين يدرسان الطب معا فى جامعة « براغ » بتشيكوسلوفاكيا ابان الحرب العالمية الاولى . واعجب كل منهما بالآخر .. فهو شاب مثابر طموح يدعى « كارل كورى » سليل اسرة ضمت عددا من العلماء ، فأبوه وجده كانا استاذين معروفين فى الجامعة ، وهى فتاة وديعة شغوفة بالعلم تواقة الى المجد تدعى « جريتا » . وما لبث ان تطور الاعجاب الى حب ، وانتهى الحب بالزواج

وعاشا مثلا للتعاون والوفاق . فهما فى البيت يعملان جنبا الى جنب فى الطهى وغسل الاطباق وترتيب الاثاث والأسرة ، وفى العيادة يتشاوران ويتعاونان فى التشخيص والعلاج . ولكن مهنة الطب لم ترق لهما .. فهما — كما قالت مسز كورى مرة — لم يخلقا الا للبحث والكشف والاستقصاء . لذلك رحلا الى امريكا عام ١٩٢٢ عسى ان يجدا فى معاملها وجوها العلمى مايشبع رغبتهما . واتصلا باحدى الجامعات وشرعا يفكران فى كشف أسرار التفاعلات الكيميائية فى الكائنات الحية . فاتجه تفكيرهما الى البحث من حقيقة « الانزيمات » . وهى ذلك العنصر الغامض فى الطبيعة الذى يعين النبات وجسم الحيوان والانسان على اتمام عمليات كيميائية يتعذر اجراؤها فى المعمل

وظلا سنوات يعملان معا ويبحثان حتى اكتشفا « الانزيمات » التى اطلقا عليها اسم




الى اليمين ـ الزوجان العالمان « بيير ومارى كورى » تتوسطهما ابنتهما « ايرين » التى ورثت عنهما حب العلم . . وهى ترى الى اليسار مع زوجها « فردريك كورى »

« فوسفوريلاز Phosphory lase »
وبعد تجارب عديدة ، تمكنا بها من تقليد ما يحدث فى اجسام الكائنات الحية ، واستطاعا ان يحولا ـ فى أنبوبة الاختبار ـ مادة النشا الى سكر ، وتحويل السكر مرة اخرى الى نشا

وقد ظفرا لهذا الكشف بتقدير العلماء والكيميائيين ، كما ظفرا بجائزة نوبل ، وقدرها ما يعادل نحو خمسة آلاف جنيه مصرى .
وقد قالا اخيرا فى حديث لهما مع احد الصحفيين : « لقد استغرق البحث زمنا طويلا تخللته فترات يأس . ولكنا كنا نتمثل امام اعيننا صورة الزوجين « بيير ومارى كورى » وقصة صراعهما فى سبيل اكتشاف الراديوم ، وكذلك صورة الزوجين « فردريك وايرين كورى » وجلدهما ومثابرتهما فى البحث فى ميدان الاشعاع الذرى . فيعاودنا الامل والرجاء . . ونحن نحمد الله اذ تكللت بحوثنا أخيرا بالنجاح »

ولهذين الزوجين ولد فى الحادية عشرة من عمره . . قال ابوه حين سئل عن الخطط التى وضعها لتعليمه : « اننا نعتزم تركه حرا يرسم لنفسه الخطة التى يريدها ، والطريق الذى يلذ له السير فيه . وكل ما أرجوه له ، أن يختار لنفسه فى المستقبل زوجة تشاركه فى آماله واهدافه ، وأن يتعاونا معا فى شق طريقهما فى الحياة »



« كارل ، وجرتى كورى » الزوجان اللذان فازا
بجائزة نوبل . . يواصلان البحث في معملهما الخاص

فن الأصغاء

بقلم الدكتور أمير بقطر

« إن فن الاصغاء عنصر هام فى آداب الحديث . وليس معناه أن تلجم لسانك، ولكن أن تعطى سواك مجالا للكلام »

لم تعد مواد الدراسة فى معاهد التعليم الحديثة على اختلاف درجاتها ، مقصورة على العلوم اللغوية والطبيعية والاجتماعية ، كماعهدناها فى المدارس والجامعات التقليدية . واذا شئنا ، لملأنا صفحات الهلال باسماء علوم حديثة ، ينفر لذكرها معلمو المدرسة القديمة وأساتذتها . ومن هذه المواد التى تتصل بموضوعنا : فن السكوت ، فن الكلام ، فن الحديث ، فن الاستماع ، فن الاصغاء. ومع تقارب هذه المواد، واتصال موضوعاتها ، فان كلا منها فن خاص ، يعني بدراسته نظريا وعلميا بعض دور التعليم

كنت حديث العهد بالحياة الجامعية فى أكبر مدينة بأمريكا ، حينما انتهرني احد الطلاب فى رفق ، قائلا وهو يهمس : «اصه ياهذا .. فنحن فى فترة السكوت "Silent Hour"

وما فترة السكوت هذه أيها الزميل ؟ قال : « بين الساعة الواحدة والثانية من مساء كل يوم لا يجوز الكلام ـ الا همسا عند الضرورة القصوى ـ فى جميع بنايات الجامعة المائة والعشرين ، خارج قاعات المحاضرات» . قلت : « حبذا لو فرض هذا القانون فى كل مكان فى أوقات معينة ، وعلى الاخص فى مدارس البنات ، والاندية النسوية ، ومنازل الزوجية ! ! ففي السكوت راحة للأبدان والعقول ، وعزاء للنفوس ، وفرصة للتفكير، والتأمل الباطني، ومحاسبة الضمير »

أما فن الكلام Speech فمادة دراسية لا تخلو منها مدرسة او جامعة أميركية اطلاقا ، وقد حلت مكان مادة الخطابة . فبينما كانت مادة الخطابة يعني فيها بذلك الضرب من التهريج ، ورفع العقيرة ، وانتقاء أضخم الالفاظ وأبهر العبارات للتأثير فى السامعين، فان مادة الكلام تعني بالمنطق ، وسلامة العبارة ، والذوق فى انتقاء الالفاظ ، واتزان الصوت ، اتزانا ترتاح له آذان السامعين. فيأتي الاقناع عن طريق العقل ، لا عن طريق الانفعالات النفسية ،

وضـياع الزمن فى الهواء ، وذر الرماد فى العيون

*

وفن الاستماع .. ما احوجنا الى دراسته فى عصر كثرت فيه المحاضرات والمواعظ والخطب ، وانتشرت فيه المنابر فى الاندية ، والمعاهد، والمؤسسات، والمجالس النيابية !! فكم من هذه الخطب والمحاضرات والمواعظ ، تذهب سدى ، لأن سامعيها يجهلون فن الاستماع !! يجهلون ان المحاضر قصد أن يقول شيئا ، قد يكون موجها اليهم خاصة ، فلا تتسع صدورهم للفهم ، ولا يهيئون انفسهم للتعلم ، ولا يجردونها من الاهواء اذا ما خالفهم فى الراي ، ولا يخصصون جزءا من اوقاتهم فى التفكير فيما ادلى به المحاضر ، ولا يتخذونه حافزا للاستزادة من المعلومات المتصلة بالموضوع

ولعل فن الاصغاء ، بالرغم من اتصاله بفن الاستماع ، اكثر اهمية منه ، لأن الثاني جزء من الاول ، فلاعجب اذا رأينا جامعات هرفرد وبرنستون وشيكاغو وكلية رادكليف بأميركا ، وغيرها من كبريات الجامعات والكليات ، تخصص لفن الاصغاء مكانا فى مناهجها تدرسه لمن يشاء ، كما تدرس الكيمياء والتشريح والتاريخ والقانون

كتبت اخيرا اكبر جماعة من جماعات التربية فى اميركا تقريرا عن الغرض من تدريس لغة البلاد فى معاهد التعليم ، فاوجزته فى الفنون الآتية ، وهى : (١) فن القراءة السليمة (٢) فن الكتابة الواضحة الصحيحة (٣) فن الكلام الفصيح ، السهل ، الطلق (٤) فن الاصغاء المنتج . ومن اقوال سيدة من سيدات الطبقات الراقية ان فن الاصغاء يكسب صاحبه كثيرا من الاصدقاء ، ويؤثر فى من يتصل بهم ممن يعرف وممن لا يعرف ، اكثر من اي شيء آخر

ومن اثمن النصائح والدرر الغوالي ، التى تلقيها الام الحكيمة على مسامع ابنتها ، التى على اهبة الزواج، أن تتقن فن الاصغاء. فقد عرفت الفضليات من النساء على مدى العصور ، ان طلاقة اللسان وطلاقة الحديث عند المراة ، ليستا الطريق المهد المعبد الذي يؤدي الى قلب الرجل ، وان اشد الفتيات اتقانا لفن الاصغاء ، اسرعهن الى الحب والزواج . وفى طبقات المجتمعات العليا، يتفادون دعوة الثرثار او الثرثارة على الاخص الى الولائم والحفلات الساهرة ، لانه يستأثر بالحديث ويحتكره . والناس بطبيعتهم مولعون بالكلام وشهوة التعبير ، فاذا ما سلبوا لذة الكلام وحرموا شهوة التعبير ، كرهوا الثرثار وصاحب الدعوة

ومن مبادىء التربية المعروفة ان الام الثرثارة التى لا تنقطع عن الكلام والارشاد وابداء الملاحظات تعطل على اطفالها ملكة الكلام ، وبذلك تضع فى سبيل تأديبهم

وتهذيبهم اشد العقبات ، وهى لا تدرى . اما الأم التى تحرص على الاصغاء اليهم ، فانها تترك لهم المجال واسعا ، فيخرجون من مكامن وجدانهم كل ما يبطنون، وبذلك تبدو ميولهم عارية مكشوفة ، فيسهل توجيههم ، وتغذية ميولهم، واشباع وجدانهم

والخطأ الذي يقع فيه أكثر الناس ، ظنهم أننا نتحدث لننقل معلومات معينة الى آذان السامع ، فى حين أن هذا صحيح احيانا ، ولكن ليس فى كل حين . وقد اشارت الكاتبة المشهورة «جريتا بالمر» الى الاهداف التى يرمي اليها المحدث عادة ، مستقاة من علمي النفس والانتروبولوجيا ، نقتصر على ذكر هدفين منها :

اولا ـ ان بني الانسان اجتماعيون بالطبع ، ينزعون الى الاتصال بغيرهم عن أسهل الطرق، وهو الكلام . ويضرب الاستاذ فى جامعة هرفرد لتلاميذه المثال الآتي : هذا رجل وقف فى طريق عام يصلح عجلة سيارته ، فيمر به انسان لا عهد له به من قبل ويسأله : أفى العجلة ما يستوجب الاصلاح ؟ سؤال لا حاجة اليه لأن جوابه مفهوم . ولكن عابر السبيل هذا يريد أن يقول: « انا لا أعرفك ، ولكن من طبيعة الناس انهم يحبون الكلام ، وان كان هناك ما لا يدعو للكلام ، فليس من المعقول أن أمر بك كأنك قطعة من الخشب . وليس هناك من الموضوعات ما أستطيع ان أفاتحك به ، لانني لا أعرف ميولك . لذلك أستهل اقوالي بالسؤال عن العجلة ، لفتح باب الحديث فقط ، وازالة ما بيننا من الحواجز الناتجة عن عدم التعارف . ومتى تبادلنا الحديث ، احس كل منا بارتياح للآخر» . واكثر الحديث من هذا النوع ، وليس فى شرعة الانصاف نقده او الاعتراض عليه لكونه لا يزيد على معلوماتنا شيئا ، فما هو الا مجرد اعتراف بصداقة الانسان للانسان

ثانيا ـ ان شطرا يذكر من الحديث المألوف فى حياتنا اليومية، محاولة التخلص بكل وسيلة ممكنة من كل انفعال او وجدان يؤلمنا ، والترفيه عما نحس به من غضب ، او كراهية ، اوخوف او حسد ، او غيرة ، أو حب أفلت من ايدينا ، او مال ضاع ، او عزيز فارق الحياة . وقد تدهش ان امرءا يلجأ الى هذه الوسيلة ، مع علمه ان المخاطب لاشان له بهذه الانفعالات النفسية وما يجيش فى بواطننا من ضروب القلق . بيد أن هذا ، على بعده من المنطق ، من طبيعة الانسان ، والطبيعة فى كثير من الاحوال لا شأن لها بالمنطق والمعقول . ويخطيء المرء ـ صديقا كان أو زوجا ـ اذا حكم على حديث الغير بقوانين المنطق ، وليعلم أحد الزوجين على الاخص انه لم يتزوج عقلا ، أو مجموعة قوانين أو قضايا منطقية، ولكنه تزوج انسانا قبل كل شيء ، تلتهب فى جوانحه

عواطف ودوافع وميول ، أكثرها لا منطقية

لقد فات الكثيرين ان النزاع الذي ينشب بين أفراد الاسرة ، يمكن حسمه في غالب الاحوال ، او تبسيطه على الاقل بمجرد الاصغاء. يدخل الزوج لتناول طعام الغداء، فيسخط على الطعام ، ويؤنب ويزجر ، ويعلو صوته .. أيتها الزوجة العاقلة ، دعيه يسخط ويؤنب وينتقد ، واصغي الى ما يقول ، فان سبب غضبه شيء آخر أهم من الاكل . لم يكن الطعام سوى ذريعة توسل بها للتنفيس عن بخار يغلي في صدره ، لسبب يتعلق بعمله في الغالب ، أو بشيء آخر ليس في وسعه الاباحة به . فاذا حاولت اسكاته أو دفع التهمة عنك ، زاد غيظا وحمل الغضب معه الى عمله وساءت حاله ، أما اذا اصغيت فسرعان ما تهدأ ثائرته . سلوا الاطباء عن مرضاهم . ان بين هؤلاء رجالا ونساء ، يدفعون أتعاب الطبيب ، لا لانهم مرضى حقيقة ، ولكن لانهم يريدون مستمعا ، يصغي الى شكواهم وأحاديثهم ومشاكلهم الخاصة . وكلما أتقن الطبيب فن الاصغاء ، اشتد عليه الاقبال ، خصوصا من أفراد الجنس اللطيف ، ولقد شفي عدد كبير منهن لمجرد الاصغاء لا بفعل الدواء

وليس معنى الاصغاء ان تلجم لسانك، ولكن المقصود مما سبق ان تعطي سواك مجالا للكلام ، اذ ان أكثر النـاس يختزنون أقوالا ومشـاعر وأحاسيس وأبخرة ، يريدون أن يطلقوا لها العنـان ، وأن تؤمن على أقوالهم من حين الى حين ، واذا ما خالفتهم في رأي ، فعليك بابداء ذلك بكل تحفظ وهدوء وايجاز ، وعطف على محدثك واحترام لرأيه .

واليك النصائح الآتية في فن الاصغاء ، نقلا عمن قتلوا هذا الموضوع بحثا واستقصاء :

(١) أن فن الاصغاء ، عنصر هام في آداب الحديث ، فعليك أن تظهر لمحدثك ان آذانك مصغية له ، وانك شديد العناية بحديثه. واعلم أن أشنع خطأ يقع فيه المستمع هو المقاطعة والجدل

(٢) اسأل نفسك قبل كل شيء : هل يقصد محدثي أن ينتفع من الاخذ والرد معي ، أو انه يريدني ان أصغي اليه لأساعده ؟ فاذا كان الامر الثاني ، فلا تكن أنانيا ، فالانانية وفن الاصغاء لا يتفقان

(٣) متى أدركت ان محدثك لا يبغي سوى الحديث، فلا تقاطعه او توجه اليه أسئلة ، فقد يؤدي هذا الى احجامه عن الادلاء بكل ما يريد . واحرص أن تؤمن على قوله

(٤) درب نفسك على تفهم المواطن التي تعلم ان محدثك يجد فيها ما يؤلمه . مثال ذلك ، اذا وجدته في سياق الحديث ينفجر فجأة ، عند ما يأتي الى عبارة أو يسرد حادثة معينة ، فلا تحاول

ايقافه او الرد عليه ، بل دعه يتكلم ، فقد يؤدي اصغاؤك وعطفك عليه الى نومه فى تلك الليلة نوما هادئا عميقا لم يعهده منذ سنوات . وخير لك وله أن تعتذر عن الاصغاء اليه ، من أن تناقشه فى نقطة انفعل فيها ، او علا صوته ، أو احمر وجهه

(٥) لا تظن انك لست كفؤا للنصيحة ، اذا رايت ان محدثك ينتظر منك النصيحة . والمهم أن تصغى اليه ، بغير ان تفهمه انك مجرد مستمع . واذا كان الحديث بعيدا عن معلوماتك ، فما عليك الا أن تعير محدثك قلبك واذنيك

(٦) كثيرا ما يسكت محدثك ولا يجد ما يقول . فلا بأس هنا من أن تعيد بعضما قال بالكيفية التى يريدها ،كانتقول له : « اذن تكونأسعدحالالوطلقت زوجتك» او « تود لو القى أبوك فى غياهب السجون » . وليس الغرض من هذا أن تؤمن على أقواله ، ولكن لتعطيه الفرصة حتى يغير من رايه . وهذا ما يحدث فعلا فى أكثر الاحايين

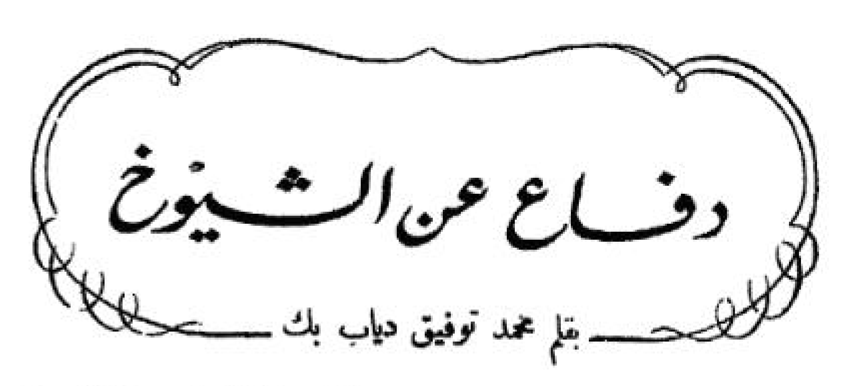
(٧) اذا طلب محدثك منك نصيحة فيما يشكو منه ، فاحذر منأن تقدمها له بطريقة مباشرة ، بل دعه يفكر فى الامر ، وعاونه على التفكير . فخير للمتالم ان يجىء الحل منه بارشادك من ان يجىء منك . وهذه نقطة هامة ، يضع اساتذة جامعة هرفرد النبرة عليها مشددة

(٨) لاتظهرتأففا أواشمئزازا، اذا ما ذكر المحدث مسألة شائنة تصعق لها ، كاعترافه انه اتى منكرا ، أواذا قرع المائدة بعنف ، أواستعمل الفاظا مستهجنة. ان كل مقاومة منك تزيد الالم المآ ، وتمنع صمام الامن من أداء عمله. مثال ذلك اذا كانت تحدثك امراة اخذت تجهش فى البكاء ، فلاتقل لها «كفى» أو« ان بكاءك ياسيدتى يزيدك سوءا » بل دعها تبكى فالبكاء فى هذه الحالة خيرعلاج لها

(٩) اعلم أن الشخص الذي ينفجر فى الحديث ويتخذ خطة سلبية ، انما هو فى طريقه الى الهدوء والرغبة فى اتخاذ خطة ايجابية ، وكلما اشتد الانفجار ، اشرفت الازمة على الانفراج . مثال ذلك أن محدثتك قد تضرب الارض بقدميها ، وتقسم الا تعود الى ذلك الزوج الخائن . وبعد حين تهدأ اعصابها وتقول بصوت هادىء خافت فى شىء من الحياء « بل ساعود وامرى الى الله » ان سكوت المستمع فى هذه الحالة ليس من السهولة بمكان ، ولكنه دواء ناجع .

(١٠) وخاتمةالنصائح انالرجل المولع باحتكار الحديث ، ولا يهمه ما يقول سواه ، موجع ، مريض - اذا جاز لنا استعمال هذا الوصف فى معناه الواسع - فاستمع اليه ، واعطف . وتذرع بالصبر ، فتعينه على الشفاء ، ولك من ربك خير الجزاء

أمير بقطر



دفاع عن الشيوخ

بقلم محمد توفيق دياب بك

طالع قراء الهلال مقال « دفاع عن الشباب » للاستاذ فكرى أباظة بك فى عدد يناير الماضى . وقد حمل فيه على الآباء والشيوخ واتهمهم بالافراط والتفريط ، فعز على الأستاذ توفيق دياب بك هذا الاتهام ، وكتب يرد عليه فى هذا المقال الطريف

●

يا محكمة الرأى العام ..

أتشرف بالمثول امامك على صفحات الهلال ، لا قول ان قضية الشباب التى يدعوك الى نظرها والحكم فيها حضرة الاستاذ الكبير فكرى اباظة بك — قضية غير ذات موضوع

قرأتم — يا حضرات المستشارين — فى يناير الماضى ان مجلة الهلال وكلت الاستاذ فكرى بك — ليدفع عن الشباب تهما موجهة اليه من الشيوخ والكهول والمحافظين ، من مواليد القرن التاسع عشر

وقرأتم كذلك نص المرافعة المتدفقة التى فاض بها لسان حضرة المحامى المدره ، او دبجتها يراعته

ولما كنت — يا حضرات المستشارين — من مواليد القرن التاسع عشر ، سواء أكان مولدى فى اوائله ام فى اواخره ، وسواء اقسا فكرى بك فحشرنى فى زمرة الشيوخ ، أم ترفق فحابانى ، وابقى على مودتى ، فجعلنى كهلا فحسب — فانى ارجو أن تتفضلوا بسماع أقوالى ، رعاية لحق الشيوخ فى الدفاع عن انفسهم امام هيئتكم الموقرة ، وبخاصة اذا علمتم ان « كبار » المحامين قد لا يحبون ان يترافعوا عنا — خشية أن يقال : « بلغوا سن الهرم » فيتأثر دخل مكاتبهم ، أو تهتز عروشهم فى ممالك الجنس اللطيف

*

الا ترون يا حضرات المستشارين ، كيف خف الاستاذ الكبير فكرى اباظه بك الى الشباب يمده بلسانه وبيانه ؟ ولو ضرعنا اليه نحن الآباء

ان يكون لساننا الرطب وبياننا العذب عند ابنائنا ، لأجابنا فى اعراض : اليكم عنى فما كنت ابا قط ولن اكون ... كانما الذنب ذنبنا. ولعله لو شاء لكان ، ولعله لو كان ، لنظر الينا نظرة اقل جفوة ، والى ابنائنا نظرة احجى واصلح !

*

نحن معشر الشيوخ والكهول لم نتهم الشباب.. والامة المصرية ليست منقسمة الى معسكرين متخاصمين ـ شباب يتبرمون بالشيوخ ، وشيوخ يعيبون الشباب .. والصورة التى صور فيها الاستاذ فكرى بك بلاده شيوخها وكهولها وشبابها ـ صورة تبعث الهول فى النفوس يا حضرات المستشارين !

صورة كانى بها مغرقة فى الخمور التى ذكرها ، ملطخة بالآثام التى عددها ، مصبوغة بسواد اليأس الذى اشاعه فى جو المحكمة ، وبحمرة النار المكظومة أو غير المكظومة فى صدور الشباب !

صورة من المفاسد اورثها الآباء ابناءهم المساكين ، ليس يلام عليها الشباب ، لان « المجرم الحقيقى هو السلف الصالح ! » ويريد بالصالح هنا « ضده » اذ الصلاح والاجرام لا يجتمعان

فيا حضرات المستشارين ! يا قراء الهلال ... هل هذا صحيح ؟ كم بينكم من آباء ؟ الوف والوف ! وكم بينكم من ابناء ؟ الوف والوف ! فهل تطاوع الآباء او الابناء منكم ، ضمائرهم ، على اقرار هذه الصورة الفاجعة ؟

احق ان الأبوة فى مصر قد هبطت الى هذا الحضيض ؟ ام حق ان البنوة قد اصابها كل هذا البلاء ؟ ايها الأب المستشار فى محكمة الرأى العام ، كم افسدت من ابنائك بسوء مسلكك فى الدار او خارج الدار ؟ ويا ايها الابن المستشار من قراء الهلال ، كم تلقيت عن ابيك من دروس السوء !

كانى احس ابدانكم تقشعر يا حضرات المستشارين نفورا من وقع هذه الاسئلة . وهل هى الا مجرد اسئلة؟ فكيف يكون وقع التقرير والتوكيد على الصورة التى صورها فكرى بك !

*

لست انكر ـ يا حضرات المستشارين ـ ان كل كائن حى ، فضلا عن الانسان ، يخضع لعاملى الوراثة والبيئة .. لعامل الوراثة من يوم دب فى ارومته الاولى دبيب الحياة ... ولعامل البيئة منذ كان جنينا فى الارحام ، بل منذ كان بذرة فى الاصلاب ، الى ان يختم فى الدنيا ايام الحياة

ولست انكر ان فى مصر مفاسد تلدها بعض البيئات وبعض الوراثات ، ولا أن فيها آباء غير ابرار وابناء غير اخيار . وقد يضل شيوخ وكهول ويضل بضلالهم شباب . ولكن هل خلا من ذلك بلد فى المشارق أو المغارب؟ هل خلت منه حقبة من حقب التاريخ فى اى مكان ؟ قد تختلف

الصور والاشكال .. ولكن مواطن الضعف فى الفطـرة البشرية ما زالت كما كانت ، او قريبةمما كانت ، منذ ابتداء الحضارة !

غيران مرضى النفوس ـ بالقياس الى صحاحها من اشياخ مصر وكهولهـا وشبابها على السواء ـ لا يتجاوزون آحادا فى الالوف ، ولا الوفا فى الملايين . وان بستانا لا تصيب الآفات من اشجاره وثماره الا واحدة فى كل الف ، ثم يسلم لك الباقى ، لبستان مبارك

كذلك بستان هذا الوطن ، بما يضم من اشـجار هى رجاله ونساؤه من كل سن وطبقة ، وبما يؤتى من ثمار هى اعماله وجهوده فى يومه وغده !

*

يا حضرات المستشارين ..

أستحلفكم بعدالة السماء ـ ودعوا عنكم عدالة الارض ـ اى مصلحة وطنية او اجتماعية او خلقية او نفسية يرجوها لمصر او لشباب مصر ، حضرة المحامى الكبير الاستاذ فكرى اباظة بك ، حين يلتمس المعاذير لطلاب المعاهد وتلاميذ المدارس ، اذا هم «خرجوا على نظام البيت والمدرسة ، ولم يحترموا القوانين ولا اللوائح ولا النظام » ـ لماذا ؟ لان « الشباب دم وثاب فوار ، وحال الوطن حال تعسة تستفز الاعصاب ، وتثير الدم ، وتفجر العاطفة !»

ثم لماذا ؟ ثم لأن الشباب « لا يطالب ـ يا حضـرات المستشارين ـ بأن يكون رزينا حكيما عاقلا ، فتلك مهمتكم انتم ومهمة زملائكم من الشيوخ والكهول ، اما مهمة الشباب فهى أن يتألم ويتوجع .. فاذا ما تألم وتوجع ، لم يستطع كظم الغيظ ، ولا كبح الجماح ، فلطم وضرب وثار وأثار ! »

فهل يعجبكم هـذا القول يا حضرات المستشارين من قراء الهلال ؟ هل تعجبكم هذه القسمة الضيزى ..؟ هـل يرى محامى الشباب للشباب أن يتجردوا من الرزانة والحكمة والعقـل ، وأن يتخصصوا فى التألم والتوجع ، والعجز عن كظـم الغيظ وكبح الجماح ، ثم فى اللطم والضرب والثورة والاثارة ! فى حين يحتكر الشيوخ والكهول كل رزانة وكل عقل وكل فكر ؟

والله لولا ان الشيوخ والكهول يحبون لابنائهم ما يحبون لانفسهم ، لرضوا هذه القسمة التى تجعلهم وحدهم عقلاء ، وتجعل الشباب وحدهم مجانين !

*

يا حضرات المستشارين ..

هل تقرون هـذا الكلام ؟ هل يقبل الشيخ منكم أو الكهل ، أن يستأثر دون الشباب بقوة النظر والتقدير والتفكير ! وهل يقبل الشاب منكم أن يسلبـه محامى الشباب ميزة الآدميين ؟

حرام ! حرام جدا . وفكرى بك يصدر حكمه هـذا على الشباب مشمولا بالنفاذ . فيحاول أن يحصر مناصب المستشارين

بمحكمتنا هذه فى الكهول والشيوخ، لان الرزانة والحكمة والعقل مهمتهم وحدهم كما زعم

وهو مع ذلك ينبئنا بأن «الدول البعيدة النظر بدأت تدرب شبابها، وتصعد بهم فجاة الى قمم المناصب العليا والمسئوليات الكبرى »

هذا كلام معقول ! موافقون ! ولكن على الا يحرم الاستاذ ابناءه الشباب رياضة العقول بالتروية والتفكير ، الى جانب تحريك الشعور بالالم والوجيعة ، وتحريك الايدى باللطم والضرب وما اليهما من فنون !

حضرات المستشارين ..

احكموا لنا بالحقيقة .. والحقيقة هى ان مصر بخير . وليس الزعماء كلهم كما وصف المحامى الكبير . ولا الشيوخ يتهمون الشباب ولا الشباب يضمرون للشيوخ موجدة .. وليس الوطن فى حالة تعسة على رغم الغبار الذى يتطاير فى جوه بين حين وحين

وقضية الوادى قضية قوية لا تزيدها الصعاب الا حياة وقوة . فلا تبتئس ايها الصديق ولا تضق ذرعا . واكفف عن قرائك ــ وانا منهم ــ هذا التشاؤم الحالك ، فنحن فى حاجة الى النغم الملهم فى حومة العمل المنتج، لا الى النغم المحزن أو الصوت المرعد ، يزمجر فى فضاء مظلم ، فتستوحش النفوس وتنقبض ، ويقعد بها اليأس عن عزمات العاملين الراشدين

محمد توفيق دياب

ولى الشباب

للأديب الروسى «إيفان تورجنيف»

أيها الشيخ المتصابى .. يا من تتشبث بالماضى البعيد ، لقد ولى الشباب ، وأقبلت الأيام القاتمة البغيضة ... أيام العجز والصقيع الذى لا تدفئه غير نار الذكريات ..!

كل ما كنت شغوفاً به ، وما اعتادته نفسك وتعلق به حسك ، قد مضى وولى .. وبدأت تهبط منحدر التل من الناحية الأخرى ..

فما عساك تفعل ؟ ..

هل تحزن ؟ أو ترتدى على شبابك ثياب الحداد ؟.. إن هذا أو ذاك لن يجديك أو يجدى الناس فتيلا . فانظر إلى الشجرة العتيقة حين تهرم أو تنحنى ، وينوء كاهلها بحملها . تصفر أوراقها وتقل ، لكن خضرتها تبقى كما هى ، تتوج مفرقها .. وهكذا يجب أن تكون أنت .. انطو على نفسك وعش على الذكريات ! فهناك فى أعماق النفس البشرية يزهر الماضى من جديد ، وتنتعش براعم الأيام الخوالى بكل روعتها وخضرتها ، فيطالعك الربيع فى المرآة !

ولكن.. حذار حذار أن تنظر إلى الأمام أيها العجوز المسكين !

ليس من الهين موت الانسان !



في سبيل الحياة

نعيش في عالم يزخر بالميكروبات. فالهواء الذي نستنشقه، والطعام الذي نأكله ، والمواد والادوات التي نستخدمها في حياتنا اليومية، لا تخلو من عدة انواع منها .

ويدهش المرء وهو يتدبر هذه الحقيقة ، اذ يرى في الكون اصحاء خلت ابدانهم من العلل والاسقام، ويحس الانسان وهو يعدد ملايين الميكروبات التي تحيط به ، ان اشباح الموت تتراقص حوله وانها لا محالة سوف تفتك به عما قريب ، وبكل ما يدب على وجه الارض من كائنات . ولو اننا نظرنا الى الطفل بعد ان يولد لازداد عجبنا ونحن نراه ــ مع عجزه وضعفه ــ ينمو ويعيش في مثل هذا الجو الخانق القاتل . . .

ان هذا العجب يزول حين نقف على ما حبت به الطبيعة بني البشر من حصانة طبيعية ضد المرض والموت . . فأجسام الاطفال تقاوم بعض الامراض المعدية ــ كالحصبة والحمى القرمزية ــ خلال فترة معينة بعد الولادة ، وكلما كبر الطفل تغيرت وسائل المقاومة وتطورت، حتى يغدو الجسم بعد نضوجه شديد المقاومة للمرض والموت الى حد يثير الدهشة. وكثيرا ما يشاهد عند تشريح جثث ضحايا الحوادث، تآكل انسجة بعض اعضائهم الداخلية كالرئة أو الكبد او الكلى لاسباب مرضية . . ولكنهم استطاعوا بالرغم من ذلك ، أن يعيشوا حتى أودى بهم الحادث. ذلك لان اجسامهم تمكنت ــ بما وهبت من وسائل الدفاع الطبيعية ضد الموت ــ أن تستعيض عن هذا النقص . وان تقاوم اثر هذا التآكل

ومقاومة الميكروبات عملية معقدة تعد من وظائف الجسم الرئيسية وان لم يفطن المرء اليها الا نادرا . فهو ينهض ذات صباح فيجد حنجرته ملتهبة ودرجة حرارته مرتفعة ، أو يشاهد خراجا في عضو من اعضاء جسمه ، فيدرك حينئذ ان كائنات غريبة هاجمت جسمه . وللدفاع ضد المرض أساليب متعددة تتوقف على شدة هجوم الميكروب ونوعه. وقد يكون التهاب الحنجرة مؤلما . . ولكنه يعني أن الجسم لم يطاطىء الراس للغزاة ولم يستسلم للعدو . ان الالتهاب أو الورم الذي نشاهده، ينجم عن اندفاع الدم بغزارة الى البقعة التي بدأ منها الهجوم ، فتتمدد الشرايين فيها كي تحمل اليها اكبر قدر من الدماء لتزودها باكبر عدد من الكريات البيضاء

التى تقف فى وجـه العدو ، ثم تنقض عليه وتفتك به فتكا

*

ويزود جسم الانسان فى العادة بنحو اربعين بليونا من هـذه الكريات ــ آكلة الميكروبات ــ فاذا كان المرض شديدا ، وعجز هـذا الجيش الكبير عن الذود عن سلامة البـدن ، أسرعت معامل الجسم الكامنة فى نخاع العظام الى صنع عدد كبير من هذه الكريات، فقد يصل فى بضعة ايام الى ما يقرب من ٢٠٠ بليون كرية . ويصحب هـذا الانتاج السريع ــ فى الغـالب ــ ارتفـاع فى درجة الحرارة . ان العلماء لم يدركوا ان الميكروبات تموت فى درجات الحرارة المرتفعة، الا منذ عشرات السنين . . اما الطبيعـة فقـد فطنت الى هذه الظاهرة، واتخذتها سلاحا للوقاية منذ ملايين السنين. لذلك لا ينبغى ــ عند ارتفاع درجة الحرارة ــ العمل على هبوطهـا باستخدام الاسبرين وما شابهه من عقاقير. وانما يستحسن ان تدع الحـرارة وحدها وأن تلجأ الى الفراش ، وتستدعى الطبيب الذى يعرف وحده ما ينبغى أن يفعل فى هذه الاحوال

ان البثور التى تظهر على الجلد قد تكون عرضا لمعركة كبيرة .. فالاحمرار الذى يبدو أولا دليـل على اندفاع الدم اليهـا بسبب هجوم مفاجىء للجراثيم .. يعقبه اصطفاف الكريات البيضاء فى هيئة دائرة حول العدو لتحـول دون تسربه ، ثم تشتبك معه فى قتال عنيف ، يغلب أن تظهر ضحاياه فى هيئة صديد. وكثيرا ما يؤدى الضغط على هذه البثور قبل أن تنتهى المعركة الى تحطيم الحاجز الذى انشأته الكريات ، فيزداد الالتهـاب ويزحف العـدو الى الاجزاء المجاورة . لذلك يفضل ترك هذه البثور وحدها ليقـوم الجسم بمهمة الدفاع بطريقتـه الخاصة

*

ولا تحسبن أن الـكيميائيين وحـدهم هم الذين اكتشفـوا الادوية القـاتلة للميكروب . ان للجسم مستحضراته الكيميائيـة التى يعدها فى معامله لتعينه على قتل الميكروب والتخفيف من أثر السموم ، التى تتسرب الينـا مع أطعمتنا ، ومشروباتنا ، ولفائف التبغ التى ندخنها . ففى الكبد والكلى وغيرها من الاعضاء ، معامل تفرز بصفة دائمة مواد كيميائية تعادل هذه السموم وتخفف من أثرها الضار بالجسم .. واذا تبقى منها بعـد ذلك شىء أحيل الى العظام التى يتخذها الجسم خزانة يودع فيها المخلفات التى تضره

وفى اجسادنا اجزاء احتياطية يستعان بها عند العجز عن الترميم والاصلاح.. وقد دلت الاختبارات على ان المرء لا يحتاج ــ وهو فى أوج صحته وشبابه ــ لأكثر من ثلاثة اخماس افرازات كبده . والحكمة فى ذلك ، أن يظـل الخمسان الباقيان بصفة احتياطية لحالات

الضعف أو المرض. وكذلك عاش كثيرون وظلوا يقومون بأعمالهم العادية برئة واحدة . وحتى عضلات القلب اعدت لجهد أكبر بكثير مما يبذله الشخص العادى فى حياته العادية . ولذلك لاتكف معظم أعضاء الجسم عن تأدية وظائفها الا اذا اصيبت بعطب كبير أوضعف شديد . وهى لاتتوقف عن العمل الا بعد أن تعطينا أكثر من انذار . فالاحساس بالتعب اول دليل على أننا نعمل أكثر مما ينبغى ، وعلى ان اعضاءنا الداخلية كادت تنوء بحملها ، وارتفاع درجة الحرارة يدل على هجوم أجسام غريبة مؤذية ، والالم نداء استغاثة من اضطراب مفاجىء

وليس من الحكمة ان تعتمد على وسائل الجسم فقط فى الدفاع عن المرض ، دون الالتجاء الى ما يقدمه لك العلم والطب من عون .. كما انه ليس من الحكمة بل من السخف ، أن تعتمد على ذاكرتك وحدها لحفظ أرقام تليفونات أصدقائك وأقاربك وعملائك . لقد أوجد العلم القلم والورق حتى تخفف عن ذاكرتك بعض العبء ، وكذلك أوجد الكيميائيون والاطباء مئات الادوية التى تساعد جسمك على مقاومة المرض . فمن الواجب الا تغض الطرف عنها، كما انه من الواجب الا تنسى ما لهذه القوى التى حبتك بها الطبيعة من أثر فى شفائك . ان ذلك يبعث فى نفسك الامل والثقة فى الشفاء ويبعد عنك شبح اليأس الذى يقف فى جانب المرض ويعوق سير العلاج وخطة الدفاع . وفى وسعك أن تعين قوى الدفاع الطبيعية بالاكثار من الاطعمة المغذية ، وزيادة ساعات النوم وفترات الراحة ، والاستجمام ، وعدم الاكثار من العمل الذهنى أو البدنى الى حد الارهاق

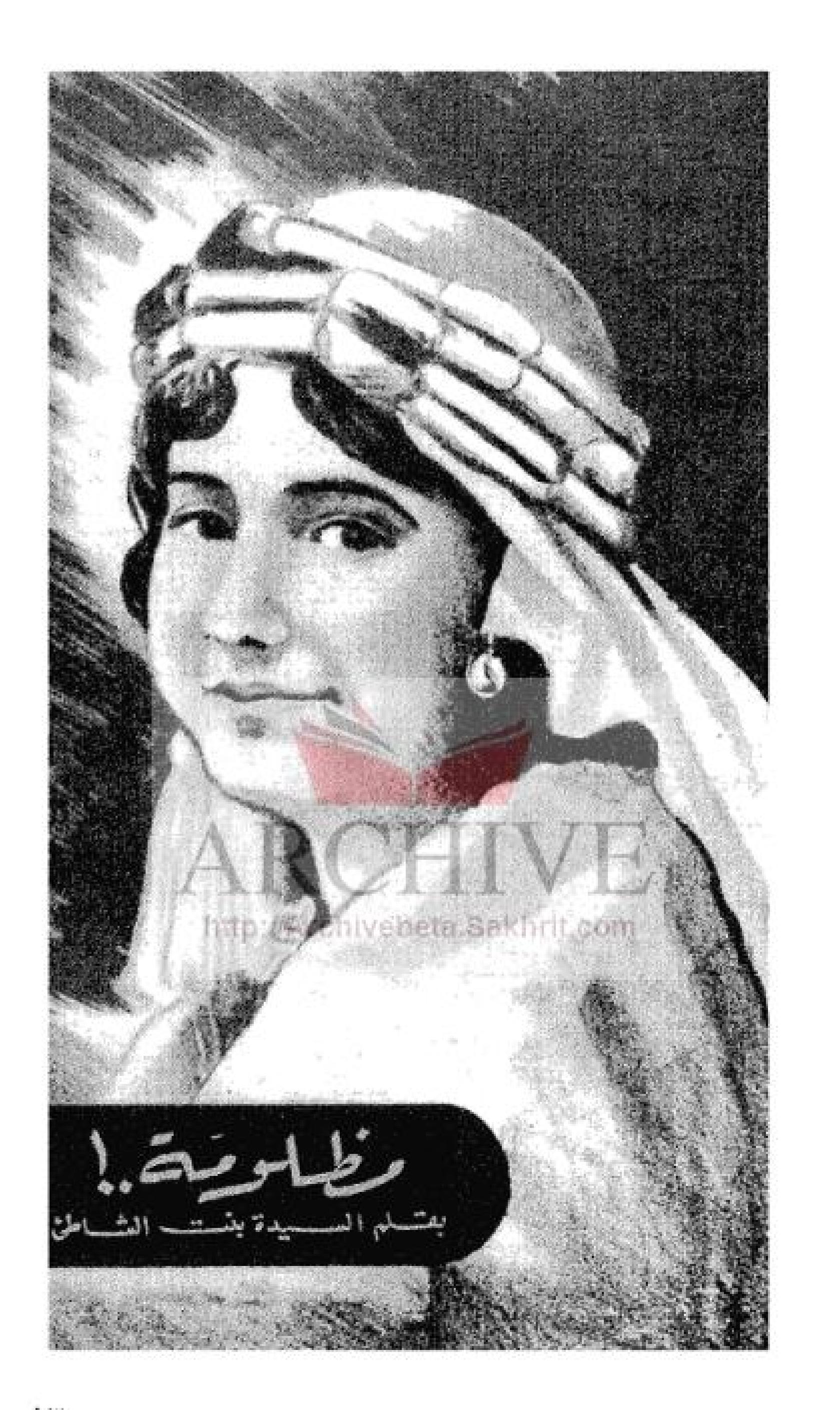
[عن مجلة « كورونت »]

هل تعلم

– ان التيار الكهربائى يمكنه أن يدور حول الكرة الارضية ١١ مرة فى الثانية

– ان اول « اومنيبوس » عام سار فى باريس عام ١٦٦٢ ميلادية

– ان أولى من استعملت الثياب السوداء فى أوربا ، رمزا للحداد على الموتى الملكة « آن » أرملة الملك شارل الثامن ملك فرنسا – عام ١٤٨٨


مظلومة..!
بقلم السيدة بنت الشاطئ

« وليس الذكر كالأنثى ... » قرآن كريم

استقبلتها الحيـاة يوم مولدها بموكب رائع من البهجة والفرح ، فقد ولدت فى العاصمة يوم كان الوادى كله يحتفل بزفاف الأميرة « ملك » الى الأمير حسين كامل ، فاستبشر أهلها بالمولد السعيد ، وسموها « ملك » تيمناً باسم الأميرة العروس

وقد ظل هـذا الفال الطيب مرافقـاً « لملك » فى طفـولتها وصباها ، فتـطلعت الى ما لم يتطلع اليه لداتها واترابها، ورنت الى ما لم ترن اليه اخوات لها من امها وابيها. وخامرها ما يشبه اليقين ، أنها ستكون بين الفتيات شيئاً نادراً ممتازاً ، فلم تكد تبلغ الثالثة عشرة من عمرها حتى رن اسـمها فى جنبات الوادى ، واعلن البشير « انها الفتاة المصرية الأولى التى تنال الشـهادة الابتدائية » . وكان هذا الحادث مرحلة حاسمة فى حياتها ، وفى حيـاة المرأة الجـديدة فى مصر والشرق

●

وشـهد الناس هـذه الفتاة النابهة تتخطى الحواجز وتقتحم العقبات، وتمضى جادة فى استكمال ثقافتها وتعليمها . ثم تحمـل الشعلة لتسلمها الى من بعدها . لقد رضيت فى شبابها الباكر ان تحترف مهنة التـدريس فى مدرستها « السنية » وهى التى شـبت فى بيت علم ، وكان الاحتراف فى ذلك الحين ـ والى امس قريب ـ مقصـوراً على ذوات الحاجة المعوزات . .

●

حلت الشـعلة فى شجاعة واقدام ، وراحت تغرى بنات الاسر بهذا البـدع الجديد ، وتقودهن الى « المدرسة » والناس من ورائها يضجون بالانتقاد المر والانكار الصاخب . ومضت اعوام ثلاثة والفتـاة فى جهادها لاتمل ولاتتراجع ، حتى بدا لأحد سراة البداوة أن يحملها ـ فيما كان يحمل من خيرات المدينة ـ الى مضربه فى بادية الفيـوم ، فانتقلت من العاصمة الى اطراف الصحراء ، حيث بدأت مرحلة جـديدة من حيـاتها ، حافلة بالحوادث والتـجارب ، والمحن والجهاد . .

لقد انتهى عهد الفتاة الغريرة اللامعة ، وجاء دور المرأة الخبيرة والأنثى المجربة !

وشـطب اسم « ملك حفنى ناصـف » من قائمة المعلمـات ، وقيد اسم « باحثة البادية » فى سجل المبشرين من حملة الرسالات

وغاب النجم الوليـد من أفق العاصمة ، ليسطع فى أفق البادية، اقوى ضياء ، وابهى سنى وسناء

●

نشـأت « ملك » فى صـميم الحضر ، وترعرعت فى قلب العاصمة، ورأت فى بيتها صورة من حياة

الاسرة المتعلمة المتحضرة ، ثم شاهدت فى اشخاص معلماتها الانجليزيات ، صوراً أخرى من المدنية الغربية الحديثة ، كما ذاقت - فى البيت وفى المدرسة ، فنونا والوانا من ثقافة المشرق والمغرب لم تتح لفتاة سواها فى ذلك العهد ، وقد مضت الى حياتها الجديدة بهذه الشخصية الشاعرة بنفسها، المؤمنة بتفوقها وامتيازها، المعتزة بعلمهاوثقافتها

وهناك بعيداً ... على حافة الصحراء من بادية الفيوم ، فى بقعة قلقة لا تكاد تسكن الى حياتها الجافية حتى يخايلها ضوء لماح يلوح لها من أطراف الحضر، فيحرمها نعمة الرضا ولذة الاستقرار ... هناك ظهرت « ملك » فى حضارتها وذكائها ورقتها ، فكانت اجل ما حل الشيخ من خيرات ذلك العالم المسحور الذى لم يشهده قومه وان تخيلوه وتمثلوه

•

وبدت الحياة « لملك » جديدة طريفة شائقة ، يزيدها الغموض والابهام سحراً على سحر ، فاسلمت «ملك» نفسها الى فتنة غامرة، واستسلمت لخدرالنشوة، ومضت يقودها خيالها الشعرى الى المجهول الساحر ، مخدرة الحس مغمضة العين ، وتمثلت لها رؤى بعيدة ، رأت فيها نفسها تحمل قبس النور ومشعل الحياة ، وترتاد مجاهل البادية ، لتنقل أهلها الى ما عرفت من حياة جديدة ، تضيئها الحرية والصحة والمعرفة !

•

واذ هى فى تاملها المستغرق ، امتدت يد « الواقع » فى غير رحمة، فشردت احلامها، وبعثرت رؤاها ، ومزقت خيالها . ثم فتحت عينيها لترى الحياة بادية عارية ، مجردة من تزويق الوهم وتزيين الشعر وتزييف الخيال

وصاح بها صوت رهيب يسألها : « الا تلدين يا امرأة ؟ » فالفت نفسها ترتجف من الذعر والغيظ والألم ، وعرفت انها اليوم تواجه حياة أخرى غير حياتها الأولى .. حياة لها عرفها الصارم وتقاليدها العريقة ومقوماتها الموروثة ، حياة لا تزن الاشخاص بهذه الموازين التى عهدتها « ملك » فى عالمها الاول ، ولا تقوم المرأة بما حصلت من علم ونالت من ثقافة ، وانما المرأة المثالية عندها هى الودود الولود، التى تسر الزوج بطاعتها وولائها ، وترضى العشيرة بما تنجب من ابناء يزيدون عددها

وبشاء القدر ان تخيب «ملك» امل العشيرة ، فتمضى الأعوام وهى عاقر لا تلد !! ويستطيع المرء ان يتصور كيف امست حياتها فى ذلك الوسط المفتون بالانجاب؛ بل يستطيع ان يتصور اى جرح أصاب كبرياء الشابة النابهة وهى ترى نفسها جامدة

معطلة ، لو وزنت بموازين البداوة لرجحت عليها اية امراة ولود من أذناب القبيلة

●

وتلفتت « ملك » حواليها فى رعب تلتمس ما يمسك كبرياءها المهدرة ويستر جرحها العارى ، فاذا السبل امامها مسدودة والمنافذ مغلقة ! لقد تزوج « الزوج » من قبل وانجب فتاة ، فلصقت « بملك » وحدها تهمة العقم ، وعرفت ، وعرف الناس جميعاً ، أنها العاقر العقيم !

ووسعها — فيما بينها وبين نفسها أن تحتمل المحنة فى شجاعة ومرارة ، وان تجد بعض عزاء فى ميزاتها الاخر ، بل أغرتها نفسها تلك أن تخوض معركة عنيفة تحاول فيها أن تحرر نساء القبيلة من هذا العرف الصارم الظالم الذى يهدر حق الأنثى فى الحياة اذا لم تلد ، وهو ما لا يد لها به ولا ذنب لها فيه . وحشدت للمعركة قوى شبابها وعلمها ، وظاهرتها قوى أخرى من كبريائها الجريحة ، وسعادتها الموءودة ، وأمومتها المحرومة ، وقلبها الممزق

وخاضت المعركة :

بجسمها وروحها ، بقلمها ولسانها ، ببشريتها وانسانيتها ، بدمها واعصابها . وخيل اليها بادىء الأمر أنها المنتصرة الظافرة وان طال الأمد وقسا النضال ، لولا أن ظهر فى الميدان عدو لها جديد ، لم تحسب له من قبل كبير حساب . ظهرت فى بيتها « ضرة » ، لها ما ليس « لملك » من حق القرابة وزهو الأمومة ! كانت الزوجة الأولى ، وابنة العم ، وام الابنة الواحدة . وقد زعم الزوج — يوم خطب ملك — انه مطلقها ونافض يديه منها ، فلما لاذت ملك بكبريائها ، وحاولت أن تستهين بعرف القبيلة وتتمرد على سلطانه ، جاء الشيخ بالزوجة الأولى الى « حماه » ، ليرد الشابة النافرة المتكبرة الى ما أراد لها من خضوع وتسليم !

●

ووجدت نفسها فجاة تنساق بالرغم منها مع تيار العرف السائد فتشتهى الولد اشتهاء قاهراً قاسياً ، وتكابد من اهوال الحرمان ما لا طاقة لبشريتها باحتماله ، وتحس من اوار الظما ما لا يطيقه تجمل ، ولا يجدى معه اصطناع لعزاء

ثم بلغ بها الأمر مداه ، فاذا هى — هى المتعلمة المثقفة الممتازة — تنظر الى خادماتها — الحوامل والأمهات — نظرة من تود لو دفعت كل جاهها وثروتها ، وكل علمها وثقافتها ، ثمناً لوليد — اى وليد — تحمله مثلهن ! ونبا بها مكانها الرفيع الممتاز ، فاشتاقت عيشة خشنة متواضعة مع زوج لها وولد ، فى عش من قش ، أو خيمة من صوف ، اوكوخ من خشب . . !

وقد روعها هذا الانهيار النفسى اكثر مما روعتها المحنة ذاتها ،

وعانت منها مالم تعان من صرامة البادية وشدتها ، فانصرفت عن حرب النوم لتحارب نفسها ، وتركت المعركة لتناضل في ميدانها : في شخصها وكيانها

●

ولاح لها – وسط هذه الظلمات المتراكبة المتراكمة ، شعاع هزيل من النور

لقد كتب عليها الشقاء فما تستطيع أن تمحو هذا المكتوب ، ولا في طاقتها أن تجعل من العاقر ولوداً ، لكنها تستطيع أن تفعل شيئاً لسواها .. لهؤلاء النسوة التعسات اللواتي تسومهن الخسف والهوان أوضاع ظالمة قاسية ! تستطيع أن تصور للناس تلك المحنة التي أضنتها ونغصت حياتها ! تستطيع أن تقص على الضمير الانساني ، قصة تلك المخلوقة التي عذبت واهينت ، لانها محرومة ، وشقية ، وعاقر!!

من ذلك الحين اتجهت ملك الى الحياة العامة ، تحارب في الميدان الاجتماعي الواسع ، وتكافح من اجل من لا تعرف من النساء ! لا بل انها لتعرفهن جميعاً ، ففي ذاتها حقيقة منهن ، وبينها وبينهن صلات ووشائج من الانسانية والجنس ، وانها لتجد ما يجدن ، وتحس ما يعانين وما يحتملن

ولعلها قد شاغلها أمل بعيد في أن تجد في هذه القضية العامة مشغلة عما تكابد في حياتها الخاصة ، وان تلتمس فيها متنفساً لما تجد من كبت وقهر ، وأن تظفر في الحياة الأدبية بمكان ممتاز ، ضن عليها به عيشها الخاص في الصحراء

وراحت « باحثة البادية » تبعث من مأواها النائي صيحات تسجل قضية « الجنس » تسجيلا صريحاً دقيقاً ، وتعبر عن آلامه وآماله بصوت مؤثر وانفعال باد

وقد رددت « الجريدة » صدى هذه الصيحات التي ظلت تنطلق من البادية اعواماً طوالا ، فما اضعفها طول العهد ولا ذهب التكرار بشيء من تأثيرها القوى البالغ

●

وقد أصغى الناس الى « النسائيات » مبهورين وتلقاها شيوخ الأدب مقدرين ، ورأى عميدهم – أستاذنا الجليل معالي لطفي السيد باشا ، أن هذه « النسائيات » قد اشترك في تأليفها « ماورثته ملك عن أبيها من ذوق في الكتابة وملكة الانتقاد الصحيح ، وماحصلته باجتهادها في المدرسة وبعدها » . غير أني اراها ثمرة حياة « ملك » في البادية بعد زواجها : تلك الحياة التي أنضجتها التجربة ، وهذبها الألم ، وارهفها الحرمان .. ومن اليسير على قارىء « النسائيات » أن يلمح في كل كلمة منها ، صورة تلك الحضرية المتعلمة التي ارهقها التنافر بين تربيتها الحديثة ، وبين تقاليد البدو العريقة وعرفهم الصارم ، وأن يرى وراء السطور ، ملامح تلك الفتاة اللامعة التي

انتقلت من صميم القاهرة الى اطراف الصحراء ، وأن يسمع فى صوتها انين الأنثى التى اوجمتها تهمة العقم عند قوم لا يزنون المراة الابعدد من تنجب من أبناء ، وأن يحس فى طوايا أسلوبها الأدبى صدى الحرمان المهلك الذى ارهقت به « ملك » حتى الممات

وانا اقرأ قولها عن الضرائر : « انه لاسم فظيع تكاد انامل تقف بالقلم عند كتابته ، فهو عدو النساء الألد ، وشيطانهن الفرد. انه لاسم فظيع ممتلىء وحشية وانانية .. ان الطلاق — على مذهبى — اسهل وقعاً واخف المأ ، فالأول شقاء وحرية ، والثانى شقاء وتقييد ! الا ان حزيناً حراً خير من حزين اسير ! وبعضهم يخادع المراة بان يجعلها حاكمة على البيت ، معها مفاتيح خزائنه ، ولكن ، ماذا تفيد مفاتيح الخزائن والحكم على السمن والعسل ؟ واين هذه من مفاتيح القلوب ؟ »

« المراة اذا ابتليت بالضرة انطفأ سراج بهجتها، وذوى غصن قدها .. » ثم اقرأ قولها فى رجل تزوج على امرأته ليظفر بالنسل الصالح : « يا لقساوة الرجال ! انه وهو يتزوج عليها يكلم قلبها الكسير ، فضلاً عن انه اقدم على امر لايضمنه . افلا يجوز أن تكون امراته الجديدة عاقراً فلا تلد ؟ » اقرأ هذا ومثله معه ، فأحس أن صوت « الباحثة » فى « النسائيات » ، هو صوت المراة الشاعرة بشخصيتها ، تحس الألم ، وتنكر الظلم ، وترى فى الزوج شريكا لا سيداً ، وأدرك أن رسالتها لا تتصل بالأدب والنقد ، وانما تتجه الى أعفاء الجنس من مثل هذه الآلام التى عانتها ، وذلك باخراج المراة من ظلمات الجهل ، كيما تشعر بانسانيتها وتؤمن بحقها فى الحياة

●

وتروعك من اسلوبها ، بساطة حلوة لا عهد لنا بمثلها فى عصر غلبت عليه الصنعة والتكلف ، كما يروعك منه صدقه وبراءته من الرياء ، فانت تكاد تشعر بما يشبه اليقين ان الباحثة لا تكتب التماساً للشهرة ، او ارضاء لنزعة ادبية خالصة ، وانما تكتب « ملك » لتتنفس ، ولكى تعبر عما تحس به فى صراحة وشجاعة

وهى تبدو معتدلة الراى متزنة التفكير حين كان يغفر لمثلها الغلو والاندفاع ، فقد جاءت اثر الحملة التى حمل قاسم امين لواءها فى تحرير المراة ، وكان يظن ان الباحثة — وهى الأنثى التى عانت متاعب الجنس — تندفع فى مسالة تحرير المراة اندفاعاً مسرفاً متهوراً ، يزيده شبابها وتعلمها حماسة والتهاباً ، لكنها كانت ترى فى البيت نعيمها المفقود ، وتؤمن بان سعادة الأنثى فى زوجيتها وامومتها ، قد تغنى عن كل شيء ، وان لم يغن عنها شيء ابداً . وعلمتها محنتها ان ثقافة المراة ، وعلمها ، وجاهها ،

وثروتها ، لا تستطيع بحال ان تخمد شوقها الفطري الى الامومة، أو تعزيها ان كتب عليها الحرمان . وبهذا وحده يعلل اعتدال آراء الباحثة في مسألة المرأة الجديدة ، واتزانها العجيب فيما عالجت من جوانبها ، وكان بيتها المشهور :

مجـــد الفتاة مقـــامهـــا
في البيت لا في المعمـــــل

إيجازاً رائعاً لرسالة الفتاة ، وتحديداً دقيقاً لمكانها في الحياة ، وتعبيراً عما كانت « ملك » تعاني في حياتها الخاصة ، من حنين الى نعيم البيت وسعادة الامومة

●

افسحت «النسائيات» لباحثة البادية ، مكاناً في الصدر بين القادة المصلحين، فهل نفس ذلك عن كرب « ملك » وهدأ شوقها اللاهج ؟ هل عوضها مجدها الأدبي والاجتماعي عما حرمت ومنعت ؟

كلا وكلا ! لقد ظلت تتلوى في باديتها من حرقة الظما ، وتئن من لوعة الحرمان . وامست حياتها في تلك الفترة قطعة من العذاب ولوناً من الاستشهاد

وقد احزنهـا ان لم تجـد في رسـالتها الجديدة ، العزاء الذى طلبت، والمتنفس الذى التمست، والمشـغلة التى رجت ، فسعت آخر الأمر الى طبيب مشهور في الآستانة ، يعالج عقمها ، ويضمد جرحها

وهناك .. كانت تنتظرها محنة كافرة ، تضـاءل من هولها كل الذى رات وعانت من محن وآلام

لقد سـاقها القـدر الى ذلك الطبيب ، لتسـمع ارهب ما سمعته اذنان :

سـاقها لتعلم ـ بعد أعوام طويلة من اليأس الفاجع ، والقهر الأليم ، والخيبة المرة ـ انها غير عاقر ، وانما هي ضحية مصادفة قاسية ظالمة !

صاحت بكل تعاستها ، وكل حرمانها : « أواه ! أمجنونة انا أم نائمة ؟ »

فأجاب القدر :

« بل مظلومة ! لقـد أجريت للزوج ـ اثر انجـابه فتـاته ـ عملية جراحية، عاد بعدها عقيماً لا ينجب ! »

●

وكانت القاضية ..

لقد انهارت المسكينة تحت عبء الصدمة ، وعاشت أشهراً معـدودات تـذبل وتذوي في احتضار بطيء ، حتى ماتت أخيراً في ريعان العمر وعز الشباب ، في الصبح الباكر من اليوم السابع عشر من أكتوبر عام ١٩١٨ ، في سن الثالثة والثلاثين

وكان آخر العهد «بملك» ، ساعة أودعوها في مقابر أسرتها بالامام الشافعي، وهالوا عليها التراب ، عصر يوم وفاتها . ولكن « باحثة البادية» حادت من طريق المقبرة ، وانضمت الى موكب الخالدين

بنت الشاطىء
(من الأمناء)



من المواد التي نستخدمها كل يوم ما لا يعرف الكثيرون من أين أتي ولا كيف أعد .. فالفلين مثلا ، برغم ذيوع اسمه ، قل من يعرف مصادره ..

ان الفلين هو الطبقة الخارجية التي تغلف جذع شجرته ، وهي شجرة دائمة الخضرة تعرف ببلوطة الفلين او سنديانة الفلين . وهي تنمو بكثرة فى اسبانيا والبرتغال وشمال افريقيا .. ولكن اجود انواع الفلين هو الذى يستخرج من مزارع البرتغال . ولا ينتزع الفلين من شجرته الا بعد ان تبلغ من العمر ما بين عشرين او خمسة وعشرين عاما ، تكون قد بلغت فيها حدا معينا من الارتفاع والنضوج. و «حصاد» الفلين يكون عادة أثناء الصيف فى شهرى يونيو ويوليو. وهو عملية دقيقة لا يقوم بها الا عمال مدربون .. فلو ان العامل جار بفاسه على الطبقات الداخلية للجذع ، لتوقف نمو الشجرة ، وتوقف أنتاجها للفلين

والفلين الذى يؤخذ من الشجرة للمرة الاولى يكون رديئا ، وفى

يتزع الفلين من أشجاره كتلا ضخمة ، ثم يجفف ويغلى، ويقطع قطعاً صغيرة مسطحة .. وفى الصورة الجانبية ، تبدو أكداس منها معدة للتصدير



فى مصنع من مصانع فلين الزجاج بالبرتغال ، جلست هذه العاملة تفرز الأحجام المختلفة للفلين . وهو من خير أنواع الفلين فى العالم

المرة الثانية يكون خيرا من سابقه ، ولكنه فى المرة الثالثة وما يليها من المرات يغدو جيدا . ويراعى دائما الا تقل الفترة بين «حصادين» متتاليين من شجرة واحدة عن ثمانى سنوات . فاذا ما بلغت الشجرة من العمر مائة عام ، أخذ فلينها يتدرج فى الرداءة . ولا تصلح قطع الفلين التى تنتزع من اشجارها الا بعد اربعة أو خمسة اشهر ، تعرض خلالها للهواء ولاشعة الشمس ، حتى تجف انسجتها وتسد مسامها . وبعد أن تجف ، تغلى فى الماء فى قدور كبيرة ، حتى تصبح مرنة لينة . ثم تجفف بعد ذلك مرة أخرى وتقطع الواحا مسطحة ، يمكن تعبئتها وتصديرها

وتعد صناعة فلين الزجاج من الصناعات الهامة فى البرتغال ، اذ يعيش منها ألوف من المواطنين .. هذا الى ألوف الاطنان من الفلين الخام التى تصدر منها الآن الى مختلف البلدان ، بعد أن غدا الفلين هاما فى كثير من الصناعات



عاملان ينزعان لحاء الغلاف

اخصائى يفحص الفلين بعد تجفيفه



قصة المرأة الامريكية الكبيرة «هيلين كيلر» قصة انسانية خالدة، بما فيها من آيات الكفاح والبطولة، اذا قرأها فنجد فيما أصاب هيلين في طفولتها من الأمراض والعاهات عزاء عما نصادفه في حياتنا من عقبات ومشاق. ونجد في كفاحها وصبرها ما يملأ قلوبنا جلداً وأملاً، وينقيها من الجزع واليأس، ويحفزنا الى احتمال المتاعب واجتياز العقبات.

كانت هيلين كيلر عند مولدها في سنة ١٨٨٠ سليمة الحواس. ولكنها لم تكد تبلغ عشرين شهراً حتى أصابها مرض — قال عنه أطباء ذلك الزمن انه احتقان في المخ — عطل فيها حاسة البصر، وحاسة السمع، وحاسة النطق..

لم تقع هذه المصيبة الفادحة على رأس الطفلة، فهي في سن لا تدرك فيه معنى المصيبة. وانما وقعت على رأس أبويها اللذين أظلمت الدنيا في أعينهما رغم ما هما فيه من الثراء والنعيم. فقد قضي على ابنتهما أن تعيش طول عمرها عيش الحيوان الأعجم، بل أسوأ من ذلك وأقسى. فالحيوان لا ينطق، ولكنه يرى ويسمع، أما هي فقد جردت من ثلاثة أخماس حواسها فصارت عمياء، صماء، خرساء!

ان الذي يفقد حاسة واحدة من حواسه تقوم بينه وبين الدنيا حواجز وسدود لا يكاد يتخطاها من الناس الا قليلون، أوتوا من الملكات الذهنية والمواهب الخلقية أكثر مما أوتي عامة الناس. فأي أمل اذن في هذه البنت التي قطع كل ما بينها وبين العالم من أسباب الاتصال الا حاستان، حاسة الشم وحاسة اللمس؟

وشبت هيلين كما يشب الحيوان: لا تفهم الناس، ولا تستطيع ان تجعل الناس يفهمونها، وأدركت بغرائزها أنها تختلف عن سائر الخلق، فولد هذا في نفسها احساسا بالغضب ونزوعا الى الثورة. فكانت لا تلاعب لداتها من الاطفال، بل تقترب منهم لتمزق ملابسهم وتخدشهم بأظفارها. وكانت لا تكف عن الصياح والعويل، فلا تهدئ ثائرتها هدهدة الأم، ولا ثدي المرضعة. ولما كبرت قليلا

صارت خطرا على أختها الصغار ، وعلى نفسها أيضا . فعند ما وجدت أختها نائمة فى فراش « عروسها » ، قلبت بها الفراش وكادت تلقيها على الأرض جريحا مرضوضة . وأخذت فى غفلة من أهلها تعبث بالنار، فشبت فى ملابسها ، وكادت تودى بها لولا ان أدركوها .. أدركوها وهم يقولون : ليتها ماتت ! فالموت أرحم بها من الحياة !

وفى وسط هذه الظلمة التى تغشى عينى أبويها انبثق ضوء الفجر .. انبثق على يدى مربية فاضلة أحالت هيلين ـ باذن الله ـ من مخلوق أعمى، أصم ، أخرس ، الى عضو حى ، قوى ، من أعضاء هذا العالم

وكان الفضل فى هذا الى « الكسندر جراهام بيل » ، مخترع التليفون، حين أشار على والد الطفلة أن يعرض أمرها على معهد من معاهد العميان ، فنتدب المعهد احدى خريجاته لتتولى شأن هيلين التى بلغت حينئذ ست سنوات

وكانت هذه المربية ـ الآنسة « ان منسفيلد سوليفان » ـ مثلا من أمثلة الصبر والجهاد ، فشقت طريقها فى الحياة وسط ظلمات من الفقر والمرض . اذ كان أبوها سكيرا عربيدا ، يقضى ليله فى الحانة ، ونهاره فى الطرق يتسكع ، ومات أخوها مصدورا ، وعاثت جراثيم المرض فى عينيها فكادت تغشيهما بغشاوة العمى وهى فى سن الثامنة عشرة، لولا عملية جراحية بارعة أبقت لها من البصر ما يمكنها من أن تقرأ لهيلين وتعودها

* * *

واجهت الآنسة سوليفان مشكلة عويصة ، لا تدرى من أين تبدأ حلها . فكيف تستطيع أن تعبر عن الأشياء بكلمات تسمعها أذن صماء ، ثم ينطق بها لسان أخرس، فى حين ان الطفلة لم تر صورة هذه الأشياء ؟

لقد بدأت فوضعت فى يدى هيلين « عروسا » ـ وهى شىء عرفته الطفلة بطريق اللمس، وأحبته وألفته طويلا. وجاءت بالحروف الهجائية البارزة التى يتعلم بها العمى القراءة والكتابة . وأخذت بيدها أصابع الطفلة وجعلت تمر بها على الحروف التى تتكون منها كلمة « عروس » . فكان هذا العمل تجربة جديدة فى حياة الطفلة وصفتها فيما بعد فى كتابها الرائع « قصة حياتى » فقالت :

« فى ذلك الوقت لم أكن أعرف اننى أخذت أتهجى بأصابعى كلمة من الكلمات . بل اننى لم أكن أعرف أنه يوجد فى الدنيا شىء اسمه الكلمات. ولكننى أخذت أقلد مدرستى تقليد القرد للانسان ، فأمر بأصابعى على الحروف البارزة التى تعينها لى . وبعدئذ استطعت شيئا فشيئا أن أدرك أن هذه الحروف تؤلف كلمة ، وأن هذه الكلمة تعبر عن شىء .. شىء

أعرفه ، وأحبه ، وألازمه ، وأنام معه فى فراش واحد ، وأفضله على أختى الصغيرة »

ثم بدأت بهذه الطريقة تدرك أشياء أخرى . تدرك أن الحروف « ك ـ ل ـ ب » تكون كلمة تعبر عن شيء له أربع أرجل وذيل ، يجرى وينبح . وأن الحروف « ق ـ د ـ ح » تكون كلمة تعبر عن شيء تشرب منه اللبن أو الماء ، وهكذا ..

ووجدت هيلين فى هذا لعبة لطيفة . بل وجدت الدنيا نفسها قد صارت لطيفة . فهى مملوءة بأشياء لا حصر لها ، وكل شيء فيها له اسم خاص !

وراحت تتحسس بأصابعها نوعا آخر من الكلمات : كلمات أب ، وأم ، وأخت .. انها تعرفهم طول حياتها ، وتحبهم حبا جما . ولكن لم يخطر ببالها أن لهم « أسماء » ، وان هذه الأسماء عبارة عن « حروف » بعضها الى جانب بعض . اذن فهيا تلعب هذه اللعبة اللطيفة ، وهيا علميني كثيرا ، كثيرا جدا ، من الأسماء

وأخذت مدرستها تنمى معارفها بالأسماء . فاذا أقبل الربيع ، وأزهرت الرياحين وغردت الأطيار ، أخذت تتفتح « بصيرة » الفتاة العمياء على ما فى هذه الدنيا من الجمال البهيج بما تعرفه من أسماء الزهر والطير ، وما يدل عليه كل اسم من المعانى ، التى تفتح فى ذهنها آفاقا من الفكر والخيال

وفتحت لها الآنسة سوليفان فيما بعد عالما جديدا حافلا ـ عالم الكتب . فأعطتها كتابا من هذه الكتب ذات الحروف البارزة التى أعدت للعميان ، فقرأت هيلين قصصا وأشعارا ، وأدركت أن فى الدنيا « أفكارا » جميلة ، و « أنغاما » جميلة . وهى لا تسمع هذه الانغام ، ولكنها تدركها بأصابعها حين تجد السطور المتعاقبة منتهية بحروف واحدة ـ تماما كذيل ثوبها الأنيق الموشى بقطع متشابهة من « الدانتلا » ! وهذه « الأفكار » لا ترى ولا تسمع لأن فى الدنيا أشياء لا يدركها الناس بأعينهم ولا بآذانهم ، وانما يشعرون بها فحسب ـ وهى تشعر بها كما يشعر سائر الناس ، فهى « تحب » أباها وأمها ومدرستها ، وهى « تفرح » كلما عرفت شيئا جديدا ، وهى « ترجو » أن يأتى يوم تنطق فيه كما ينطق الناس

* * *

وقد جاء هذا اليوم الذى حدثت فيه المعجزة الكبرى ...

أرادت هيلين أن تنطق ، فتعلمت كيف تنطق . وبذلت وبذلت مدرستها ، أكثر مما بذل أى تلميذ وأى مدرس من الجهد ، حتى حلت عقدة اللسان

وهذه هى الطريقة التى تعلمت بها النطق : كانت مدرستها تنطق ببعض الأصوات ، بينما التلميذة تتحسس بأصابعها لسان المدرسة ، وشفتيها ،

وحنجرتها ، حين صدور هذه الاصوات فاذا عرفت هيلين هذه الحركات ، وضعت أصابعها على أعضائها الخاصة بالنطق ، وحاولت أن تحركها مثل هذه الحركات ، وبذلك تستطيع ان تستنطقها مثل تلك الاصوات

لم يكن الأمر يسيرا ، فقد اقتضى صبرا ، وجهدا ، ومرانا ، بذلته شهورا وشهورا هيلين بنت العاشرة ، ومدرستها التى أحبت الطفلة حبا ملك عليها نفسها ، حتى استطاعت أن تنطق الحروف الهجائية ، وحتى جاءت اللحظة الحاسمة فى تاريخها حين نطقت جملة مؤلفة من ثلاث كلمات ..

وهكذا انهار الحاجز الذى كان يفصل بين هيلين والعالم ، وصارت الى حد ما تشبه سائر الناس .. فلم يعد من فرق بينهم وبينها الا أنهم يقرأون بعيونهم ، وهى تقرأ بأصابعها

* * *

وفى سن السادسة عشرة التحقت هيلين كيلر ، ومعها مدرستها الآنسة سوليفان ، بأحدى مدارس البنات التى تعدها للتعليم الجامعى . فكانت المدرسة تسمع المحاضرات وتسجلها ، ثم تعيد كتابتها بالحروف البارزة ، لتستطيع هيلين أن تقرأها . وعقد لها الامتحان فى بيتها ، تحت اشراف أستاذ تعلم طريقة الكتابة بالحروف البارزة ، ليستطيع أن يلقى أسئلته على هيلين . أما الاجابة فكانت هيلين تكتبها على الآلة الكاتبة بطريقة « اللمس » المعروفة ، أى لمس الحروف دون النظر اليها . وأى جهد بذلته هيلين الكفيفة حتى عرفت هذه الطريقة التى لا يعرفها المبصرون الا بعد مران طويل ؟ لقد كان المدرسون يتراهنون على أنها لن تستطيع أن تكتب على الآلة الكاتبة ، ولكنها استطاعت وأجابت بها على أسئلة الامتحان الذى ظفرت فيه بدرجة الشرف فى اللغتين الانجليزية والالمانية

ودخلت الجامعة ، ودرست الأدب الانجليزى على الأستاذ كوبلاند الذى كشف فيها عن موهبة الكتابة . فقال لها : ان فى نفسك أشياء تستحق أن تقال ، وان لك طريقة خاصة لقولها .

واقترح عليها أن تكتب قصة حياتها ، فكتبتها ، فكانت وثيقة انسانية نادرة عن انه اذا صحت عزيمة المرء ، أو المرأة فما من شىء يقف فى سبيله الى ما يرجوه من المثل العليا . وفى هذه القصة تقول : « ان العمى ليس بشىء . وان الصمم ليس بشىء . وكلنا فى حقيقة الأمر عمى ، وصم ، عن الجلائل الخالدة فى هذا الكون العظيم . ولكن الطبيعة تترفق بنا حتى حين تبدو فى أشد مظاهر قسوتها . فقد منحت كلا منا ، نحن الذين لا نملك سوى خمس حواس ضئيلة عاجزة ، حاسة سادسة هى وحدها التى تستطيع أن ترى ما لا تراه العين ، وتسمع ما لا تسمعه الأذن ، وتدرك ما لا يدركه الدماغ

ـ هذه الحاسة التى تغنينا عن الحواس الأخرى هى دليلنا فى هذه الحياة ، وهى عزاؤنا فى هذا العالم »

وقد عاد عليها هذا الكتاب بمبلغ من المال اشترت به مزرعة . أقامت فيها هى ومدرستها ، التى صارت قطعة منها لا تملك فراقها ، وكرست نفسها للقراءة والكتابة : تقرأ بالحروف البارزة ، وتكتب بلمس حروف الآلة الكاتبة

وعاشت فى هذه المزرعة عيشة التصوف والرهبنة ، بين أحلامها وتأملاتها ، وفى صحبة مدرستها الوفية وكانت كل متعتها من الحياة نخبة من الاصدقاء ، يماثلونها فى الخلق والتفكير يزورونها من حين الى حين ، منهم مارك توين ، هذا الرجل الحزين الذى يثير الناس ضحكا ومرحا . وكان توين يقول : ان هيلين أثبتت ان الانسان يرى بقلبه لا بعينيه . فكم فى الدنيا من عيون لا ترى ، لأنها عيون مجردة من الروح ، خالية من البصيرة . وكم فى الدنيا من ناس يرون وعيونهم مطبقة الاجفان ، لأن فيهم روحا تدرك ، وبصيرة ترى

وما تزال هيلين كيلر تعيش فى عزلتها ، التى لم ينغصها عليها الا فقد مدرستها حين ماتت فى سنة ١٩٣٦ فأذهلها الحزن عليها حينا ما . ثم عادت فوجدت من فلسفتها وتصوفها، وفى عملها الفكرى والاجتماعى عزاء عما دهاها . فأخرجت عددا من المؤلفات المتسمة بالسمة الفلسفية وكتبت للصحف كثيرا من الفصول ، وجالت فى أنحاء أمريكا تلقى المحاضرات، تلقيها هذه التى أمضت سنين من عمرها خرساء لا يتحرك لسانها ولا تنبس شفتاها ، بصوت بين النبرات ، جلى الكلمات ، تنفذ عباراته البليغة الى الأذن والقلب معا ..

وهى تتمثل فى خيالها عالما تحيا فيه الانسانية آمنة رضية ـ فتراه ببصيرتها الملهمة عالما يقوم فيه نوع من الاشتراكية المتزنة الرشيدة ، التى تهيىء للجائع طعاما، وللشريد مأوى، وللجاهل تعليما ، وتحقق بين الشعوب سلما وأمنا ، وتكفل للجميع عدلا شاملا ..

[عن كتاب «تراجم حية لشهيرات النساء ... لهنرى توماس »]

مهالك الأمم

« وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها ، فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا ، وكنا نحن الوارثين . حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون . لا تجأروا اليوم ، إنكم منا لا تنصرون . ذلك بما كنتم تفرحون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون »
« قرآن كريم »

يتيم ..

بقلم الاستاذ محمود عماد

مضى زمانٌ ، والصبي الكريم　　قد هجرَ الصبية هجرَ الخصيم
وكان عن مَلعبهـــم لا يَريم　　وما بسِرّ الهجر فيهـم عَليم

* * *

فتىً نمـــا فى بيت عِزٍ وجاه　　إن سار يلبَث أعيناً والداه
وإن يعُد فالوالدان شِـــفاه　　وإن يُرد فالرفض ذنبٌ عظيم

* * *

وبينما هم فى مَهب الظنـــون　　لاح صبيٌ فانتحتـــه العيون
وأنكرَ الصبيـةُ ما يبصرون　　من ذا ؟ فتـانا ؟ لا فهذا أليم

* * *

أجَل فتاكم ذلكم يا صِحاب　　ماذا نكرتم منه بعد الغياب ؟
أما علاهُ من ضنىً واكتئاب　　وما ارتداه من لباسٍ قديم ؟

* * *

ما خطبــه إذ غابَ ، ما همهُ ؟　　قضى أبوه وقضت أمـــه
وجاءه يكفلـه عمـــه　　كفالة الدائن طفــل الغريم

* * *

أخٌ أوى يأكل لحم أخيـــه　　وما رعى فى الطفل عهدَ أبيـه
فضاع ما بين يديه وفيـــه　　مالٌ يصلّى البطن نار الجحيم

* * *

مالٌ إذا بحرٌ حواه اشتعــل　　أو جبــلٌ لارتج منه الجبل
ينعم فيـــه دون أدنى وجـل　　لِصٌ ورب المــال منه عديم

* * *

لا درَّ درّ اليتم أنى ظهــر　　وقُبح اليـتم ولو فى الدرر
كم قوة أوهى ومال هـــدر　　وكم برىءٍ فى يديه أثـيم

كم من صغير كان فى أصله   تُطهى له العزة فى أكله
فصار فى أهل سوى أهله   أعز منه كلب أهل الرقيم

***

العيدُ فى أيامه غير عيد   إن يلبس الأولاد فيه الجديد
فالرث ما يلبس هذا الوليد   وما بخير كل عام يقيم

***

مات الذى إما يجُع أشبعه   وإن شكا وسّده أضلعه
وإن بكى يمسحْ له أدمعه   وإن يغب يستهدِ عنه النسيم

***

مات الذى يرعاه فى نومه   ليطرد المزعج من حُلمه
ويرصد الطالع من نجمه   تراه يمضى فى المدار القويم ؟

***

مات أبٌ برٌّ وأمٌّ حنون   فمن عسى فى الطفل تخشى السنون؟
يا ويله إن لم تغشه المنون   ومن يغيث الموت أشق مقيم ؟

***

فى لجة العيش يغوص الكبير   كيف إذن يطفو عليها الصغير ؟
يا أولياء الأمر ماذا يضير   لو كان لليتم ملاذٌ رحيم ؟

***

ما ضرَّ لو كل يتيم أوى   منكم الى ركنٍ شديد القُوى ؟
يجنبه التيهَ بدنيا الهوى   دنيا بها قد تاه موسى الكليم !

***

إن فتانا صورة من صور   لليتم يجلوها كتاب القدر
يا صحبه بالله غضوا النظر   فنظرة تنكى لقتل الكريم

***

لا تلفتوا الطفل الى بؤسه   فيومه يخجل من أمسه
ونفسه تأسى على نفسه   هذا يتيم ، لا تدُعوا اليتيم

محمود عماد

المصوّر أحمد صبري ..

بقلم أحمد راسم بك

الاستاذ صبري من الفنانين القلائل الذين مهدت لهم ملكاتهم الفنية السبيل الى ما بلغوه من مكانة فنية ممتازة، وممن يوصف فنهم بالاتزان فلا هو استهواه حب الجديد فتنكر للمدرسة ، ولا هو تمسك بالطريقة النموذجية (الكلاسيك) الى حد المغالاة ، ومعروف أنها تغشى شخصية المصور

الم الاستاذ صبري بقواعد الفن ووعى اسراره وتمكن من دقائقه، وسلم كل ذلك الى مواهبه تهيمن عليها ، وخياله يصرفها بأروع ما يستحيل اليه خيال فنان

قامت الدعوة الى التجديد فلباها صبري ، ولكن بتحفظ الفنان المعتز بأصول فنه، العارف بقدرها. وبذلك سلم من التخبط الذي تردى فيه الكثيرون من دعاة الثورة على القديم بغية التحرر منه، الى فن يساير العصر، فطاحت بهم دعوتهم عن ساحة الفن ولم يبرر عقوقهم هذا جديد أتوا به أو طريف ابتدعوه

❋

ما من احد ينكر ان المدنية الحالية استلزمت كثيرا من التطور فطغت بمستحدثاتها على كل قديم خصوصا بعد حرب سنة ١٩١٤ فقد شمل التجديد مختلف نواحي الحياة وامتد الى مقومات الثقافة من علم وفن وادب. ولكن التطور ان كان من مقتضياته نبذ القديم كلية في ميدان ما ، فانه في ميدان الفنون مثلا يصعب النيل من تراث لها تساندت الاجيال المتعاقبة على ابداعه ولقي في كل جيل منها ما يعززه ويزيده قوة ومناعة . ثم هو في الوقت نفسه خالد خلود الوحي والالهام والحس والوجدان ومجموعة المشاعر المودعة فيه والتي تغذيه بالحياة

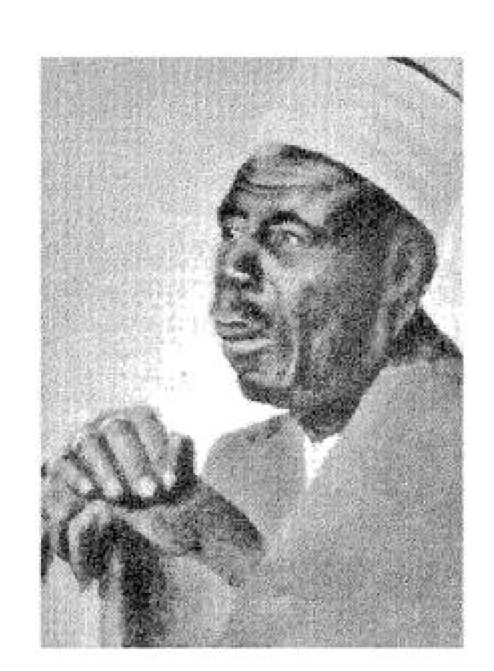
غاب ذلك من أولئك الذين ظنوا ان في الفن مجالا لبطولة يقتنصونها بأحداث تطور فيه يشبه تطورات الحضارة الحالية في عنفها وسرعتها والانقلاب الذي تحدثه، فجاهدوا في ابتكار نظريات في الفن، كل ما يمكن ان توصف به انها « تجديد» ولكن على هامش الفن . . اي على غير اساس من التعمق فيه والتمكن من اسراره

❋

ان من يتامل مجموعة الصور التي اخرجها الاستاذ صبري من شخصيات وفواكه وازاهير وما

وقد اخرج الاستاذ صبرى مجموعة من الازهار والفواكه . والناظر اليها يستطيب رائحتها الشذية وأريجها العطر.. ويرى فيها فتنة واغراء

ولا انسى صورة له « لبائعة الجوافة » وهى فتاة غارقة فى تفكيرها وبين يديها ذلك الطبق المملوء بهذه الفاكهة ذات اللون الوضاء ، وكأنها استمدت من شمس النهار ضوءا يحفظ عليها لمعانها فى الليل ، وكأن جسم البائعة غصن مزهر يبدو بضا تحت ثوبها الاسود . وهذه الصورة فى حوزة البارون دى بلت الذى كان وزيرا مفوضا لدولة السويد فى مصر ، حيث فتن بها وبادر بشرائها اعتزازا



« الزنجى الهرم »

عيض به من حياة ، ليحس بالاحترام والتقدير لذلك الفنان المطبوع

واني اذكر له صورة « الزنجي الهرم » فهي من الصور التى تسترعى الانظار بما فيها من اعجاز فني فى ابراز الاهاب الاسود للزنجي فى لونه الطبيعي، وهو فى الوقت نفسه شفاف يكشف عن العروق الدورية الدقيقة التى تتمشى فى الجفن وحول العينين . وتشاهد فى يد هذا الزنجي عقل اصابعه مفصلة واضحة يكسوها الجلد وتحفها الظلال فى خلابة ، لا تدع الشك يتسرب الى نفوسنا فى انها يد زنجي حقيقية .. وكذلك رأسه الذي لايسع الرائي الا ان يقر بانه رأس حية يفكر ويموج بالخيالات

« سيدة »





« بائعة الحوافة »



« سيدة : . ومروحة »

عازف ..



.. وعازفة

بفنها وتقديرا لمصورها . ونحن واثقون بأن جمال هذه الغادة لن يذبل يوما وبأنها ستظل كالزهرة اليانعة ما دامت ماثلة فى لوحتها وما دامت فى يد من يقدرها

ومن بين منتجات صبري صورة « اللحن الحزين » فالى ما فيها من الدقة التى تساير شخصيات صبرى ، فانه يشيع فى جو هذه الصورة ما يهز الاحساس ويثير مكامن النفس ، وان ألحان العازف لتجد صداها فى اعماق الصدور وتتجاوب مع ذكريات ، ماكان لغير ذلك العازف ان يعرف مستقرها ويتخذها أوتارا لموسيقاه ، وما كان لغير صبري أن يعالج بفنه خلجات الفؤاد ، ويكشف عن دفين الاحساسات

أحمد راسم

دعاء غير مستجاب !

كان أبو جعفر المنصور يهبط الكوفة في أواخر العهد المروانى مستترا ليسمع الحديث على « أزهر السمان » . وكان هذا يعرفه ويكتم خبره

فلما أفضت الخلافة الى المنصور ، وفد عليه أزهر ، فرحب به وأفرد له دار ضيافة خاصة تكريما لعلمه وفضله ، ثم قال له يوما وهو يؤانسه:

ــ ما الذى أقدمك يا أزهر !

قال : « جئت طالبا ! »

وكان المنصور لا يميل الى منح العطايا والهبات ، ولكنه عرفانا بفضل الرجل لم يشأ أن يرده خائبا ، وأمر له بعشرة آلاف درهم ، على ألا يعود لمثلها !

ولكن أزهر عاد الى المنصور بعد حين ، فمد له هذا فى ضيافته أياما، ثم سأله: « فيم قدمت ثانية؟» قال: « جئت مسلما » فقال المنصور: « قد أمرت لك بعطائك على ألا تأتى طالبا أو مسلما ! »

ومضى عام ، واذا بأزهر قد عاد مرة ثالثة ، فلما سأله المنصور عن سبب قدومه بعدما تقدم بينهما ، زعم انه جاء ليسأله عن دعاء كان قد سمعه يتمتم به ساعة خروجه . فضحك المنصور وقال له :

ــ أما الدعاء . . فانه غير مستجاب ، فقد دعوت الله ألا تأتى فأتيت. لقد أمرت لك بعطائك . . واحضر أنى شئت ، فقد أعيتنا فيك الحيلة !

أصدقائى الأقزام

بقلم الرحالة ب . ج بريتوريوس

عند منابع النيل بقرب بحيرة «كيفو» وهى من اجل بحيرات تلك المنطقة ، صعدت الى قمة التل ، فادهشني أن ارى أفيالا تجد فى السير ، وقردة من فصائل الغوريلا ، تتنقل من شجرة الى شجرة . ولم اجرؤ على دخول الاجة الكثيفة لأني علمت من سكان تلك الجهات ، ان الاقزام يقطنون أدغال الخيزران فى الداخل ، وهم على جانب عظيم من الوحشية والميل الى العدوان . وضربت خيمتي بجانب بركة صغيرة ، كان يختلف اليها قطيع من الفيلة للشرب فى فترات متعددة . ولكن بغيتي لم تكن الصيد ، وانما كنت شديد الرغبة فى التعرف على الاقزام ، وحملهم على مصادقتي ، اذ كنت تواقا الى الوقوف على طرق معيشتهم

وقضيت شهرا كاملا ابعث الرسل من سكان القرى المجاورة طمعا فى الاتصال باولئك القوم بلاجدوى . وكان الرسل يحملون معهم الماعز والاغنام ويخاطرون بحياتهم فى سبيل التقرب اليهم ، ومع ذلك فلم يخفف هذا من عدوانهم أو يغير من خطتهم . الى ان بعثوا الينا يوما برسول ينبئنا انهم قرروا أن يوفدوا الى نفرا من رجالهم ونسائهم واطفالهم ، بشرط ان يقفوا بعيدا ، ولكن على مرأى منى

وكانت على مسافة خمسين ياردة من خيمتي ، كومة من رماد الحمم قذفها بركان مجاور لبحيرة «كيفو» . وقد اتخذوا من هذه الكومة منبرا يقفون عليه . وقد اقسمت لهم بأغلظ الايمان ، انني لا اضمر لهم شرا ، ولكنهم لم يقتربوا مني شبرا واحدا . وعاد الى منهم عشرون رجلا وامرأة فى اليوم التالى ، وكنت جالسا أمام خيمتي وبجانبي مترجم . فطلبت اليهم ان يتقدموا نحوي لأقدم لهم طعاما ، ويشاركوني فيما آكل ، واشرت الى الماعز والاغنام التي ترعى حول الخيمة ، فابوا قائلين : « انك تريد الاستيلاء علينا »

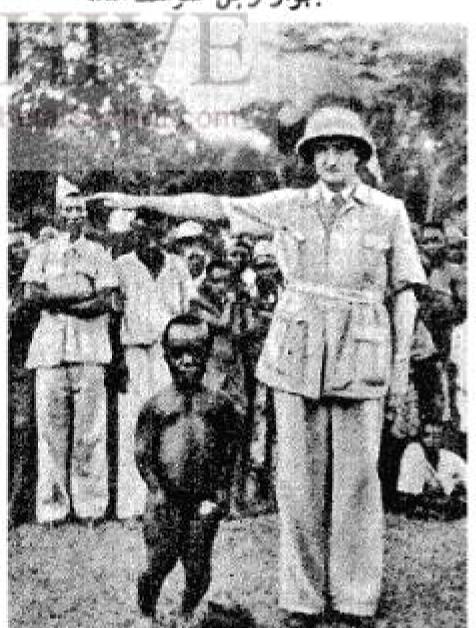
وكانوا طيلة المدة التي قضوها متجمعين فوق تلك الكومة ، يحملون الاقواس ، استعدادا لاطلاقها . ولكني رفعت يدي لأبين لهم انني اعزل من السلاح . فتقدم نحو الخيمة قزمان منهم واحضرت لهما بعض الاغنام ، ولكني اشترطت عليهما ان يتناولا الطعام معي ، قبل أن اسمح لهما بحمل شيء معهما الى الآخرين .

وكانا لا يزالان ممسكين بالقوس والنشاب والحراب ، ولكني ما كدت اقدم لهما ماعزا صغيرة ، حتى اختطفها احدهما بيده ووضعها بين قدميه ، ثم طعنها الثاني بحربته في عنقها ، واخذا يلتهمانها بشراهة ، بكل ما فيها من لحم وجلد وشعر

*

والاقزام اقوياء البنية، مفتولو العضل، عريضو الصدور، شداد الاذرع ، ضخام الانوف ، تبلغ قامة الواحد منهم نحو اربعة اقدام . ولا يلبسون ثيابا على الاطلاق من اي نوع كان ، ولا يسترون اي جزء من اجسامهم، ولا يطهون طعامهم . وقدكان لحم الماعز الذي التهموه وساطة فعالة

أحد أقزام مجاهل أفريقيا . . يبدو واقفاً بجوار رجل متوسط القامة



للتعارف وزوال الكلفة، اذسرعان ما اذنوا لنا بدخول الغابة ، ومشاهدة مساكنهم بين اشجار الخيزران. ولم يمض اسبوع واحد حتى اصبح جميع الاقزام يتبعونني كالظل اينما ذهبت

وللاقزام طريقة خاصة في صيد الفيلة وطعنها بحراب حادة. وهذه الحراب من صنع قبائل مجاورة ويحصلون عليها عن طريق المبادلة بسن الفيل . وتبلغ شفرة هذه الحراب ٥٠ سنتيمترا طولا وسبعة سنتيمترات ونصف سنتيمتر عرضا ، وتنتهي قبضتها بثقل من الحديد مدبب . وقد أتيحت لي مشاهدة هؤلاء الاقوام، وهم يتربصون للفيلة ويقتنصونها وهذا ما رأت عيناي :

« يفاجيء الاقزام الفيل وقت القيلولة وهو مستغرق في النوم. ثم يغرسون حرابهم من غير جلبة ، بحيث تغوص نهايتها المثقلة بالحديد المدبب في الارض، وتتجه شفراتها بانحراف نحو الفيل ، وعلى بعد عشرة امتار منه ، وفي صف واحد مستقيم. ثم يتسللون نحو فريستهم مصطفين على يمين الحراب وعلى يسارها ، وخناجرهم مستلة في أيديهم . وفي لمح البصر يضرب احدهم كفا على كف ، ويزعق زعيقا منكرا ، فيهب الفيل من غفلته ، وهو لا يعي شيئا عما نصب له من الشراك ، وتعوقه الحراب المنصوبة فيضطرب ويختل توازنه. وفي هذه اللحظة يطبق عليه الاقزام من اليمين ،

ومن اليساربخناجرهم، فيفتكون به ، وقلما ينجو من مثل هذه المعركة فيل »

وقد قمت فى هذه المناطق ببعض رحلات لصيد الفيلة والقردة ، مستعينا بالاقزام ، وهم ذوو بسالة نادرة ، وخبرة عظيمة بتتبع الاثر . وتعيش الفيلة على عيدان الغاب قبل نضوجها وجفافها ، اما الغوريلا فتقتفي اثر الفيلة وتقتات من فضلاتها . ومن عادة القردة أن تجعجع في سيرها ، ومتى سمع الاقزام جعجعتها اطلقوا صفيرا حادا من افواههم ، فتفر بعيدا عنهم

*

ولا ازال اذكر اول عهدي بصيد الغوريلا فى ذلك الحين ، وقد كنت متأثرا بما سمعته من الاوروبيين والافريقيين ، من أن الغوريلا حيوان مفترس خطير ، يهاجم الرجل بمجرد وقوع نظره عليه

حدث ذات يوم ان خادمي ايقظني فى ساعة مبكرة ، وانبأني ان قطيعا من الفيلة مر بالخيمة ميمما نحو جهة معينة . فارتديت ثيابي على عجل واعددت عدتي من السلاح والذخيرة ، واستعنت باقزام من خيرة مقتفي الاثر . ولم نتقدم كثيرا حتى اتضح لنا ان غوريلا فى غاية الضخامة ، قد ترك آثاره مقتفيا خطوات الفيلة ، فاخذ الاقزام يصفرون كعادتهم ليخيفوا الغوريلا .. ولكن بغير جدوى . وقد خشيت أن يهرب قطيع الفيلة ، من جراء ما أتاه الاقزام من الضوضاء بصفيرهم المتواصل ، فطلبت اليهم أن يدلوني الى حيث يوجد ذلك الغوريلاحتى اصطاده. فارتعبت فرائصهم مؤكدين ان مجرد اطلاق النار عليه ، يثير ثائرة القردة ، فيخرجون من أوكارهم ، ويقطعون اجسامنا اربا اربا . ولم تثن تهديداتهم عزمي ، وانما على النقيض من ذلك ايقظت فى نفسى غريزة القنص ، فتقت الى الاقتراب من هذا النوع الجبار من القردة

وهنا تقدم الاقزام فى سكون وحذر ، وقد اعجبت بحذقهم وتمكنهم من التسلل بين الاشجار الكثيفة فى خفة وصمت كالفهاد. وفجأة جمدوا فى أماكنهم كالاخشاب، فانضممت اليهم ومن ثم انبعثت من الاجمة على بعد خطوات منا رائحة شديدة ، فادركنا ان الغوريلا على مقربة منا . ولم تمض ثوان معدودات حتى ازاح احد الاقزام أعواد الخيزران ، فوقع نظري لأول مرة على مشهد مرعب مخيف : رأس ضخم يتجه نحونا ، ووجه لا يمكن أن يكون وجه الشيطان افظع منه ، وجبهة شعراء مخيفة ، وحواجب تتدلى منها خصل من الشعر الكثيف، وعينين تقدحان شررا أحمر، وأنف افطس ، على كل من جانبيه خيشوم واسع ، وفم ضخم منحرف مملوء بالاسنان . وبالايجاز كان منظره المفاجيء مدعاة لتخشب أجسامنا وتصلب

شرايينا . وكان هـذا الوحش الضاري يمضغ بقايا اعواد من الخيزران الطرى ، فانتهزت هذه الفرصة السانحة بعد أن فقت من ذهولي ، وصوبت بندقيتي ببطء وحذر نحو جمجمته ، وما كدت اضغط على الزناد حتى هوى دون أن تبدو منه همسة او انة

اما الاقزام رفاقي فقد ظلوا جامدين كالاصنام ، ولن انسى ما قرأت على وجوههم فى هذه اللحظة من الفزع والرعب المزوجين بنشوة الفرح . وبعد قليل سرنا نحو الفريسة وقد القته الرصاصة على بطنه ، فجاهدنا جميعنا فترة من الزمن قبل أن نتمكن من القائه على ظهره وقد بلغ طوله من هامة الرأس الى أخمص القدم أكثر من مترين

وعند ما عدنا الى الخيمة ، اشتد الضجيج بين الاقزام وعلت اصواتهم . وقد علمت من تابعي انهم كانوا يعيدون قصة الغوريلا ويكررون القول انه لولا أن الرصاصة صرعته على الاثر ، لأثار ثائرة القردة بزعيقه المدوي المتوالي ، وقرعه على صدره ، وانانه المفزعة ، فتخرج القردة من مكامنها وتفتك بنا فتكا . وظللت بعد ذلك اياما اسمع أصواتا مزعجة خارجة من اعماق الاجمة ، وكأنها طبول تقرع دعوة للحرب والقتال ، وكانت تتردد هذه الاصوات فى عدة انحاء فى اقصى الادغال وادناها . وقد علمت ان هذه الاصوات ما هى الا أكف القردة ، تقرع صدورها فتشبه أصواتها دقات الطبول ، وهى لا تفعل ذلك الا انذارا بدنو الخطر

[عن مجلة « ورلدديجست »]

فلسطين

قسماً بتُربكِ والدم المسفوك
لن يُستذل دم العروبة فيكِ

يا خيرَ أوطان العروبة ، كم فتىً
يهفو ليشطر رأس من شطروكِ

قوم تفرقَ رأيهم طمعاً ، مضوا
يتلمسون وغيٌّ على واديكِ

لم يعبأوا بنذير شعبٍ ناهضٍ
يأبى البقاء بقيدهِ المحبوكِ

فمضوا بليل يقسمون على الهوى
ما ضر من قسموكِ لو تركوكِ

العرب حولكِ قبلوا أسيافهم
وتحفزوا زمراً على ناديكِ

لا تجزعى ، فالفضل للسيف الذي
شحذته كف العرب دون شريكِ

مختار الوكيل

« ان اختلاف الرجل والمرأة فى الطبيعة والأهداف هو سر التجاذب والاتفاق »

آدم وحواء .. بين النفعية والمثالية

يقولون ان طبيعة المرأة مادية نفعية ، قبل كل شيء . فلاتكاد تجتاز سن المراهقة حتى تتجه أنظارها الى الزواج ، ولكن ليس بدافع الحب المثالي .. فهى تسعى الى الشاب او الرجل ، أوتظل متربصة له فى « الطريق» حتى يسعى اليها ، وهدفها فى هذا السعى أو ذاك التربص ، الانتساب اليه ، والاحتماء به ، والاعتماد عليه ، واتخاذ اسمه أو شهرته وسيلة للسمو بمكانتها فى المجتمع

ويقولون ان طبيعة الرجل ــ وعلى الأخص الشاب ــ مثالية خيالية ، قبل كل شيء . فاذا اتجهت أنظاره الى الزواج ، فانما يفعل ذلك بدافع عاطفة غريزية فيه ، هى عاطفة الحب . والفتاة التى يتقدم اليها أو الى اهليها يطلب يدها ، هى فى الواقع فتاة أحلامه ، وصورة خيالية لرسم طالما جال فى ذهنه ، وتغلغل فى احشائه ، قبل ان يبلغ سن الحلم وبعده ، بل قد يكون ذلك فى سن الطفولة المبكرة . ويستدرك أصحاب هذا الرأى ، فيقولون ان بعض الفتيات يسعين للزواج للحب ذاته ، مجردا عن المادة والنفعية ، وان بعض الشبان يسعون للزواج للمال والجاه ، مجردين عن الحب

وهذا البعض وذاك ، من الشذوذ الذى يعزز القاعدة

ولكن .. هل هناك ما يؤيد هذا الراى بعبارة لا تقبل الشك؟ ان المرأة ظلت أحقابا وأجيالا سرا مكتوما ، وصندوقا مغلقا . وذلك لبعدها عن المجتمع ، وانزوائها فى ناحية أخرى من نواحى الحياة العامة . لقد قالوا لنا يوما ما انها أقل ذكاء من الرجل ، فلما أخذت الفتيات فى بعض البلدان الغربية تنافس الفتيان فى طلب العلم ودخول ميادين العمل ، دلت الاختبارات الحديثة على فساد هذا القول . وقالوا لنا انها تعيش بعاطفتها وقلبها ووجدانها ، لا بالمنطق والعقل ، فانكر العلم الحديث هذا الرأى . وقالوا انها أضعف من الرجل، وفاتهم ان حمل الاثقال ليس وحده دليل القوة ، وقد برهن علم الاحياء ان تركيبها العضوى يقيها الكثير من الأمراض والآفات التى يتعرض لها الرجل،

ويطيل عمرها من ٥ الى ١٠ سنوات فوق عمر الرجل، ويجعل طاقتها الجنسية أضعاف طاقة الرجل . اذن .. فأين الحقيقة ؟ الحقيقة ان الطبيعة أوجدت بين الرجل والمرأة فروقا بدنية ونفسية ، لحكمة خاصة، أساسها تخليد النسل، والتقريب بينهما، لا التفريق . ولعل فى مقدمة أسباب الخصام والعداء والطلاق، بين شاب وشابة فى السنوات الاولى من الزواج ، جهل هذه الفروق ، وجهل الحكمة السامية فى ايجادها. ونأمل ان يستخلص الشباب من السطور التالية ، ما ينير أمامه السبيل

*

من السهل جدا أن يسىء الرجل — وعلى الاخص الشاب — فهم المرأة ، لأنها تظل اقرب شبها بالطفل من الرجل . وكلما زادت أنوثة وجمالا ، زادت شبها بالطفل فى منظرها الخارجى، وحياتها ومسلكها ، وتكوين جسمها ، وحياتها الوجدانية .
وقد عمدت الطبيعة أن تجعلها شبيهة بالطفل حتى تكون أصلح للأمومة . فبقربها من الطفل تكون اكثر مقدرة على تفهم الطفل من الرجل ، الذى كلما كبر اتسعت مسافة الخلف بينه وبين الطفل . ومما يجهل أولئك الذين يزعمون ان المرأة مادية نفعية ، على هذا الزعم ،جهلهم انها كالطفل اكثر مقدرة على الاخذ منها على العطاء ، والتأثر منها على التأثير، والاستهلاك منها على الانتاج ، ولما كانت أشد اعتمادا على الايحاء الغريزى منها على الشعور الواعى، فانها اكثر ميلا الى التألم منها الى الايلام، وأشد نزوعا بطبيعتها الى ان تبكى وتؤذى ، منها الى ابكاء الغير وايذائه

*

ويتضح من هذه الفروق السديدة الحكيمة ، ان الطبيعة اودعت فى المرأة ما لم تودعه فى الرجل ، فجعلتها فى مفترق الطريق ، وسطا بين الطفل والرجل، حتى تكون أصلح مربية للأول ، وأصلح رفيقة حبيبة للثانى ، وحلقة الاتصال بين هذا وذاك

وقد قصدت الطبيعة أن تميزها بأوصاف ومغريات تقتنص بها الرجل وتجذبه اليها بغير جهد أو عناء من ناحيتها . فهى بعكس الرجل ضيقة الكتفين ، عريضة الحوض ، تتمثل الأنوثة بارزة فى منظرها وسكناتها وحركاتها وميولها ونفسيتها . فبشرتها ناتحة مشرقة لماعة ، وشعرها طويل ، عطر ، متماوج ، وثدياها ناضجان ممتلئان فى مكان لا يسع الرجل الا أن يتطلع اليه، والشفاه حمراء قانية ، والعيون تتكلم صامتة ، والصوت رنان موسيقى يسمع من بعيد ، والأسنان كعقود اللؤلؤ تبدو كلما انفرجت شفتاها عن ابتسامة أو ضحك . وتفرز غددها «هرمونات» تغذى فيها هذه الجاذبية وهذه الأنوثة،

فتشع نفسيتها حولها نسمات من التيه والدلال والرقة والعذوبة والكياسة ،كما تبعث من عينيها نظرات الامومة والرحمة والحنان

والمراة المثالية الكاملة الأنوثة ، لا تمتاز بقوة الشخصية ، بل بالهدوء والسكون والاطمئنان ، وبحلاوة العبارة لا بفلسفتها ، وبجزالة اللفظ وسلاسته لابعمقه. وبوجدان صاف كيوم الربيع ، وعاطفة غامضة كالأفق وقت الشفق

*

وتظهر الفروق بين الرجل والمراة فى سر الحياة التى يشترك الزوجان فى تكوينها . فبينما تسعى بذرة الذكر الى احشاء الأنثى ، بقيت بويضة الأنثى فى الانتظار، فليس من الغريب اذن ان يكون الرجل الصياد وهى الفريسة ، وان يكون الرجل الجيش وهى الحصن الحصين ، وان يكون هم الرجل ان يغزو ، وهم المراة ان تقهر ، طالما انست فيه الشجاعة والبطولة . ولكن ليس معنى هذا ان المراة عاطلة مستقبلة تتأثر ولا تؤثر على الاطلاق . ان الرجل الابرة التى يجذبها المغنطيس ، والمراة المغنطيس ذاته ، يشع منها كما يشع الضوء من القمر . وكما ان المغنطيس مشحون بالطاقة ، فكذلك المراة مشحونة بالعاطفة الجنسية ، وقد امتلأت منها كل خلية فى جسمها وتشبعت ، فاصبحت هذه العاطفة طبيعتها الأولية . وقلما تعرف المراة انها كذلك ، او تريد أن تعرف ، كما ان القمر لايعرف انه يشع خيوطا فضية . والمراة الكاملة الانوثة ، التى لم تجنح الى الرجولة فى ميادين الأعمال الشاقة ، توقف كل حياتها خدمة لأنوثتها وامومتها. ودافع الأنوثة هو الذى يقرر الازياء فى الملابس والاحذية واغطية الراس وتصفيف الشعر وغير ذلك

*

ان طالبة الجامعة فى الواقع اشد اهتماما بلون منديلها منها بفلسفة ارسطو وبيكون وشوبنهور . والمراة الأصيلة الكاملة الأنوثة ، أيا كانت درجاتها الجامعية ، أقل شغفا بعناصر الالوان الكيميائية وطبيعتها ، منها بانسجام هذه الالوان انسجاما يبرز جمالها ، ويزيد هندامها حسنا، وقوامها رشاقة، ويثير اعجاب الجنس الآخر بها . والطالبة الجامعية التى تتخصص فى دراسة علم النبات ، تكون عادة اقل عناية بتركيب الوردة الفيزولوجى، من منظر هذه الوردة وما تشعه من الألوان الرائعة التى تزين فستان السهرة . والكون الذى تواصل طالبة الدكتوراه ليلها بنهارها فى دراسته فى علم الفلك ، لا يتالف من كواكب دوارة فى افلاكها ، بل من قلوب متأججة خفاقة ، وعلى الأخص قلبها وقلب الحبيب او الزوج ، حقيقيا

كان ، او من نسيج الخيال ، او حلما من احلام اليقظة

ولما كان الدافع الجنسي في الرجل محصورا في اعضائه التناسلية ، في حين انه في المراة منبث في كل اجزاء جسمها تقريبا ، وانه اكثر اشتباكا والتفافا بشخصيتها وخلقها منه في الرجل ، فان المراة من هذه الناحية ارفع من الرجل واسمى . لذلك قيل ان الرجل مخلوق مزدوج ـ حيوان اسفله ، وملاك اعلاه . اما المراة فوحدة كاملة

*

ولكن ذلك لا يعني ان الرجل شرير بطبيعته ، اذ ليس للشر او الخير دخل في الموضوع . كل ماهنالك ان الطبيعة خلقته هكذا ، كما خلقت المراة كذلك . الرجل ما يكاد ينال من المراة وطره ، حتى يقول لها عمي مساء ، ثم ياخذ يفكر قبل النوم في عمل الغد . ولكن في هذه الفترة تتكون تلك الخلية التي ستبقى مع المراة تسعة شهور ، ثم تصبح بعد ذلك مخلوقا بشريا . فلا عجب اذا قيل لنا ان الحب عند الرجل ضرب من المغامرة ، وعند المراة امل ورجاء بالمستقبل .. عنده شعلة من النار يندلع لسانها برهة ثم تخبو او تنطفىء ، اما عندها فهو جذوة هادئة ، خافتة في الظاهر ، متاججة في الداخل ، وقلما تطفا ، اللهم الا اذا صب عليها الرجل ماء باردا

*

يتبين مما سبق ان المثالية في الرجل ، اذا صحت هذه التسمية ، لا تنصرف الى معناها الاصلى . فحب الرجل ، ليس مثاليا بمعنى انه خال من الغرض تماما ، ولكنه مثالي لانه قلما ينصرف الى التفكير في المستقبل ـ في الذرية ، في البيت ، في الأسرة ، في السعادة الزوجية . ولكنه مثالي بمعنى انه الحب وحسب ، بما وراءه من ميل جنسي حاد ، صاخب ، غير مكترث بشيء آخر

*

ويتبين كذلك ان النفعية في المراة ، اذا صحت هذه التسمية ، ليست نفعية بالمعنى المتفق عليه . فهي ليست انانية ، او تاجرة ، او مساومة ، ولكنها نفعية بمعنى انها بعيدة النظر ، امينة على الوديعة التي في عنقها ، امينة للطبيعة التي عهدت اليها بناء العش ، والعناية به ، واعداده لشريك حياتها ، ولذريتها ، وتخليد النسل لزوجها ولها وللبشرية اجمع . لقد افترق الزوجان اذن في طبيعتيهما ، ولكن ليتفقا

(ا . ب)

واحسن من نيل الوزارة للفتى حياة تريه مصرع الوزراء

[ابن الرومى]

فى سجل ذاكرتك
خامسا : فكر فى رابطة او علاقة بين أسماء معارفك الجدد والاسماء العالقة بذهنك .. ان قوة الذاكرة تعتمد الى حد كبير على البراعة فى ايجاد هذه الصلة
سادسا : اختبر ذاكرتك كلما سنحت لك الفرصـــة .. فاذا شهدت حفلا، فحاول ان تتعرف على اسماء الحاضرين .. فان ساورك الشك فى بعضها ، فسل جارك أو صاحب الحفل عنها
سابعا : اهتم بكل شخص تلقاه اهتماما خاصا . ان علماء النفس يقررون اننا نذكر جيدا الاشياء التى نريد أن نذكرها . فاذا لم تهتم بالغير ، واذا لم تعن بكسب اصدقاء جـدد ، فانك لن تذكر اسماء الكثيرين الذين يقدمون اليك يوما بعد آخر

*

وقبل ان تقول لنفسك : «اننى عاجز عن ذكر أسماء الناس » .. تريث قليلا وفكر فى الامر . فلعلك تعنى انك لاتريد التعارف بالناس وانك قد ركزت كل اهتمـامك بنفسك ، فلم تعد تهتم بالغير

[عن مجلة « كورونت »

إليك يا أبا الهول

كرهت قلبي لأنه احبك ..
كرهت عيني لأن فيهـــــا صورتك ..
كرهت نفسي لتلهفها عليك ..
هجرت بيتي وسعيت اليك ..
ففي قربك الجنة ، وفى بعدك العذاب ..
فياويلي من جنتك ويا رهبتي من عذابك ..
ما قطفت من جنـة حبك غير الحرمان ..
لذلك كرهت قلبي لأنه احبك ..

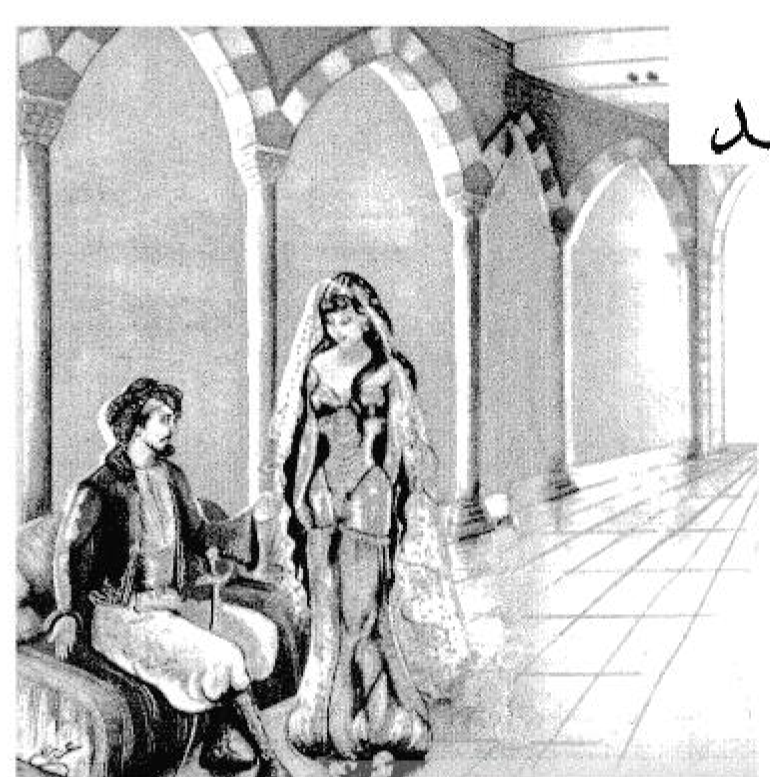
*

أيها الصامت حدثني ..
فما اجمل ان تنطلق العاطفة من اسارها ..
لم لا نختلس من العمر لحظات نعيش فيها منفردين ..
أنا وانت والحب ثالثنا ..
أنا وانت وليل طويل يضمنا ..
أنا وانت وظلمة ناعمة تشملنا ..
تكلم أيها الصامت الذي احب ..
فقد كرهت قلبي لأنه احبك ..

*

اجبرتني على حبك برجولتك ..
وجئت اليـك مشوقة ظمآنة الى نظراتك ..
احب عينيـــك لأني وجدت وراءهما العالم الذي ابحث عنه ..
احب قـوتك التى تشعرني بضعفي ..
احبك واحترمك ، وهذا ما لم اهبه لأحد غيرك ..
ولـكنك يا ابا الهول تبالغ فى صمتك .. وفى قسوتك ..
لذلك .. كرهت قلبي لأنه احبك ..

سفية قراعة



قصة تاريخية ..

تغريد

بقلم ابراهيم رمزي بك

كانت «فريد» جارية السيـ
« واصفة » زوجة الخليفة الحا
بأمر الله الفاطمي ، فتنة الع
ومتعة القلب ، جمال صورة
وحلاوة طلعتها ورخامة صوت
ورشاقة قوامها . ولذلك اتخذ
سيدتها الحجة البارزة من
الخليفة .. لا غيرة منها ، بل
الخليفة كان شاذا مضطرب التفكير
وزادت سلطة الخلافة في شذو
واضطراب تفكيره ، حتى خيل إ
أنه «الله» .. كان إذا تألم ضحك
وإذا فرح بكى ، وإذا بهره
ثار على صاحبه فضربه أو قتل
كما كان قتل الأمراء والوزراء عنه
أول مراتب العقاب لأهون الأسباب
أما ولده ولي العهد .. فكا
[illegible] طفلا ، ولكنه هام بهذ
الجارية وهو غلام في الثالثة عشر
من عمره ، وتمنى أن تكون له على
أية صورة ، جارية يستحلها أ
زوجة حليلة ، برغم أنها كانت
تكبره بأربع سنوات . وتوسل
إلى عمته «السيدة» ست الملك
أن تعينه على تحقيق رجائه
بالحديث مع أبيه في هذا الصدد
ولكنها كانت واثقة كل الثقة بأنه
إن فاتحت أخاها الخليفة في هذ

الأمر ، كان رجع حديثها ذبح الفتاة بيده أمام عيني ولده ، لا لأنها اجرمت او اساءت ، بل لأنه احبها. وان لم يقتلها جدع انفها اوصلم اذنها ليشوهها في نظره .
على أن السيدة « ست الملك » كانت تلمس في اخيها نوعا آخر من الشذوذ ، هو مقت كل فتاة جميلة لاعتقاده انها مطية الشيطان. فمن الخير أن يوقي الناس هذا الأذى امابتشويهها أو قتلها. وكان يأبى على النساء ان يستمتعن بشيء مما أحله الله لهن ، حتى لقد سمع بعض النسوة يغنين ذات يوم وهن يغتسلن في حمام بحارة الروم ، فأحضر البنائين على الفور وامرهم بسد منافذ الحمام عليهن ، فمتن جميعا من الجوع والبرد عندما انطفأت نار المستوقد
. وحرصت « ست الملك » حين انبات ابن اخيها باستحالة الكلام مع ابيه في هذا الشأن، أن تصرف قلبه عن « تغريد » وتصد نفسه عنها ، فاتهمت الفتاة بأكره مايكره الرجل من الانثى واصرفه لحبه، وهو نتن الانفاس الذي يسمى « البخر»، وهي تعلم أن «تغريد» كانت ذات نفس طيب عبق. بيد انها أفلحت فيما أرادت ، فعافها الامير المراهق وكرهها . ولكن « ست الملك » لم يهدأ لها بال منذ تنبهت لما لابد أن تستهدف له « تغريد » في القصر الشرقي حيث يسكن الخليفة وزوجته ، وقدرت انه لابد أن يفطن ذات يوم الى ما تشيعه هذه الجارية في ارجاء القصر من فتنة وسحر ، وعندئذ يرى أن من واجبه وحقه أن يصون ولده من أذاها ، بشيء مما تقتضيه تنشئة ابن « الاله » على الطهر والورع كقتلها مثلا أودس السم في طعامها أوفقء عينيها .
فعملت لفورها على تفادي ذلك بالسعي الى نقلها للقصر الغربي الذي تسكنه هي وامها والاقربون الذين لاحق لهم في مجاورة الخليفة في القصر الكبير. وسرعان ماركبت بغلتها وسارت للقاء السيدة « راشدة » قاطعة ذلك السرداب الذي بناه أبوها العزيز بالله ليصل بين القصرين وتسلكه السيدات والجواري وكل من لايليق ظهوره في الميدان الذي بين القصرين ، بل والخليفة نفسه عند ما تعن له زيارة من فيه من الكرائم .. او مفاجاتهن وهن في سمرهن ، للاقتصاص منهن على استمتاعهن بشيء مما لم يحرمه الله على الناس من غناء مغنية أو مجرد مجالسة بعد العشاء بين الاقرباء
لقد كانت « راشدة » سيدة رشيدة ، صادقة الود والمحبة « لست الملك » ، فما ان ابلغتها ما كان من حديث ولدها معها ، وما صنعته لتصرفه عنها ، وما تخشاه بعد هذا على « تغريد » حتى نهضت فقبلتها واجابتها الى ما ترى من وجوب ابعاد « تغريد » عن مستراد الخليفة
وانتقلت « تغريد » الى القصر الغربي في مشهد يذيب القلب عطفا على راشدة وتغريد ، ولكنها كانت قد ذعرت بما سمعت عن الخليفة وتوقع قتلها ورميها في

الجب ، فكانت عواطفها اذ ذاك لفراق سيدتها كعواطف العذراء حين تحمل من دار ابيها الى دار عروسها

□

هنـاك عنـد « ست الملك » ذاقت «تغريد» شيئا من السعادة التي كانت محرمة في قصر الخليفة ، فلم يكن فيه الامايكون في الدير . . السكوت والوجوم والظلام . اما في القصر الغربي ، فقـد كانت الحياة بهيجة نهارا وليلا . . هناك التلاقي والانس والسمر المسترق ، وهناك نهلات يرتوي بها القلب من نظـرات الزائرين والزائرات من أهل بيت الخلافة الذين كانت تدعوهم أميـرة القصر « ست الملك » سرا أو في غيبة الخليفة ، لحفلات سمر شادية راقصـة في حذر واسـتخفاء ، تتجلى فيها رشاقة «تغريد» ورخامة صوتها الشجي العجيب

هناك احست « تغريد » أول اشمة الحب ، يبعثها الى قلبها فتى حلو الشمائل وسيم الطلعة نويق العشرين من العمر اسمه الامير « تميم » علمت فيما بعد ان اباه ابن عم الخليفة . كان ينبعث من عينيه الهدباء نور كنور الحباحب ، الا انه كان ينفـذ الى ما وراء الشـغاف من صـدرها فينيـر حجرات القلب كلهـا وتستشعر له وهجا لم تعرفه من قبـل . وكان تميم هـذا كجـده الذي سمي باسمه ، شاعرا وفارسـا فره الكيان وافر الرجولة . وكان يحب السيدة « ست الملك » حب

الولد لامه ويدين لها بالطاعة لانها هي التي تولت أمره بعد والديه ، وكانت تتمنى لو كان لها ولد مثله ، ولكن اخاها كان قد حرم عليهـا الزواج ليأمن تطلـع زوجها الى العرش ، فعاشت عانسا تنقم على اخيها السفاح المهووس اهـدار حياتها بهذه الوسيلة الآثمة . ومن حبها « لتميم » هـذا وخشيتها عليه مما اغرم به اخوها من قتل شـبان البيت الفاطمي ، كانت تغربه بالبعد عن مصر كي لا تصل اليه يد الخليفة . ومن ثم كان هذا الامير الصغير لا يستقر بالقاهرة الا ريثما يتزود قلبه من رؤيتها ورؤية اهله واحبـابه ثم يعاود السفر معاجلا

□

كان « تميم » يومئذ عائدا من بلاد اليمن ، وجاء يزور « ست الملك » في قصرها ، ويهدي اليها ما طاب له حمله من نفائس تلك البلاد من عطور وبخور وعنبر ويواقيت وبرود الهند النادرة .

فلقي « تغريد » ورأى أروع من وقعت عليه عينه من ولائد بلاد العربيـة برمتها . فتطرق حبها الى قلبه ، كما تطرق حبه الى قلبهـا . واذ كان معـروفا في القصر بمكانته العليـا من الاميرة العالية ، لم يكن عجبا أن يتردد ليسـتمتع برؤية ذلك الجمـال النـادر ، وأن يتلطـف في لقـاء «تغريد» ومبادلتها الحديث فيما يشاء حبه وأدبه . وكان يسعده أن يجد من تغريد رجع هـذا

الحب فى نظرة خفرة ولهثة طاهرة ولفتة من لفتاتها الرائعة واعتذار بانها لا تملك لنفسها امرا ، لانها جارية السيدة « راشدة » تحتضنها السيدة العالية لتوقيها نقمة الخليفة لغير ما سبب تعرفه

وقد حفزه هذا على أن يقصد الى السيدة العالية يتعرف منها امرها . فلما عرفه أفضى اليها بقصة وجده بها ورغبته فى زواجها ، ورجا منها أن تحسن اليه فتبلغ السيدة « راشدة » امنيته والتماسه ، وأن تقنعها بأن زواجه من « تغريد » وحملها الى الشام او اليمن ، اصون لها من بقائها فى مصر حيث تستهدف لعقوبة الخليفة اذا هو رآها وصور له المس ضرورة حماية الناس من شرور الافتتان بها

□

ورضيت السيدة راشدة بهذا الزواج ، وانتهزت «ست الملك» غيبة أخيها بجبل المقطم محتجبا فى مرصده الذى بناه هناك ليرقب فيه سير النجوم وينهى اليها فيه اوامره الالهية ونواهيه الصمدانية ، فعقدت لهما فى قصرها سرا . وخرج العروسان خفية من احد ابواب السر ليرحلا من القاهرة الى الاسكندرية، ومنها الى تونس، كما استصوبت الاميرة

وركبا فى غسق الليل سفينة حملتهما متنكرين الى الاسكندرية فبلغاها مع الفيضان فى اربعة ايام . وافتقدت جاسوسات القصر « تغريد » فلم يجدنها ، واخذن يبحثن عنها ويجمعن اخبارها ، ولكنهن لم يصلهن من امرها الا ما ارادت «ست الملك» أن تذيعه ، وهو أن الفتاة احتالت حتى خرجت من القصر ولا يدرى أحد كيف هربت ، ولا استطاع رئيس الشرطة أن يعرف عنها شيئا . واستعدت كل جاسوسة لابلاغ الخبر الى الخليفة يوم يعود من مرصده. ولكن «ست الملك» كانت أحرص منهن على نفسها ، فما كادت تسمع بعودة الخليفة حتى سبقت اليه لتبلغه أنها كانت قد اتفقت مع « راشدة » على أن تبعد عن عين ولده الامير «على» جارية يميل اليها ، فنقلتها الى قصرها ، ولكنها افتقدتها منذ ليال وبحثت عنها فى كل مكان فلم تجدها وابلغت رئيس الشرطة امرها على الفور ، ولكنه لم يعثر عليها .. وكان هذا ما اتفقت عليه مع رئيس الشرطة لاحكام حيلتها

□

لم يستريب الخليفة فى هذه الرواية، وبخاصة لأن جاسوساته لم يزدن عليها شيئا وأيدتها « راشدة » ورئيس الشرطة . ولكن الخليفة لم يهدأ له بال ، وانذر رئيس الشرطة بالقتل اذا هو لم يأته بها او بخبرها فى ثلاثة ايام

وانتظر رئيس الشرطة الى اليوم الثالث ، ثم اخبر الخليفة بانها هربت مع الأمير « تميم » الى الاسكندرية. وارتاح الخليفة الى ذلك اذ وجد فى الحادث عذرا

يبرر قتله لشاب نابه من أولاد عمومته . وامر فجاءه « البازيار » باحدى حمامات الزاجل ، وكتب بخط يده رسالة يأمر فيها والى الاسكندرية بالقبض على الامير « تميم » والجارية ، وقتلهما ودفنهما فى قبر واحد ليقضيا معا « شهر العسل » لجرائهما على الزواج بغير اذنه ، والا أرسل اليه من يقتله هو جزاء عجزه .
ونزلت الحمامة على برجها فى قصر الوالى ، وجئ له بها حين كان يتناول طعام الظهر مع الامير « تميم » نفسه . فاربد وجهه .. ولكنه لم يفاتح الامير فى شىء حتى انتهى من الطعام . وابت نفسه العادلة الرحيمة ان ينفذ هذا الامر الظالم ، ولو استهدف لما انذره به الخليفة . وحفزه على اتخاذ هذا القرار ايضا أن «تميما» هذا ابن صديق الصبا الوفى ، الذى بذل جهده ليحمل عمه الخليفة العزيز بالله ابا الحاكم على قبول أمنيته من زواج السيدة « ست الملك » ، اذ كان يعرف ما بينهما من الحب والتعاطف ، ايام كان الوالى من كبار رجال القصر . وكاد أن يظفر بامنيته لولا وفاة العزيز بالله يومئذ وارتقاء ولده عرش الخلافة ، وتحريمه الزواج على « ست الملك » ونفى خاطبها من القصر . واستمر الوالى فى اخفاء الأمر عن « تميم » حتى صح عزمه على انقاذه هو وعروسه ، فتلطف وقدم الرسالة اليه وهو يقول : « ما سبب هذا بربك ؟ » فامتقع لون الامير اذ قرأها ، وردها وهو يقول : « لطف الله بهذه الامة ، ماذا كان يضير ، لو ان المسلمين اتبعوا سنة الراشدين ، فلم يجعلوا الخلافة وراثة ، ولم يشقوا الناس بأمثال ابن عمى هذا ؟ » ثم اخذ يروى قصته ويقول : « لقد احببت « تغريد » لما استهوانى من جمال خلقها وخلقها ، وكانت سيدتها سعيدة لزواجى منها ورحيلى بها عن القاهرة لتنجو من « سكين » الخليفة ، فهو يرى لجنونه ان العذارى الجميلات ، مطية الشيطان ، وهن لذلك كالأفاعى يجب قتلهن .. ها أنذا ايها الامير بين يديك ، وها هى ذى امرأتى فى حريمك . لقد كنا فى سبيلنا الى تونس ، ولكن الله اراد ان نموت فى الاسكندرية فساق قدمينا اليك لينفذ فينا قضاؤه المكتوب . فحقق ايها الامير مشيئة الله . انه لاجناح عليك ولاتثريب»

فقال الوالى : « وحق أبيك وحق « ست الملك » التى لم يمح تطاول الدهر حبى لها وولائى ، ما كنت لأسفك من دمك الطاهر قطرة بيدى او بأمرى ولو كان فى هذا قتلى » فلم يدر الامير ماذا يقول ، واهوى عليه يعانقه ويقبله والدمع يفيض من عينيه رقة وشكرا . فنهض الوالى عن مجلسه وهو يقول فى عزم : «لاطاعة لمخلوق يعصى الخالق .. مثل هذا السفاح الظالم المجنون لا أمر له عندى ولا كرامة ، تعال ورائى »

ومضى الوالى يتبعه « تميم » ، واخـذا يتنقلان من حجرة الى اخرى حتى بلغا رواقا مفروشا يشرف على بستان القصر وبه باب يؤدى الى حجرات السكن . وفتح الوالى هذا الباب وطلب الى الامير ان ينادى امرأته فناداها ، وما هى الا لحظـات حتى وافت تخطر كالقطا المتعجل . فقال لها « تميم » وقد بدا عليها الذهول لرؤية الوالى : « يريدك السـيد الوالى لأمر ذى بال » . فتقدمت اليه « تغريد » بتحية خفرة وهى تقول : « لبيك ياسيدى » . قال : « لا بال فيما دعاك اليه زوجك ولا هم ، ولـكنى اريد ان اجمع بينكما على الا تفترقا بعد ذلك . أريد منكما الا تبرحا هذا الرواق حتى تسـمعا أذان العصر .. وحينذاك افتحا باب البستان ، فسـاعد لـكما بجواره جوادين تركبانهما متنكرين بما ستجدانه على سرجيهما من مسوح الرهبان لـ [illegible] الاسكندرية الى حيث كنتما [illegible]ان ، وحذار ان تعودا الى ديار مصر حتى يستخلف الله غير هـذا الخليفة المأفون . ولا تشغلا قلبيكما بأمر سيدتنا « ست الملك » فسيبلغها نبأ نجاتكما من نقمة الخليفة على لسان من لا يفشى لغيرها السر » واذ ادركت « تغريد » معنى ذلك ، ومد الوالى يده للسلام وهو يستودعهما الله .. قبلا يده شاكرين . ولـما حان موعد الرحـل ، فعلا كما امرا وامتطيا الجوادين ويمما شـطر تونس

وفى الوقت الذى كان فيـه « تميم » و « تغريد » يقطعـان الصحراء فيما وراء الباب الغربى من الاسكندرية ، كان الوالى الرحيم واقفا عند قبر فى العراء يشهد دفن جثتين زعم الناس انهما جثة الامير وعروسـه الحسناء جزاء حبهما ووفائهما ، فتوافدوا على القبر ووقفوا صـامتين فى اسى وحزن . فلما شرع الحفـارون يهيلون على « العروسين » التراب تعالت اصوات الرثاء والبكاء من الرجال والنساء ، ووقف الوالى يقول : « اللهـم لا مشـيئة الا مشيئتك ، وقد حققتها اذ اطعت امر من استخلفت علينا من أبناء فاطمة البتول .. والسلام عليكم أهل البيت ورحمة الله » فسرت على اثر ذلك همسـات التذمر والمقت من الجمهور ، وصاح بعضهم فى وجده بما صـاح .. ولولا ان الجنـد كانوا مثلهم يتمنون الشر للخليفة ، لانهالوا عليهم بالسـياط ولـكنهم اكتفوا بتشريدهم فعاد الناس الى المدينة تعلو وجوههم امارات الالم وعلا عيونهم دموع الرثاء .. الا وجها واحدا وعينا واحـدة كانا طـافحين بالبشر والرضا ، هما وجه الوالى وعينه لما صنع فى سبيل الله والمروءة

اما الجثتان « الكريمتان » فكانتا لكبشين من كباش الوالى ضحى بهما عن « تغريد » و « تميم » ، وكرمهما بادراجهما فى كفن كريم !

ابراهيم رمزى

سينما جديدة .. للنشء الحديث

يكاد يجمع علماء الاجتماع ورجال التربية على ان السينما في الوقت الحاضر من اهم العوامل التي تسمم اذهان الاطفال وتفسد اخلاق الشبان والاحداث ، اذا لم يعن باختيار الافلام التي تعرض عليهم . وقد اثبتت البحوث الخاصة بالصور المتحركة ان الاولاد يستوعبون سبعين في المائة مما يشاهدونه في السينما ، وانهم كثيرا ما يحاولون تقليد الشخصيات التي يرونها ومحاكاة الادوار التي يشاهدونها على الشاشة البيضاء

وقد اعتقلت اخيرا في احدى الولايات الامريكية ، عصابة من الغلمان الذين لا يتجاوز عمرهم السادس عشر عاما ، اتضح انهم ارتكبوا سلسلة من الجرائم ، وضبطت لديهم خطط مرسومة لاقتحام بنك والسطو على بعض المتاجر . ولما سئلوا في التحقيق اعترفوا جميعا بأنهم نقلوا الفكرة عن احد الافلام البوليسية التي استهوتهم واستحوذت مهارة ابطالها على مشاعرهم

❋

لذلك يرى البعض ضرورة سن قوانين تمنع الاطفال والاحداث من دخول السينما .. ولا يخفى ان في ذلك حرمانا للنشء من اداة — لو احسن استخدامها — لكانت خير اداة للتثقيف والتهذيب . ويرى آخرون ضرورة مراقبة الافلام مراقبة دقيقة ، وحذف ما قد يهوى بالمستوى الخلقي للشباب . ولكن هذا التقييد كثيرا ما يشوه جمال العرض ويفكك عناصر القصة . ومن هنا يفكر الآن اولو الامر في كثير من البلدان في ضرورة انشاء دور للسينما خاصة بالاطفال والاحداث

وقد انشئت اخيرا في « براغ » بتشيكوسلوفاكيا اول دار من هذا النوع .. يقيم المشرفون عليها عدة حفلات في اوقات تناسب الاطفال ، تخصص الحفلات الاولى لمن تتراوح اعمارهم بين الثالثة والثامنة ، والحفلات التي تليها لمن يكبرونهم سنا على الا تزيد اعمارهم عن الخامسة عشرة . ومقاعد السينما صنعت وصفت بحيث تلائم روادها من الصغار . والافلام التي تعرض فيها ، اعدت لهم خصيصا .. فحوادثها تتابع ببطء حتى لا يفوتهم منها شيء ، والقصة التي تدور حولها روعي في اختيارها : البساطة والوضوح وروعة المغزى وسمو الهدف . وتقوم سيدة مختصة بشرح المناظر وتوضيح الحوار من مكبر خاص في اعلى السينما



انهم فى طريقهم إلى السينما .. يجرون حتى لا تفوتهم بعض مشاهد الفلم

لفيف من رواد سينما الأطفال يتزاحمون عند « شباك التذاكر »



فى دار السينما التى أنشئت أخيراً بتشيكوسلوفاكيا خصيصاً للاطفال ، جلس هؤلاء الآباء والأمهات بصحبة بنيهم وبناتهم .. وقد بدت على وجوههم أمارات الرضا والارتياح لما يعرض على الستار الفضى من موضوعات سينمائية

إحدى الاخصائيات فى غرفتها الخاصة ، تشرح للأطفال أمام الميكروفون ما يستعصى عليهم فهمه

حامية فى حصن ..

فى سنة ١٧٦٨ ، باعت جمهورية جنوى جزيرة كورسكا لفرنسا .. وأرسل الملك لويس الخامس عشر جيشا فرنسيا لتسلم الجزيرة واحتلالها باسمه . ولكن ذلك الجيش لقى مقاومة عنيفة من السكان ، فقد رفضوا تسليم جزيرتهم، وعمدوا الى السلاح للدفاع عنها ، فلقى الفرنسيون مشقة هائلة فى الاستيلاء عليها

وقاد حركة المقاومة فى الجزيرة بطل خلد اسمه فى التاريخ ، هو « باسكال باولى » ، فقد جمع حوله رهطا من الوطنيين الاحرار ، فألفوا حكومة وطنية ، ودعوا الناس الى الثورة ، فلبى الجميع نداءهم ، رجالا ونساء

وحدثت وقائع رائعة بين الجنود الفرنسيين والسكان الثائرين ، أبدى فيها الطرفان من ضروب البطولة ما يثير الاعجاب . وبالرغم من تفوق جنود لويس الخامس عشر فى العدد والعدة ، فقد وجدوا فى باسكال باولى ورجاله خصوما أشداء ، وفى قواد الثورة أبطالا جعلوا مهمة الاحتلال محفوفة بالمخاطر . ومنهم « كازيلا »، أحد أبناء كورسكا، الذى تولى الدفاع عن أحد الحصون بصورة رائعة لم يسبق لها مثيل

* * *

وانتشر الفرنسيون شيئا فشيئا فى داخل الجزيرة ، وأخضعوا حامياتها واحدة بعد الاخرى، فوصلت حملة منهم أمام « برج نونزا » ، وقد كان يدافع عنه ذلك القائد المقدام «كازيلا» وطلب اليه قائد الحملة ان يسلم البرج فأبى . وصدر الأمر الى الجنود الفرنسيين بضرب الحصار حول الموقع ، وقطع مواصلاته مع الخارج، على أمل ان تضطر حامية البرج الى التسليم ، أو الى الخروج طلبا للنجاة. ولكن الأيام مرت دون ان تبدى الحامية رغبة فى التسليم ، أو ميلا الى الخروج من البرج. وخشى قائد الحملة الفرنسية ، الكونت دى جرانميزون ، ان يتلقى المحصورون نجدة من الجبال المجاورة ، تجعل موقف محاصريهم حرجا ، فعزم على ان يعرض على قائد الحصن ، « كازيلا » ، شروطا شريفة لتسليم نفسه

أوفد اليه أحد ضباطه ، الكابتن فودمون ، ومعه جندى واحد من قارعى الطبول ، فتقدم الضابط نحو

البرج رافعا شارة السلام ، لتدرك الحامية انه جاء للمفاوضة . ولما وصل الى مسافة قصيرة من الاسوار، رفع سيفه ، وقد ربط بطرفه منديلا أبيض ، وانتظر الرد

وما مضت دقائق معدودة ، حتى رفع على قمة البرج علم أبيض أيضا ، بجانب علم « كورسكا الحرة » ، ومعنى ذلك ان الحامية مستعدة للمفاوضة

تقدم الضابط الفرنسى فى طريق وعر ضيق نحو الأسوار ، وعند ما بلغ سفحها ، سمع صوتا قويا يهيب به قائلا :

ـ قف ! من أنت ؟

ـ أنا ضابط مفاوض من جيش حضرة صاحب الجلالة ملك فرنسا

ـ وماذا يريد منا حضرة صاحب الجلالة ملك فرنسا ؟

ـ افتح لى باب البرج ، لأطلعك على رسالتى !

ـ كلا ! .. لن أفتح لك الباب ! تكلم من المكان الذى أنت فيه ، فاننى أسمعك !

ـ ان الريح تعاكسنى .. والكلام مستحيل .. افتح الباب !

قال الكابتن فودمون هذا وخطا خطوة الى الامام . ولكن الصوت قصف ثانية كالرعد :

ـ قف مكانك ! لا تخط خطوة أخرى .. والا فأنت ميت !

فقال فودمون فى نفسه .. « هذا رجل عصبى المزاج ! » ثم ضم راحتيه حول فمه كالبوق وقال يخاطب الرجل من خلالهما :

ـ ان حضرة الكونت دى جرانفيزون القائد فى جيوش حضرة صاحب الجلالة ملك فرنسا ، رغبة منه فى حقن الدماء ..

فقاطعه صاحب الصوت متهكما :

ـ حقن الدماء ؟ ومتى انتابتكم هذه العاطفة الشريفة ؟ ان هذا لمما يدهشنى حقا !

ـ لقد انتابتنا هذه العاطفة الشريفة، كما تسميها يا سيدى ، منذ اللحظة التى اتضح لنا فيها ان لدينا عشرة مدافع يمكننا ان نسكت بها المدفع الوحيد الذى عندكم فى البرج ، وان عدد رجالنا يبلغ أربعة آلاف جندى ، يمكننا بواسطتهم ان نقهر حاميتكم التى لا نظن ان عددها يزيد على خمسين رجلا ! .. ولكن ، لندع هذا كله يا سيدى ، فما جئت اليك لكى أناقشك ، بل لكى أبلغك الرسالة التى عهد بها الى . فاننى أعيد عليك ما قلته فى بادىء الأمر : رغبة منا فى حقن الدماء ، نعرض عليكم شروطا شريفة للتسليم !

ـ واذا رفضت ؟

ـ اذا رفضت ، سنهاجم البرج من جميع جهاته، بقواتنا جميعها، وسنعاملكم جميعكم معاملة اللصوص المتمردين ،

لا معاملة الجنود المحاربين

ـ حسن يا كابتن ! ولكن ، لنفرض انني سأعمد في الحال الى اضرام النار في مستودع البارود ، فانسف البرج بمن فيه ؟

ـ لا يمكنك ان تفعل هذا ..!

ـ كيف لا يمكنني ان أفعل هذا ؟ ولماذا ؟.. أخبرني من فضلك

ـ لأن هذا مخالف لقوانين الحرب ، وهو عمل لا يعمد اليه غير الهمج المتوحشين !

ـ أصحيح هذا ؟ .. اذن ، يجب علي ، في عرفكم ، ان أسلم نفسي الى القوم المتمدنين ، الذين جاءوا الى جزيرتنا ليسلبونا حريتنا . واذا لم أفعل ذلك ، اعتبرت أنا وقومي من الهمج المتوحشين !

ـ أرجو ان لا نخرج بنا عن الموضوع .. فالموضوع يتلخص في كلمات : أترضون بالخروج من البرج خروجا مصحوبا بجميع مظاهر التكريم العسكري ؟ أم لا ؟

ـ يجب ان أتشاور مع مجلس الحرب في القلعة ، حول هذا الموضوع . أرجو منك اذن ان تنتظر لحظة واحدة ، وسأعود اليك بالرد !

* * *

اختفى كازيلا بعد هذه الكلمات



« كنت وحدي في البرج ، ولم يكن فيه أحد سواي ! »

وراء السور . وانتظر الضابط الفرنسى مع قارع الطبل . وبعد لحظة ، ظهر رأس هذا الكورسكى من جديد وسمع صوته يقول :

ـ ان مجلس الحرب لا يمكنه ان يوافق على طلبكم الا بعد ان يعلم ماهى شروطكم

ـ عليكم ان تحددوا الشروط بأنفسكم . فحضرة الكونت دى جرانميزون ، القائد فى جيش حضرة صاحب الجلالة ملك فرنسا ، مستعد لاجابتكم اليها بقدر ما تسمح به الظروف والقوانين

ـ حسن جدا

ـ ولكن ، أرجو ان لا تكونوا كثيرى المطالب ، متعنتين فى الشروط

ـ سوف تحكم . أولا : ستخرج الحامية من البرج على قرع الطبول ، رافعة أعلامها ، بينما يؤدى جنودكم لها التحية العسكرية

ـ أوافق !

ـ ثانيا : ستحتفظ الحامية بسلاحها وأمتعتها ومعداتها

ـ أوافق !

ـ ثالثا : يتعهد حضرة الكونت دى جرانميزون ، القائد فى جيش حضرة صاحب الجلالة ملك فرنسا ، بأن يقدم للحامية ما يلزمهامن خيول ومركبات لنقل الاسلحة والامتعة والمعدات

ـ هذا ما لا يمكننى ان أعدك به

ـ الوداع اذن ! لنستأنف القتال!

ـ لا لا .. انتظر لحظة .. أنت عصبى جدا ! . دعنى أشاور الكونت فى هذا .. قد يوافق على طلبكم ..

ـ اذهب !

ـ سأعود بعد دقائق

ـ خذ ما يلزمك من الوقت .. أنا لست متعجلا !

* * *

تردد الكونت دى جرانميزون فى القبول،عندما أطلعه الكابتن فودمون على الشروط التى يعرضها كازيلا لتسليم الحصن والخروج منه معالحامية العنيدة . وكان الكونت يجهل فى الواقع قوة تلك الحاميةوعدد رجالها، ويخشى أكثر ما يخشى ان ترد عليها نجدات من الخارج ، ورأى من الحكمة ان يقبل شروط المدافعين عن البرج ، رغبة منه فىاحتلالذلك الموقعالحصين. وطلب من رسوله ان يعود الى كازيلا ويبلغه قراره بالموافقة على شروطه جميعها ، على ان تنفذ فى الحال ، وتخرج الحامية من البرج بلا ابطاء

عاد الكابتن فودمون اذن الىسفح الأسوار ، ونادى القائد الكورسكى قائلا :

ـ أوافق ! .. لقد رضى الكونت بالشرط الاخير فيمكنكم اذن ان تخرجوا من الحصن هادئى البال مرتاحى الضمير !

فكرر كازيلا سؤاله :

ـ نحن اذن على اتفاق ؟

ـ على اتفاق تام

ـ ليس بيننا التباس أو سوء تفاهم ؟

ـ ليس بيننا التباس ولا سوء تفاهم !

ـ اعذرني يا سيدى اذا كنت ألح عليك بالسؤال . فأنت شاب وأنا فى سن الكهولة . وقد علمتنى التجارب انه يجب على الانسان ان يكون شديد الحذر

ـ انك يا سيدى ..

ـ لا تغضب يا كابتن ! التدقيق فى المعاملة يحفظ الصداقة . لنكرر اذن ما قلناه واتفقنا عليه : «ستخرج الحامية من الحصن بأسلحتها وأعلامها، ويؤدى رجالكم لها التحية العسكرية، ويقدم لها قائدكم المركبات والخيول اللازمة لنقل الأسلحة والأمتعة والعتاد» أليس كذلك ؟

ـ نعم

ـ هذا واضح .. وواضح أيضا أن حضرة الكونت دى جرانميزون ، القائد فى جيش حضرة صاحب الجلالة ملك فرنسا ، يتعهد بشرفه أن ينفذ هذه الشروط بالاتفاق معى ، وبدون أية نية سيئة ، وأى نوع من التحايل !

فوضع الكابتن فودمون يده على قبضة سيفه وأجاب غاضبا :

ـ أيها القائد ، ألا يجب على ان أعد هذه الكلمات اهانة لنا ؟

ـ أنا يا سيدى لا أريد ان أهين أحدا . اننى أحيط نفسى بكل مايجب من أسباب الحذر . ولو فكرت قليلا فى الأمر لوجدتنى على حق فيما أذهب اليه . فأقسم لى بشرفك ان جميع الشروط التى اتفقنا عليها ستنفذ ، فلا أوجه اليك بعد الآن سؤالا آخر

ـ أقسم لك بشرفى !

ـ اذن ، اذهب ، وعد برجالك الى هنا . اما أنا ، فسأعد العدة فى داخل الحصن لخروج الحامية منه

* * *

بعد عشر دقائق ، كانت فصيلة من حملة البنادق الفرنسيين قد اصطفت تجاه باب البرج ، على مسافة قصيرة من السور ، واستعدت لأداء التحية العسكرية للحامية عند خروجها وفتح الباب ..

وقصف صوت الكابتن فودمون :

« سلاح ! قف ! »

وجد الجنود فى أماكنهم ، رافعين بنادقهم بالتحية ، ووقف قائدهم شاهرا سيفه

وخرج من باب البرج القائد الكورسكى كازيلا ، وقد ارتدى ثوبه المموه بالذهب ، ووضع على رأسه قبعة سوداء تعلوها ريشة بيضاء ، وضم الى صدره ، بيده اليسرى ، علم

الجزيرة الحر ، وجعل يضرب ، بيده اليمنى ، على طبل معلق فى عنقه ..

صاح بصوت جهورى رنان : «الى الامام ، سر ١٠٠ » وتقدم بخطوات ثابتة ، على قرع الطبل ، فى ظل العلم، نحو الفرنسيين وقائدهم ، دون ان يلتفت يمينا أو يسارا ، كأنه يسير فى عرض رسمى على رأس جيشه

وصل بعد خطوات الى الكابتن فودمون ، الذى كان يحييه بسيفه ، فوقف فجأة ، ووضع مطرقة الطبل فى حالتها ، وخلع قبعته عن رأسه بحركة تمثيلية ، وحيى الضابط الفرنسى ثم أعاد قبعته الى رأسه ، وتناول المطرقة من جديد ، واستأنف سيره الى الامام على قرع الطبل ..

وناداه فودمون :

ـ الى أين يا سيدى ؟ ..

ـ الى حيث أريد !

ـ والحامية ؟

ـ اية حامية ؟

ـ الحامية التى كانت تدافع عن الحصن !

ـ لقد خرجت الحامية كلها من الحصن يا سيدى !

ـ انك لم تفهم بعد ماأعنى ياسيدى، أو لم يكن سؤالى واضحا ؟ انى أسألك أين الحامية التى كانت تدافع عن الحصن ، ومتى يخرج بقية رجالها منه ، حسب الاتفاق المعقود بيننا ؟

ـ لقد فهمتك جيدا يا سيدى . وكنت من ناحيتك صريحا واضحا فى تعبيرك . ولهذا أجبتك ، يا حضرة الضابط ، بأن الحامية كلها قد خرجت من الحصن معى ، أو بخروجى أنا منه ، لأننى أنا الحامية !

ـ يا لعنة الله !.. أصحيح هذا؟!

ـ صحيح جدا .. كنت وحدى فى البرج ، ولم يكن فيه أحد سواى !

ـ لقد خدعتنى يا سيدى .. نعم خدعتنى..!سوف يهزأ بى الجميع.. وسينظم الشعراء فى الأغانى والاناشيد! كنت أوثر الموت على هذا العار !..

كيف أعود الى باريس الآن ..؟ وماذا أقول لقائدى ، ورؤسائى .. وماذا أقول للملك ؟

ـ اه ١٠٠ هذا موضوع آخر يا سيدى .. اخرج من المأزق كما يتراءى لك الخروج منه .. لكل منا ان يهتم بنفسه .. أما أنا ، فقد كان على ان أخرج من البرج . وقد خرجت منه بشروط تم الاتفاق عليها بيننا .. خرجت دون ان يمس شرفى بسوء .. عليك ان تفكر للخروج من ورطتك كما خرجت أنا من حصنى !

وقرع كازبلا طبله بعنف ، واستأنف سيره الى الامام ، بين صفوف الجيش الفرنسى الذى دخل ذلك البرج الكورسكى ، بعد خروج « الحامية » منه !

[عن مجلة « جورنال دى فوياج »]



طالب جامعي يداعب طفلا ويناغيه أثناء غيبة والدته

قل أن تجد طالبا فى أوربا وامريكا ، حالت ظروفه المادية دون اتمامه لدراسته الجامعية ، اذا أرادها . فشباب الغرب لا يعترفون بالفقر عقبة تقف فى سبيل العلم .. بل يتخذون من الفاقة حافزا للجد والكفاح . فهم لايجدون غضاضة فى القيام بأتفه الاعمال فى أثناء العطلة وفى أوقات الفراغ لتوفير مصروفاتهم الجامعية ونفقاتهم الخاصة . فالعمل عندهم ـ مهما كان نوعه ـ ليس عيبا .. وانما العيب أن يقف الشاب فى منتصف الطريق فلا يكمل تعليمه ، أو أن يكون عالة على غيره وهو فى فجر شبابه

فطلبة الآداب لا يستنكفون مثلا من توزيع الصحف والمجلات فى الاحياء التى يقطنون فيها ، او من اعطاء دروس خصوصية للصغار ، ولو بأبخس الاجور . وطلبة التجارة يستخدمون

معلوماتهم فى الشؤون المالية للقيام بحملات الدعاية وتنظيم حسابات المتاجر الصغيرة . وقد سمعنا عن لفيف منهم أنشأوا فيما بينهم مصرفا صغيرا لتسليف النقود للطلبة والمدرسين بفائدة قليلة ، فجنوا منها أرباحا ليست بالقليلة. وطلبة الطب يقضون أوقات فراغهم فى التمريض فى المستشفيات او العيادات الخاصة او المنازل . وطلبة الزراعة يربون الدواجن والماشية ، ويعقدون اسواقا اسبوعية لبيع منتجاتهم. وطلبة العلوم والصيدلة يؤلفون فيما بينهم لجانا لصنع المداد والمواد الكيميائية التى يحتاجون اليها ، ومعجون الاسنان والروائح العطرية ، وغيرها من وسائل التجميل . وطلبة الهندسة تجد كثيرا منهم فى مختلف المصانع و « الجراجات » اثناء اجازاتهم يشتغلون مع العمال جنبا الى جنب

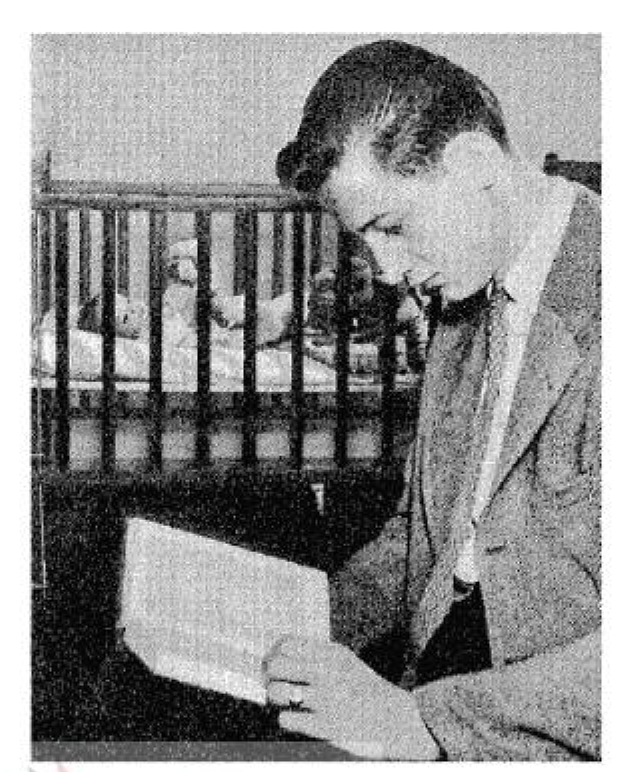
وقد تألفت أخيرا فى جامعة « برنستون » بأمريكا ، لجنة من الطلبة ، مهمتها رعاية الاطفال فى المنازل عند تغيب والديهم وأولياء امورهم . فتستطيع كل ام أن تتصل تليفونيا برئيس هذه اللجنة أو من ينوب عنه ، قبل خروجها من المنزل ، طالبة أحد اعضاء اللجنة ليرعى طفلها .. فيقوم أحد الطلبة المساهمين فى اللجنة ، بالذهاب توا الى المنزل للعناية بالطفل ، وبذل كل ما فى وسعه كى يكون الطفل سعيدا



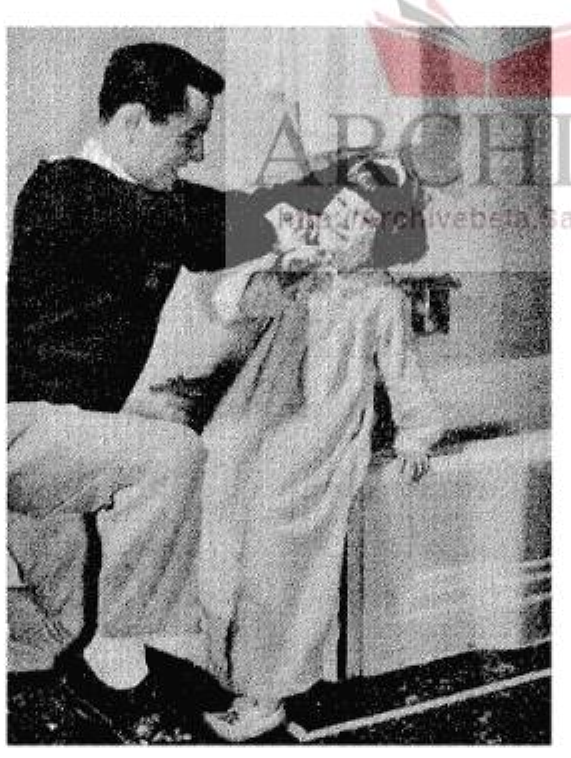
انها تقبل ابنتها قبل مغادرتها الدار ، وهى مطمئنة عليها لتركها فى رعاية شاب جامعى مثقف

خلال غياب امه ، فيقدم اليه الغذاء والشراب فى الوقت المحدد، ويغير ملابسه عند الحاجة ، ويداعبه ويناغيه ، الى غير ذلك من وسائل التسرية عن الاطفال، مقابل عشرة قروش فى الساعة

اننا نرجوان نرى قريبا شبابنا الجامعي ــ ابان أوقات الفراغ ــ فى ميادين العمل مكافحين مناضلين، خلال أفضل سني العمر للكسب والعمل الشريف .. ان الحياة العملية خير مدرسة للشباب الكفء الطموح ، وخير واق من آفات الشباب التي تمتص رحيقه وتقضى على فتوته وحيويته



يتقاضى عشرة قروش
عن كل ساعة يقضيها
بجوار هذا الطفل .
ومع ذلك فهو يستطيع
أن يتذكر دروسه
أثناء فترة « العمل »



أنست إلى هذا الطالب
الجامعي ، وهو ينظف
وجهها ، فبدت
عليها امارات الرضا
والسرور . .



تلخيص الأستاذ حلمى مراد

قصة بديعة .. من أروع القصص التى كتبها المؤلف . تبدأ بتصوير دقيق لحياة البخيل وعواطفه وأحاسيسه ، وتنتهى بحب نبيل يتمثل فيه الاخلاص فى أنبل معانيه

— ١ —

في بعض المدن بيوت من الطراز العتيق تثير في نفس الناظر اليها الشعور بالوحشة الذى يخالج المرء حينما يقف في الصوامع الظلماء ، والقفارالجرداء ، والاطلال البالية .. حتى ليظن العابر بها — من خلال السكون الضارب اطنابه عليها — انها قبورموحشة أوبيوت مهجورة .. ما لم تفاجئه نظرة شاحبة باردة يرسلها اليه من وراء النافذة رجل جامد يستطلع أمر هذه الخطى الغريبة التى دقت سمعه ..

في مدينة « سومور » بيت من تلك البيوت ، قائم على قارعة طريق نظيف جاف ، قليل المارة ، مظلم في بعض مواضعه ، شديد الحر في الصيف ، قارس البرد في الشتاء

صاحب هذا البيت هو السيد « جرانديه » ، رجل قد أثرى من صناعة البراميل ، وتزوج ابنة تاجرغني من تجارالخشب ، ثم اشترى ما حول البلدة من اراضي الكروم . وما كادت تمضي أعوام حتى صار عمدة بلدته ، فاستغل نفوذ منصبه في شق طرق تؤدى الى أملاكه وخدمة مصالحه الخاصة .. فلما عزلته السلطات ودع منصبه غير آسف ، وخاصة بعد أن ورث في تلك السنة عن حماته وابيها وجدته ارثا ضخما ، وان لم يستطع أحد تحديد مقداره ، فقد كان مورثوه من أولئك البخلاء الذين يكدسون المال في الخفاء ويصونون سر ثرواتهم عن الاسماع ! ..

وكان اهل « سومور » جميعا يوقنون ان للسيد جرانديه مخبأ زاخرا بالدنانير الذهبية يستشعر فيه كلما أوى اليه تلك اللذة التى تملك مشاعر البخيل حين ينظر ويطيل النظر الى كومة ضخمة من الذهب البراق ..

على أن من الانصاف للسيد جرانديه الاعتراف بموهبته الفذة ، كمالي يحسن استغلال أمواله ومضاعفتها عاما بعد عام ، ولا يخطىء في تقدير صغيرة في هذه الامور أو كبيرة ..

أخلاقه مزاج من طبائع النمر والثعبان ، فهو يعرف أين يكمن لفريسته ، وكيف يتربص لها ، ويواجهها طويلا .. ثم ينقض عليها فاغرا كيسه ، فلا يتركها حتى يتخمه بالنقود ! .. فاذا فرغ من مهمته نام نوم الافعى التى تصطنع السكون والجمود في انتظارفريستها الجديدة .. وهكذا اذا رأيته احسست في حضرته خليطا من مشاعر الاعجاب والتقدير والرهبة معا .. بل ان الامر قد انتهى الى أن ثروته غدت ذخرا قوميا لأهل سومور ، يفاخرون به أهل المدن المجاورة .. وبلغ من اجلالهم اياه أن صار قوله ولباسه وحركته ونظرته مواضع تقليد وتقدير مواطنيه ، وكأنها دستور بلدتهم الذى لا محيد عنه ! .. فكان مثلا اذا ارتدى في بداية الشتاء قفازيه يوما ، تناقل اهل البلدة

هـذه العبارة : « يبـدو أن الشتاء المقبل قارس البرد ، فقد لبس السيد جرانديه قفازيه » ! !

ولم يكن السيد جرانديه يشترى لحمـا ولا خبزا قط ، بل كان فلاحوه يحضرون اليـه كل أسبوع حاجته من الدواجن والبيض والزبد والقمح . وكان يملك طاحونة ، فرض على مستاجرها ان ياخذ هذا القمح فيعيده اليه دقيقا ونخالة . . واذ ذاك تتولاه « نانون » ـ خادم البيت الوحيدة ـ بالخلط والعجن، برغم شيخوختها وضعفها ، حتى يصير خبزا شهيا . . اما الخضراوات والفاكهة فكان مستاجرو أراضيـه يمدونه بكميات منهـا تكفى حاجة الاسرة وتفيض ، فيبيع الفائض في السوق ! . .

وما أحب يوما أن يزور أو يزار ، أو يتغدى عند احد أو يتعشى عنده احد . . ولا كان يغير زيه أو يبدل من طريقة لباسه شيئا ، تراه اليوم كما كنت تراه منذ عشر سنين أو عشرين ! . . وكان بسيط العادات ، قليل الكلام ، يعبر عن افكاره وآرائه بجمل قصيرة موجزة كالحكم والأمثال ، ويحل مشاكل حياته وتجارته بما لا يخرج عن هذه العبارات الاربع الحازمة : « لا أعرف . لا أستطيع . لا أريد . سوف ننظر في الأمر ! . . » اما الرد القاطع بنعم أو لا. فلم يكن من سجيته قط ! . . وكان يتوخى العناية القصوى في دراسـة أتفه الصفقات ، للفصل فيها ، فلا يتسرع في الارتباط برأى بشانها الا بعد ان يعطى نفسه مهلة فسيحة لتدبر الأمر ، فاذا أفضى اليه منافس ماكر بسر تجارى خطير ، كي يحمله على كشف خبيئته ، استمهله السـيد جرانديه متعللا بقوله : « لا أستطيع أن أقرر شيئا قبل ان أستشير زوجتي » . . في حين انه لم يكن يستطلع رأى زوجته أو يشركها في شيء . . وانما كانت المسكينة تقضى أيامها منذ خمس عشرة سنة على وتيرة واحدة ، جالسـة طيلة النهار على مقعـد من القش ذى أرجل عالية ، يسمح لها بالتطلع من وراء النافذة والتلهي برؤية ما يجري في الطريق ومن يمر فيه ، على قلة من كان يعبره من الناس . .

وهكذا لم تكن « مدام جرانديه » تنتقل من هذه القاعة اليتيمة ، التي كانت في آن واحد غرفة للمـائدة ، وغرفة للضـيافة ، وغرفة للجلوس . . أى المسرح الذى تجرى فيه حياة الاسرة كلها ، فهناك ياتي حلاق الحي مرتين في السـنة ليقص شعر السيد جرانديه . . وهناك يساوم رب البيت فلاحيه وعمـاله ومستأجريه . . وهناك تجلس الى جوار مدام جرانديه ابنتها « أوجيني » وحيدة الاسرة ، جاهلة بما يجرى خارج جدران البيت العتيـق من منازعات بسببها ومنافسـة على طلب يدها بين اعرق اسرتين في البلدة . . جاعلة همها مساعدة أمها في بعض اشغال الابرة ، وعد الايام الباقية على حلول

يوم أول نوفمبر .. فاذا كان أول نوفمبر اتخذت الأم وابنتها مجلسيهما فى غرفة أخرى بجوار المدفأة ، وراحتا تعدان الايام الباقية على يوم أول ابريل ، كى تنقلا مقرهما الى غرفة الصيف .. وهكذا ! .. ولم يكن الموعدان يحتملان أى تبديل أو تعديل ، فان السيد جرانديه لا يأذن باستعمال النار فى المدفأة قبل اليوم الاول من نوفمبر ، ولا يعترف بما قد يسبق هذا التاريخ من برد الخريف .. ثم لا يأذن بايقادها يوما واحداً بعد آخر مارس ، ولو مرضت الاسرة كلها من برد الربيع ! ..

كان أول نوفمبر اذن يوما مشهودا فى حياة الاسرة ، لا لانه موعد الانتقال الى جوار المدفأة فحسب ، وانما لأنه عيد ميلاد « أوجينى » أيضا .. العيد الذى اعتاد جرانديه أن يهدى فيه الى وحيدته كل عام ديناراً ذهبيا ، كى تضيفه الى مجموعة الدنانير الذهبية التى كان يهديها اياها أبوها فى ذلك اليوم ، وفى يوم رأس السنة .. على أن تعرض عليه أوجينى فى المناسبتين كنزها من الدنانير التى تتكاثر عندها عاما بعد عام ، والتى تدخرها ليوم زواجها ! ..

— ٢ —

نحن فى يوم أول نوفمبر .. وقد بلغ جرانديه عامه السبعين ، وزوجته عامها التاسع والاربعين ، ووحيدتهما أوجينى ربيعها الثالث والعشرين .. واربى ايراد الاب من أملاكه على الخمسة ملايين فرنك ، وان لم يكن تحديده بالضبط فى وسع أحد من أهل البلدة ، سوى اثنين : مسيو « كروشو » المحامى ، ومسيو « دى جراسان » مدير البنك ! .. ومن ثم فقد نشأت واحتدمت بين أسرتيهما المنافسة على طلب يد الوارثة الوحيدة لتلك الثروة الطائلة « أوجينى » ، كل أسرة تريدها لشاب منها .. كانت آمال الاسرة الاولى معلقة على ابن أخ عميدها الاكبر ، وهو فتى نابه يدعى « دى بونفون » بلغ منصب القضاء قبل أن يجاوز الثالثة والثلاثين .. بينما تركزت آمال ربة الاسرة الثانية مدام دى جراسان فى وحيدها « ادولف » ! .. وكانت البلدة كلها ترقب الصراع المستعر بين الاسرتين بغير قليل من الفضول !

وفى مساء اليوم الذى نحن بصدده — يوم عيد ميلاد الفتاة — أقبلت الاسرتان المتنافستان بكامل هيئتهما الى بيت جرانديه ، تحملان الى أوجينى الساذجة كثيراً من الهدايا ، والى أبيها البخيل كثيرا من الملق والمداهنة .. اما هو فقد ادرك من وراء كل تلك المظاهر مطامع الفريقين فى ثروة ابنته ، فحزم أمره على أن يحرم منها الاسرتين ! ..

وفيما كان القوم فى سمرهم الصاخب ، سمع دق شديد على الباب ، فنهض جرانديه ليفتح للطارق ، ثم عاد ووراءه فتى باريسى وسيم الطلعة أنيق الهندام ، هو « شارل » ابن أخيه « فيكتور جرانديه »

التاجر المقيم فى باريس .. فعجب القوم من هذا الطارق المسرف فى الرقة والاناقة .. وعجب الفتى الباريسى لهؤلاء الريفيين الاجلاف ، وهذا البيت الحقير .. بيت عمه ، الذى كان يدخله لأول مرة .. اما السيد جرانديه فقد انصرف عن ابن أخيه وعن اضيافه جميعا الى قراءة رسالة سلمها اليه الفتى :

« اخى العزيز

.. ها هى ذى ثلاث وعشرون سنة تنقضي علينا وما تلاقينا قط. كان زواجي هو موضوع لقائنا الاخير وعلة قطيعتنا حتى اليوم .. ولم أكن يومئذ اقدر انك ستصبح عميد الاسرة يوما ما . لكنك قد صرت كذلك الآن ، فحين تفض رسالتى هذه اكون قد غادرت الحياة ! .. ولا بد انك قد وقفت على ما آلت اليه ماليتي من الاضطراب فى الايام الاخيرة ، حتى تراكمت على ديون بلغت أربعة ملايين من الفرنكات ، عجزت عن تسديد ربعها نقدا .. فصار حتما أن يشهر افلاسي غدا فى باريس كلها ، العارالذى لن اقوى بعده على العيش !.. لقد تسببت فى حرمان ولدى من ثروة أمه ، وها انذا أورثه اسما ملطخا . ترى هل سيلعن اباه يوم يسمع بالكارثة ؟ .. انه لا يعرف من الحقيقة شيئا حتى الآن ، فترفق بربك فى انبائه بها !

« آه لو تعلم ما اقاسى من الم وانا أكتب لك خطاب الوداع .. انى مقبل على الموت بغير ان تندى عينى بعبرة ، فقد جففت الشدائد دمعى ودمى .. فاليك أعهد بولدى شارل . انه يتيم مسكين ، فقد امه طفلا ، وها هو ذا يفقد اليوم اباه .. فكن انت له أبا وأما ! .. »

فرغ جرانديه من مطالعة رسالة اخيه الحزينة ، فرفع عينيه الى شارل بعد أن أخفى تأثره وراء نظرة ضعف ومسكنة .. ثم انصرف الزوار بعد حين ، فصعدت أوجيني وامها ونانون الى الطابق العلوي ، كى يهيئن غرفة للضيف الباريسى .. وكانت الفتاة اكثرهن عناية بتنسيق غرفة ابن عمها الشاب !

***

وفى الصباح كانت أوجينى أسبق الجميع الى اليقظة .. نهضت فصلت ، ثم ارتدت ثيابها البسيطة وهى تقارن فى خاطرها بين خشونة مظهرها ورقة مظهر الفتى الانيق ! .. وسمعت ساعة الكنيسة تدق السابعة ، فراعها تبكيرها فى اليقظة اكثر من المعتاد ، واسترسلت مع خواطرها .. ان فى حياة العذارى الهادئة الرتيبة ساعة حلوة ، فيها تسكب الشمس اشعتها فى نفوسهن ، وتتحدث الزهرة اليهن حديثها العطر ، وتصل خفقات القلب الى العقل فيلتقي فكرالعذراء وشعورها فى رغبة غامضة لا يعرفن كنهها ! .. ولما كانت أوجينى من فتيات الريف اللائى يجهلن كيف يضيعن وقتهن فى اعادة ضفر الخصلة من

شعرهن عشرات المرات ــ كما تفعل فتيات المدن ــ فقد وجدت أمامها وقت فراغ طويل ، فوقفت فى نافذتها تتأمل فناء الدار ، وحديقتها الضيقة .. كان المشهد يبدو لها دائما كئيبا موحشا ، أما الآن فقد رأت فى كل شيء سحرا جديدا ، وبدت لها الحديقة فى حلة زاهية من ذلك الجمال الخفى الذى اختصت به الربوع المنعزلة والريف الوسنان .. وسرعان ما نمت فى قلبها مشاعر جديدة لا عهد لها بها ، فأحست تلك المتعة الغامضة التى تغمر النفس كما يغمر الضباب رحاب الكون .. وتاهت عن كل شيء وهى تتأمل الأزهار الشاحبة والعشب الذابل والأوراق المتساقطة فى نور الشمس الدافق تحت ذلك الجدار العتيق ، فلم تدر كم من الوقت انفقت على هذه الحال .. لم تدر الا أنها أفاقت من غشيتها النفسية وقد اعتراها اضطراب شديد ، فقفلت راجعة صوب المرآة تحدق فى صورتها على صقالها بعين الناقد القاسية ، هامسة : « لست من الجمال بحيث أرقى اليه ! »

ثم فتحت باب غرفتها المطلة على السلم ، واشرأبت تتسمع جلبة من فى الدار .. فلم يبلغها الا صوت نانون تسعل سعال الصباح ، وهى تكنس القاعة وتوقد النار ، ثم تتحدث الى الدواجن وهى تطعمها ، وتقيد الكلب حتى يأتي الليل فتطلقه كي يحرس البيت ..

وقالت أوجينى لنفسها : « انه لم يستيقظ بعد .. »

ثم هبطت الى نانون :

ــ نانون ، اصنعى لنا اليوم كعكا ..

ــ ومن يعطينى وقودا للفرن ، ودقيقا ، وزبدا ؟ هو ذا أبوك ينزل لصرف « تموين » اليوم ، اسأليه أن يعطينى ما تريدين ..

لكن أوجينى لم تكد تسمع اهتزاز سلم البيت تحت قدمي أبيها ، حتى فرت الى الحديقة مذعورة .. وللمرة الأولى أدركت أنها ترهبه ، وأنه سيد حظها ، وأنها تخطيء فى حقه اذ تخفى عنه بعض أفكارها .. ومضت حثيثة الخطى وهى تعجب مما جرى لها .. لكأنها تستنشق اليوم هواء أنقى من هواء كل يوم ، وتستشعر فى أشعة الشمس دفئا منعشا لم تستمتع به من قبل .. وبلغتها أصوات أبيها ونانون يتشاجران :

ــ ألم يبق شيء من خبز الأمس ؟

ــ ولا الفتات ..

فيتناول جرانديه من المخزن رغيفا ويهم بتقسيمه كى يعطيها بعضه ، فتقول مشفقة ..

ــ اننا اليوم خمسة يا سيدى

ــ أعلم هذا .. لكن الرغيف يزن ستة أرطال ، فلا بد أن يتبقى منه شيء ، وسوف ترين أن فتيان باريس لا يكثرون من أكل الخبز ..

ـ اذن لا بد أن يكثروا من نصيبهم فى بقية الطعام ..
ـ بل لا هذا ولا ذاك .. انهم كالعذارى فى يوم زفافهن !
ويهم السيد باغلاق الخزانة ، فتعترضه نانون :
ـ سيدى .. اعطنى أيضا دقيقا وزبدا كى اصنع كعكة ..
ـ او تخربين بيتى من أجل ابن اخى ؟
ـ وقطعتين اخريين من السكر ، فانى لم آخذ الا ست قطع
ـ ما ذا جرى لك اليوم يا نانون ؟ لن تأخذى اكثر من القطع الست
ـ والفتى ، بماذا يحلى قهوته ؟
ـ بقطعتين .. وسأستغنى انا عن قطعتى
ـ ويلزمنا وقود للفرن ؟
ـ اليك هذه الاخشاب ، على أن تطهى لنا كل الطعام فى الفرن . اياك أن توقدى نارين ! ..
ـ واللحم ؟ .. الا تنوى أن ترسل لنا من السوق لحما ؟
ـ كلا . لقد أوصيت الفلاحين ان يصطادوا لنا بضعة غربان . ان حساء الغربان الذ حساء فى الوجود ..
ـ غربان ؟ .. اليس هـــذا الطـير هو الذى يأكل جثث الموتى يا سيدى ؟
ـ يا لك من بلهاء .. هــذا الطير يأكل ما يجد امامه ، كما يفعل الناس جميعا ! .. ونحن .. السنا نأكل الموتى ؟ اليس الارث طعاما نأخذه ممن ماتوا ؟
وينظر الرجل فى ساعته ، ثم يقبل على ابنته يحييها تحية الصباح ، ويقول لها : « اتودين التنزه فى حقولى على ضفاف اللوار ؟ انى ذاهب أتفقدها » ، فتخرج الفتاة معه . ويلقاهما فى الطريق رب احدى الاسرتين المتنافستين على يد اوجينى ، فيقول لجرانديه متخابثا : « المدينة كلها تتحدث عن قرب زواج ابنتك من ابن اخيك .. فهل النبأ صحيح ؟ » .. فيقاطعه الاب غاضبا : « انى افضــل أن القى بابنتى فى مياه اللوار ولا أزوجها من ابن أخى .. »
شدهت اوجينى .. يا له من جواب يئد آمالها الوليدة ! عجبا ، كيف غاض حنـان الابوة من قلبـك يا ابى ؟ وما ذا ترى قد اقترف شـارل من الذنوب ؟ .. وتجر الفتـاة المصدومة قدميها جرا الى البيت ، وقد بدأت الغوامض تكتنف حبها النـاشىء . كان الشارع العتيق بهيجا فى غدوها ، فما باله الآن كئيبا ضيقا مظلما ؟
ولمح جرانديه فى يد صاحبه بعض الصحف ، فوقف يسأله عن اسعار الاسواق ، وانتهز هذا الفرصة فنشر امامه الصحيفة مشيرا الى نبأ فيهـا يقول : « بعد أن عاد مسيو فيكتور جرانديه ، المـالى

الباريسى المشهور ، من سوق الاوراق المالية ظهر أمس، اطلق على رأسه الرصاص فمات فى الحال »
قرأ جرانديه النبأ فى هدوء ، ثم قال : « كنت أعلم ذلك »
وكان صاعقة قد نزلت على صاحبه ، فقد كان موقنا أن المالى المفلس لا بد قد استنجد عبثا بملايين شقيقه قبل أن ينتحر ..
ــ وابنه الذى شهدناه عندك فى المساء مرحا سعيداً ؟
ــ لم يكن قد بلغه النبأ ..
وحين عاد الوالد وابنته الى البيت كان طعام الافطار قد أعد ، والفتى الباريسى لم ينهض بعد ، فقال جرانديه : « دعوه نائما ، فلن يسمع حين يستيقظ غير الانباء السيئة .. » ، فتساءلت أوجينى « لماذا .. ما الذى حدث ؟ »
ــ ابوه قد انتحر ..
ــ عمى ؟ .. وأمسكت مشدوهة عن الاكل ، وطفرت الدموع من عينيها ، فراع بكاؤها اباها :
ــ وهل كنت تعرفين عمك حتى تبكيه ؟
لم تجب ، فقد كان ذلك أول درس لقنتها اياه الحياة .. على المرأة التى تحب ، أن تخفى شعورها وتكتم عواطفها !
.. اما الاب فقال وهو يستدير ليخرج : « لا تنبئوه بالامر حتى اعود .. واما انت يا بنيتى فلن يطول بكاؤك ، فان الفتى راحل عما قريب الى الهند »
وخرج .. وحين انفردت أوجينى بأمها انفجرت فى البكاء :
ــ أماه ، احس كأنى اختنق ! ..
نظرت امها اليها فى حنان ، وفتحت لها النافذة .. وقد فهمت كل شىء :
ــ وفيم ارساله الى الهند ، يا للفتى المنكود ، اليس فى الامكان أن يعيش معنا ؟
ــ أجل يا ابنتى ، ولكن لأبيك آراءه الخاصة التى يجب علينا أن نحترمها ..

— ٣ —

لم يستيقظ شارل الا قبيل الظهر ، فاحتفت به أوجيني وأمها .. لكنه لم يكد يفرغ من تناول الطعام الخاص الذى قدمتاه اليه فى غيبة رب البيت ، حتى سمع دقة على الباب .. فانتفضت أوجينى ، وانقضت على اناء السكر فاختطفته ، تاركة للضيف قطعتين فقط من السكر فوق المائدة ، بينما اختطفت نانون طبق البيض من امامه ، فعجب شارل لهذه الحركات الغريبة التى لم يستطع تفسيرها ، وسأل القوم :

ــ ماذا دهاكم ؟
فقالت أوجيني :
ــ أبي قادم ..
ودخل جرانديه ، فالقى نظرة على المائدة ، وعلى شارل ، وفهم كل شيء !
ــ .. هل أولمتم وليمة لابن أخي ؟ عظيم ! .. ان الفيران ترقص في غيبة القط .. لا بأس .. تعال معي الى الحديقة يا ابن أخي ، فعندي لك أنباء غير سارة أريد أن ألقي بها اليك ..
فلما تبع الفتى عمه ، شيعته أوجيني قائلة : « يا ابن عمي ، تشجع ! »
وهرعت مع أمها ونانون الى نافذة المطبخ ، ليرقبن من ورائها ما عساه أن يحدث في الحديقة .. مشى العم في البداية صامتا والى جواره ابن أخيه ، ثم قال :
ــ ان الجو دافيء اليوم ..
ــ نعم يا عمي ..
ــ اسمع يا بني .. لقد وقع لأبيك
ــ ماذا ؟ حادث ؟ اذن يجب أن أعود الى باريس توا ..
ــ رجوعك بعد الآن عبث ، فلقد مات أبوك .. لكن هناك ما هو أهم من هذا وأخطر ، وهو أنه مات منتحرا ..
ــ أبي ؟ ..
ــ نعم ، خذ واقرأ ..
وكان جرانديه قد استعار الصحيفة من صاحبه الذي لقيه في الصباح ، فمد بها يده الى الفتى ، الذي قرأ النبأ وأجهش بالبكاء ..
ــ لقد مات أبوك ، وسوف تتعزى عنه بعد قليل .. ولكن هناك شيئا أجل وأخطر ، وهو أنه تركك معدما ، بلا مال ..
ــ وما جدوى هذا .. أواه يا أبي .. أين أبي ؟
واستخرط الفتى في البكاء ، فتردد صدى شهقاته بين جدران البيت العتيق الصامت ، حتى سالت لحزنه دموع النسوة الثلاث .. وانطلق الفتى غير مكترث بحديث عمه الذي لم يتم ، فصعد الى غرفته واستلقى على سريره ، ثم أطلق لدموعه العنان
وبعد لحظات دخل جرانديه ردهة البيت ، وهو يقول في حدة : « انه ولد فاسد لايصلح لشيء ، انه يهتم بالموتى أكثر مما يهتم بالمال »
ونظر جرانديه الى زوجته ، والى ابنته ، ثم الى اناء السكر ، وصاح في زوجته منتهرا : « أرجو الا تستمري في تبذيرك بعد اليوم . اني لا أعطيك نقودي لكي تنثري السكر نثرا على هذا الولد .. »
فقاطعته أوجيني :

ــ امى لم تعمل شيئا .. انا التى ...

ــ أو تريدين أن تتمردى على لانك بلغت سن الرشد ؟ الا فاعلمي يا أوجيني ..

ــ وهل يليق بابن اخيك أن يعوزه السكر فى بيتك ؟

ــ ابن أخي ؟ .. كلا ، ان شارل لم يعد يمت الينا بصلة ، فهو لا يملك درهما واحدا . لقد أفلس أبوه ، وبعد أن ينتهى من بكائه سوف ينزح من هنا ..

وعاد الصمت فخيم على البيت بعد هذه العاصفة العابرة .. وجلس جرانديه يقارن بين ارباحه فى العام الماضى وبينها فى العام الجارى ، ويحسب كم كسب من بيع النبيذ وكم من بيع الشجر .. وكان يكتب أرقامه على هامش الصحيفة التى تحمل نبأ انتحارأخيه !

وحين حل وقت العشاء لم يهبط شارل من غرفته ، فتناول الباقون طعامهم فى صمت ذ. وبعد العشاء جلست أوجينى وامها يشتغلان بالابرة ، وجلس جرانديه يجمع ويطرح .. ثم رفعت الام رأسها تسأل زوجها :

ــ الا ينبغى أن تلبس ثياب الحداد ؟

ــ انك لا تعرفين ماذا تبتكرين لتبذير المال .. الحداد يكون فى القلب لا فى الثياب !

وفرغ الرجل من حسابه : مرحى أيها البخيل ! ثمانية ملايين فى ثلاث سنين ؟! واسترسل فى أحلامه فغامت عيناه ، حتى لم يعد يرى غير الاصفر البراق ! ..

ثم نهض الجميع للنوم ، وهكذا انقضى ذلك اليوم المشهود فى حياة الوارثة الغنية الفقيرة !

ــ ٤ ــ

منذ تلك الليلة لم تعرف أوجيني نوما هادئا عميقا .. وفى الليلة الاولى استيقظت من نعاسها عدة مرات ، وفى كل مرة كان يخيل اليها ان الذى أيقظها نواح الفتى ! .. كانت فى كل لحظة تتمثله أمامها يحتضر من الحزن والجوع . وقبيل الفجر سمعت انينا رهيبا ، فهرعت الى غرفته ..

كان باب الغرفة مفتوحا .. والفتى نائما ، فى حلته ، على مقعد غير وثير ، ورأسه ملقى على السرير ! .. هنالك استطاعت أوجينى أن تبكى ما طاب لها البكاء ، ووجدت الفرصة كي تتأمل فى اناة ذلك الوجه الذى قده الالم ، وهاتين العينين اللتين انتفختا من الدموع ! وفتح شارل عينيه بعد حين فرآها تبكى ! .. فقال خجلا : « عفوا يا ابنة عمى .. »

ـ لا عليك يا ابن العم ، ان فى البيت قلوبا تسمع أنين قلبك وتجاوبه .. حسبت انك فى حاجة الى شىء فجئت استطلع الامر . قم ونم على فراشك ، فالنوم على هذا الوضع يتعبك ..

ثم انسلت الى مخدعها يخالجها شعور بالخجل وشعور بالسعادة !

وفى الصباح جلست الاسرة إلى مائدة الافطار ، ولما يستيقظ الفتى . وبكر جرانديه فى الخروج ذلك اليوم ، فاحست أوجينى انها حرة طليقة ، فصعدت ثلاث مرات أوأربعا تتسمع انفاس ابن‌عمها النائم ! .. ثم أعدت له فطورا ممتازا احتالت للحصول عليه بشتى الوسائل . ولحظ شارل ما تكنه له أوجينى وامها من العطف الخالص وأدرك فجأة ان مجتمع باريس انما هو مجتمع أنانى فاسد ، ما كان ليرثى له أو يعبأ به فى نكبته تلك . وبدت له أوجينى فى جمالها الساذج ، وراقته تلك العادات الريفية التى كان يسخر منها فى البداية ..

كان يدير كل هذه الافكار والصور فى رأسه ، حين أقبلت عليه ابنة عمه تحمل قدح القهوة وهى تنظر اليه نظرة ساجية ، ملأت عينيه بالدموع .. فانحنى على يدها يلثمها ..

وبعد ارتداء ثيابه هبط الى القاعة السفلى ، وكان شاحب الوجه بادى الالم فى نظراته وحركاته، فاحست أوجينى وهى تغمره بنظراتها الدافئة ان حبها له قد ازداد وتضاعف ، لقد جمع بينهما الشقاء وألف بينهما الالم ! ..

وانتبذ اليتيم ركنا قصيا قبع فيه طيلة النهار ، صامتا ، مفكرا ، حزينا .. لا تحول بينه وبين أفكاره القاتمة سوى نظرة ابنة عمه التى كانت ترمقه بها بين الحين والحين ، فتدفعه الى آفاق فسيحة من الامل والرجاء ..

ـــ ٥ ـــ

فى ذلك المساء همس جرانديه لنانون :

ـ لا تطلقى الكلب الليلة ولا تنامى .. فسوف تقبل عربة يقودها احد الفلاحين فى الساعة الحادية عشرة . ادخليه فى هدوء ، فما أريد أن يعلم اهل الحى انى راحل ! ..

وفى منتصف الليل خيل لاوجينى انها سمعت انة مُحتضر ، فوثب خيالها فى الحال الى شارل ، ومن يمكن أن يكون المحتضر سواه ، وقد تركته شديد الشحوب بالغ اليأس ، ترى هل انتحر ؟ ..

تدثرت بدثار وهمت بالخروج الى غرفته ، وفى تلك اللحظة سمعت وقع خطوات نانون وصهيل بعض الجياد ، فتساءلت وهى تفتح بابها فى حذر :

ـ هل أزمع ابى أن يختطف شارل ؟

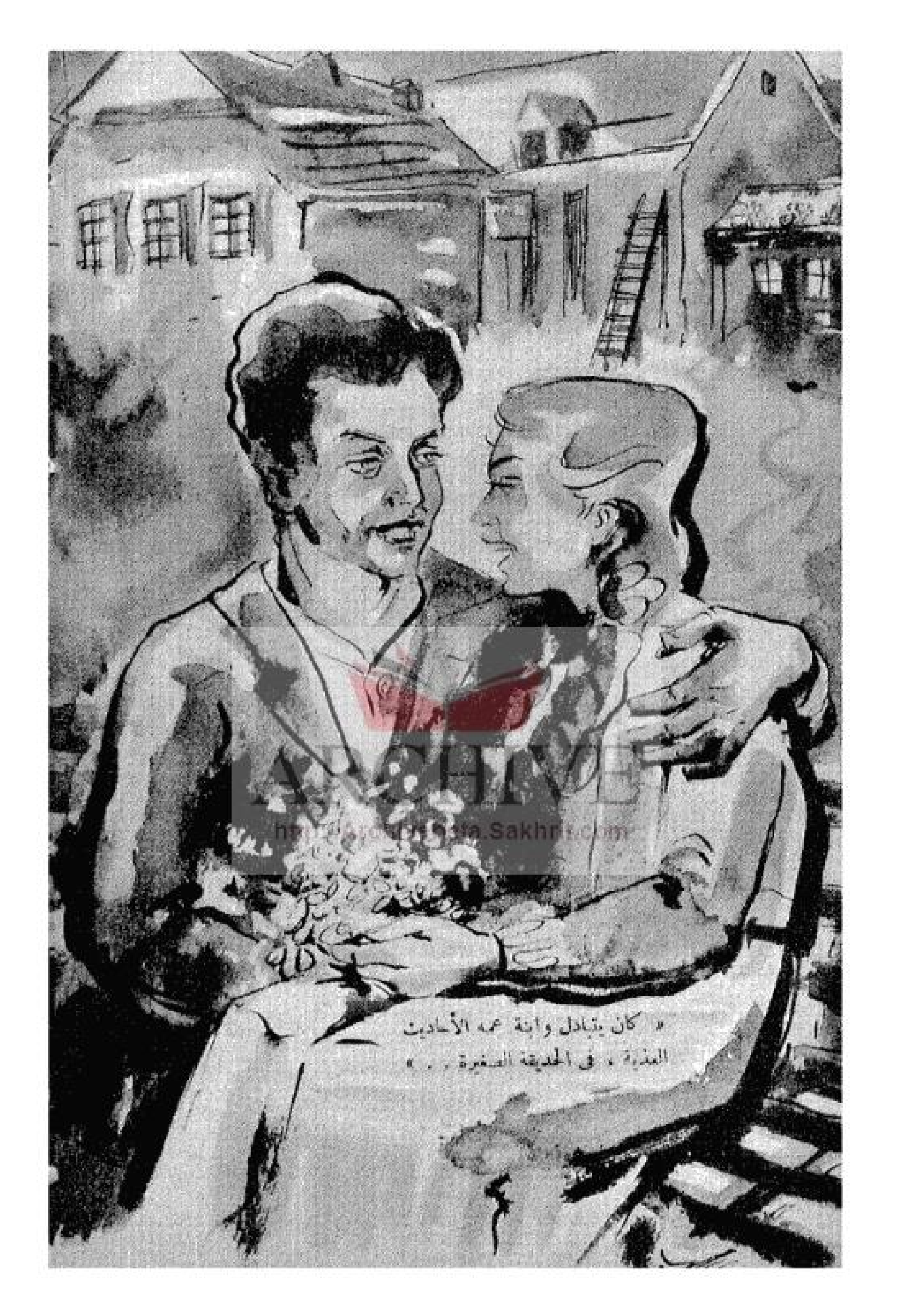
وفجأة استقرت عينها على عين أبيها ، فجمدت من الخوف ، لكنه

لم يرها .. فوقفت فى مكانها حيث استطاعت أن تشهد ما يجرى فى الدهليز : هذا ابوها وهذه نانون يحملان صندوقين صغيرين ثقيلين.. وهذا صوت ابيها يقول :
ـ أتعرفين كيف تلزمين الصمت يا نانون ؟ ولا تنسى أن تقولى لامرأتى فى الصباح انى ذهبت الى الريف ، واني عائد للغداء ..
لكن الرجل لم يكن راحلا الى الريف ، بل الى « انجيه » كى يبيع فيها ذهبه لبعض الهولنديين بسعر مرتفع ! ..
واغلقت نانون باب الدار بعد خروجه ، واطلقت الكلب .. ثم عاد السكون يرين على البيت من جديد !
وخفت صوت العربة شيئا فشيئا حتى تلاشى بعيدا عن المدينة النائمة .. وسمعت اوجينى مرة اخرى تلك الانة المخيفة تنبعث من غرفة ابن عمها ، وكان باب الغرفة غير موصد ، فدفعته ..
كان شارل نائما فى كرسيه وقد سقط القلم من يده وتدلت ذراعه حتى كادت ان تمس الارض .. فرقت له أوجينى ورثت لحاله .
ولمحت امامه على المنضدة نحوعشر رسائل مغلقة ، فهمت من عنواناتها ان الفتى قد كتبها لينجز شؤونه المعلقة فى باريس تمهيدا لرحيله عن فرنسا .. ثم وقعت عيناها على رسالة مفتوحة تبدأ بهاتين الكلمتين:
« عزيزتي انيت » !
خفق قلبها وجمدت قدماها على بلاط الغرفة : « عزيزتي انيت ؟ » .. أهو يحب ؟ ترى ما ذا يقول لعزيزته أنيت ؟ ولكن كلا .. لن اقرأ الرسالة ..
لكن نفسها ظلت تنازعها الى قراءتها .. وللمرة الاولى فى حياتها ترددت بين الخير والشر ، ولم يطل بها الصراع حتى قهرها فضولها :

« عزيزتي أنيت ..

« لم تكن تقوى على التفريق بيننا الا هذه الكارثة التى أصابتنى والتى ما كان فى استطاعة انسان أن يتوقعها .. لقد انتحر ابي ، وذهبت ثروته وثروتي .. فأصبحت يتيما ، وما زلت حدثا . لكنني يجب الا اخور ، بل على ان انهض من كبوتي كى ابدأ كفاحي فى الحياة . وليس امامي الا أن انزح الى الهند او أمريكا .. سأحاول أن اجد فى ميناء « نانت » باخرة تقبلني بحارا فيها ، فلست املك ثمن تذكرة الرحيل . نعم ، سأسافر بحارا ، واصل الى الهند فقيرا ، ثم أعود غنيا كأولى العزم من الرجال الذين طالما سمعنا أخبارهم وأعجبنا بهم ..
« اليوم فقط يا حبيبتى واجهت مستقبلي المجهول ، فجأة ولأول مرة ، أنا الذى لم أعرف حتى الآن غير زهر الحياة دون شوكها ! .. ومن يدرى متى أعود ، ربما بعد عشر سنوات ، أو عشرين ، حين تكون لك ابنة فى الثامنة عشرة ! .. فاحفظي فى قلبك وراسك ذكرى

هنائنا طيلة السنوات الاربع الخالية ، وصونيها الى الابد
« والآن .. دعينى أصارحك انى قد وجدت هنا ، فى سومور ، ابنة عم لى اثق بأنها سوف تروقك ، بوجهها ، وقلبها ، وعقلها .. واظن ان لها فوق ذلك .. »
قفز قلب أوجينى فرحا بمدلول هذه العبارة البتراء ، وهمست :
ــ لا بد انه أمسك عن الكتابة من فرط الاعياء .. وسوف يتمها حين يصحو ..
وطفقت تتــأمل وجه الفتى النائم ، فخيل اليها ان آمالا جديدة تداعب قسماته وترتسم على الشفتين المضمومتين .. انها لتعاهد الله أن تحب الفتى طيلة الحياة ! .. وانسلت الى غرفتها فى حذر ، ففتحت خزانتها فى تأثر واضطراب واخرجت كيسا من المخمل الاحمر المطرز بالذهب . كان فى الكيس كنزها المدخر ، دنانيرها الذهبية التى اهداها اياها أبوها فى أعياد ميلادها ورأس السنة . لكن اوجينى لم تفكر وهى تخرج الكيس فى قيمة القطع الذهبية وندرتها ، ولا فى الخطر الذى سيحيق بها يوم يسألها أبوها فى أقرب عيد أن تستعرض ثروتها امامه .. وانما كانت تفكر فى ابن عمها الذى تزمع أن تضحى من أجله بكل ما تملك من ثروة !
اعادت أوجينى ذهبها الى الكيس ، ثم حملته فى غير تردد وخرجت فى الظلام . لقد أنساها صوت ضميرها وبؤس الفتى ونداء سعادتها ، انها تدخل غرفة رجل فى قلب الليل ، وهى عذراء .. وان هناك آدابا اصطلح الناس على رعايتها !
فى اللحظة التى عبرت فيها عتبة غرفته ، استيقظ شارل ، فراعه دخول ابنة عمه عليه فى تلك الساعة ، لكن الفتاة اقبلت عليه تقول فى صوت بالغ التأثر :
ــ اغفر لى خطيئة كبرى اقترفتها فى حقك ..
ــ وما هى ؟
ــ لقد قرأت هذه الرسالة ..
ــ فاحمر وجه الفتى خجلا ، بينما استطردت أوجينى :
ــ كيف اجترأت ؟ كيف دخلت غرفتك ؟ لست أدرى .. لكنى لست نادمة على حماقتي، فقد اظهرتني على خبيئة نفسك وقلبك وعلى
ــ على ماذا ؟
ــ على مشروعاتك ، على احتياجك الضرورى الى نقود ..
ــ يا ابنة عمي العزيزة ..
ــ صه ! لا ترفع صوتك لئلا توقظ احدا . هو ذا كل المبلغ الذى فى حوزتي .. اقبله مني يا شارل ، فلست فى حاجة اليه ..
وألحت عليه ، فأجابها بعد لأى :



« كان يتبادل وابنة عمه الأحاديث العذبة ، في الحديقة الصغيرة . . »

ـ اكون صغير النفس يا أوجيني اذا لم اقبل جميلك .. ولكن ، كما أودعت عندي ذهبك ، أود أن أودعك شيئاً عزيزاً على كجباتي ، هدية أمي ، فلشد ما أخشى أن افقدها في أسفاري ..

وأخرج علبة ثمينة ، فتحها ، فاذا داخلها من الذهب الخالص الدقيق الصياغة ، وبها صورتان أنيقتان ، لرجل وامرأة ..

فهتفت أوجيني : « يا لجمالها البارع ! .. أهذه هي السيدة التي تكتب لها ؟

اجابها شارل مبتسما :

ـ لا .. انها أمي ، امرأة عمك .. وهذا أبي . فاذا قدر لي الهلاك وهلكت ثروتك معي ، فسوف تعوضك عنها هذه الايقونة الذهبية الثمينة .. اما هاتان الصورتان فاليك وحدك اتركهما . وانك لخليقة بأن تصونيهما .. آه يا ابي ، لماذا تركتني وحيدا معدما ؟

ـ صه ! لست وحيدا ، فانا معك .. ولست فقيرا ، فأبي غني ..

ـ لو كان غنيا ما كنتم تعيشون هكذا ..

ـ دعنا من هذا ، وهون عليك .. والآن نم ، فانك في حاجة الى الراحة

وتبادلا ابتسامة بليغة المعاني .. ثم عادت أوجيني الى مخدعها . وفي تلك الليلة نام الاثنان يحلمان حلما واحدا كله زهر وعطر !

وفي الصباح ، حين نهضت مدام جرانديه ، راعها أن ترى ابنتها تتمشى قبل الافطار في صحبة شارل . وقرأت أوجيني على وجه أمها امارات الخوف والقلق فبادرت تطمئنها قائلة : « لقد خرج أبي ، ولن يعود قبل وقت الغداء .. »

ـ ٦ ـ

اصبح شارل وأوجيني شريكين في سر واحد ، فكانت تكفيهما النظرة الواحدة لتبادل الحديث الشجي والمناجاة البليغة . واحس شارل ان عاطفة جديدة سامية تنبت في قلبه ، عاطفة متآلفة مع ذلك الاطار الريفي الساذج ، متناسقة مع هذا البيت العتيق الوقور . كان يتبادل وابنة عمه الأحاديث العذبة في فناء الدار الصامت المقفر ، أو يجلس الى جوارها في الحديقة الصغيرة ، على مقعد نبت عليه العشب ، ويظلان كذلك حتى تغرب عليهما الشمس . فيستشعر قدسية الحب وجماله وجلاله .. ان علاقته القديمة « بعزيزته انيت » في باريس كانت شيئا آخر غير هذا الحب الصادق النقي الذي يغلف روحه منذ عرف أوجيني .. فواحسرتاه ، انه راحل !

قضى الاثنان أياما ثلاثة عامرة بالحنان ، وأخيرا دنا يوم الرحيل فجلس شارل وأوجيني تحت شجرة البندق يتناجيان :

ـ اني راحل غدا يا أوجيني .. فلا تضع . حياتك وحياتي في

كفتي ميزان واحد .. فقد اهلك انا هناك ، وقد يطلب يدك هنا شاب موسر
ـ أو تحبني ؟
ـ اجل ..
وكان صوته عميقا كعاطفته ..
ـ اذن فسوف انتظرك !
فيثار الفتى ويقترب منها ، لكنها تدفعه عنها هاتفة :
ـ رباه .. ان أبي يطل من نافذته !
وتلوذ بالدهليز ، فيتبعها شارل .. حيث يتبادلان قبلة نقية خالصة ، ويتعاهدان على الزواج عهداً حاراً صادقا ..
منذ تلك اللحظة ، مرت الساعات على أوجيني في سرعة رهيبة .. وكم ذرفت من دمع وهي تتمشى في الفناء والحديقة .. لقد ضاقت بها الحديقة ، والدار ، بل المدينة .. والدنيا بأسرها .. فان روحها قد رحلت ، قبل أن يرحل شارل ، الى آفاق رحيبة من البحار الصاخبة والارض البعيدة المجهولة ..
وفي الغد خرجت الاسرة تشيع شارل الى مركبة « نانت » ، وحين انطلقت العربة في سبيلها ارتقت أوجيني وامها موضعا مرتفعا على جانب الطريق ، ووقفتا تلوحان بمنديلهما وهما تشيعان العربة .. حتى اختفت من الانظار !

— ٧ —

حقا ان النساء أشقى من الرجال ، فهن يجدن في كل ظرف يكتنف حياتهن نبعا جديدا للأسى والألم ! .. الرجل يخرج ويدخل ، ويعمل ويستغرقه عمله ، ويفكر في مستقبله ، ويتلهى عن متاعب الحياة ومضايقاتها بالسعي وراء آماله العريضة ، كما فعل شارل .. اما المرأة فتلزم بيتها ، وهمومها ، تجتر حزنها وتفكر فيه ، وتطيل التفكير ، فلا يشغلها عنه شاغل .. حتى توشيه بالمنى أو تغرقه في الدموع .. وهكذا كانت حال أوجيني !
لم يكد يرحل شارل ، حتى استعادت الدار مظهرها القديم المقبض ، ووحشتها المألوفة ، واستعادت الاسرة حياتها الاولى .. ما عدا أوجيني ، فقد تراءى لها البيت خاويا كئيبا . وذات صباح ، وهي عائدة من الكنيسة ، عرجت على مكتبة البلدة فاشترت منها خريطة للعالم علقتها في غرفتها بجوار مرآتها ، وراحت تتابع عليها رحلة ابن عمها الى الهند ، فصحبته يوما بعد يوم ، وهو على ظهر السفينة التي تجوب به البحار ، ثم وهو يتنقل في البر من بلد الى بلد .. فكان يخيل لها انها تراه ، وتخاطبه ، وتسأله الف سؤال وسؤال .. فيجيبها وفق هواها الف جواب وجواب ! ..

وكانت كل ضحى تجلس تحت شجرة البندق ، على ذلك المقعد الخشبى المتآكل الذى تسلقته الاعشاب والاغصان ، فتذكر ، وتفكر ، وتحلم .. وتمد الطرف الى السماء ، وترنو الى اعماقها كأنها تجتلى فيها أطيـاف مستقبلها الغـامض المجهول .. انه الحب الصامت ، المنطوى بين الجوانح ، المتغلغل فى النفس ، الذى ينساب مع كل خاطر ويتمثل فى كل حركة ويصبح محور الحياة كلها !

وكانت أوجينى فى كل صباح ومساء تفتح خزانتها الخاصة ، فتتأمل صورة امرأة عمها التى فى الايقونة .. وأنها لتفعل ذلك ذات صباح غافلة عما حولها ، واذا بامها تدخل عليها ، فتفاجئها فى هذا الوضع.. وهى تتأمل ملامح شارل فى صورتى امه وابيه ! .. وجرى بينهما حديث قصير عرفت الام منه كل شىء ، ووقفت على سر ابنتهـا الرهيب ..

ــ أعطيته كل مالك ؟ وماذا عساه ان يفعل بك أبوك حين يتفقد ذهبك يوم راس السنة فلا يجده ؟

جمدت عينا أوجينى ، وقضت المرأتان طيلة الصباح فى رعب ، تفكران فى مخرج سريع من ذلك المأزق ، اذ لم يكن باقيا على يوم رأس السنة غير ثلاثة أيام ! ..

وانقضى يومان آخران ، دون الاهتداء الى حل .. فجلست الام وابنتها فى اليوم الثالث تتداولان فى الامر ، فقالت أوجينى فى حزم :

ــ لقد أسديت للفتى معروفا يا أماه ، ولست نادمة عليه .. والله لا بد حامينى من مغبة ذلك ، فلتكن مشيئته ..

واقبل الصباح ، صباح راس السنة ، والام وابنتها فى حال من الرعب لا توصف .. وكان اليوم مطرا كثيف الثلوج ، فتعللت الام بشدة البرد عن الخروج من غرفتها . أما السيد جرانديه .. فعلى خلاف عادته كان فرحا مرحا طروبا .. ذلك انه كان قد عقد فى الليلة البارحة صفقة مالية رابحة ، وعدا ذلك كان لديه سبب آخر هام للانشراح ، هو هذه الهدية من الاغذية التى ارسلها اليه رب احدى الاسرتين الطامعتين فى يد أوجينى ، والتى وفرت عليه نفقات الطعام فى ذلك اليوم ! ..

وهكذا ، وفى نوبة من نوبات كرمه النادر ، وبالرغم من كونه قد باع أكثر ذهبه ، وبالرغم من ارتفاع سعر الذهب فى البورصة ارتفاعا كبيرا .. أخرج البخيل من جيبه الدينار الذهبى المعتاد الذى الف أن يهديه لابنته فى تلك المناسبة ، وأداره فى يده برهة ..

وجفت المرأتان ، فى انتظار صيحته التالية فى طلب اجراء العرض التقليدى لكنز أوجينى المدخر من الذهب .. لكن انشغال الرجل بالتفكير فى اضـافة جديد الى صـفقة الامس ، أغراه بالحرص على

الخروج مبكرا ، فأعاد الدينار الى جيبه ومضى مرجئا طعام الافطار الى ما بعد عودته ..

تنفست الاثنتان الصعداء ، آملتين ان يكون قد نسي نهائيا ذلك العرض التقليدي للذهب .. لكنه لم يلبث أن عاد ، فابتدرته المرأتان بالتحية ، متمنيتين له ــ وهما ترتجفان ــ عاما سعيدا حافلا بالربح ! فانتهز هذه الفرصة كي يقول :

ــ آه .. آه يا ابنتي .. اترين كيف أكد واشقى من اجلك حتى في يوم العيد ؟ .. فان السنة لا تكون سعيدة بالنسبة لنا الا بقدر المال الذي نحصله خلالها .. خذي يا ابنتي ، اليك دينارك الذهبي الجديد .. وانها لقطعة من الذهب نادرة جدا في هذه الايام .. آه ، لشد ما انا مشوق الى استجلاء طلعة دنانيرك المتراصة ! ..

ــ وما صعودي الى غرفتي في هذا البرد؟ لنرجيء ذلك الآن ولنفطر

ــ نعم ، لنفطر اولا .. ولسوف يعيننا منظر الذهب بعد الافطار على هضم ما اكلنا ! .. وجلسوا ثلاثتهم الى المائدة ..

ــ كلي يا زوجتي .. انها اكلة تغنينا عن الطعام يومين ، ومع ذلك لم ندفع فيها شيئا ! ..

ــ ليست لي شهية للأكل ..

ــ كلي .. انك حقا مصفرة الوجه بعض الشيء ، لكني أحب اللون الاصفر ..

وفجأة صاح جرانديه بنانون :

ــ ارفعي هذه الاطباق ، ونظفي المائدة من كل شيء .. ثم نظر الى أوجيني :

ــ هيا ! هات دنانيرك نستعرضها هنا .. ماذا تنتظرين ؟

أما المرأتان فاعتصمتا بالصمت .. فعاد الرجل يقول :

ــ هيا يا ابنتي .. فلسوف تعيرينني دنانيرك كلها اليوم ، وانا ضمين بردها اليك بعد حين ستة آلاف من الفرنكات .. لقد باع أبوك ذهبه وأصبح في حاجة ماسة الى ذهبك .. هيا ! .. ايعز عليك ان تفارقيه ؟ .. اسرعي باحضاره كي أتملى برؤياه .. انهضي !

ونهضت .. فخطت الى الباب بضع خطوات .. ثم أقبلت على ابيها فقالت في جراة وحزم :

ــ لم يعد عندي ذهب ! ..

ــ ما ذا تقولين ؟

وارتجت لصيحته جدران الدار العتيقة .. واقبلت نانون مرتاعة

ــ رحماك ربي .. وجه سيدتي يمتقع !

وهتفت الام التعسة بصوت خائر :

ــ جرانديه .. ان غضبك سوف يقتلني !

ــ اطمئني ، فلن تموتي ! .. اما انت يا أوجيني فصارحيني فورا « ماذا صنعت بالذهب ؟ »
وانقض عليها انقضاض الوحش على فريسة مستضعفة ..
ــ عفوك يا ابي .. رفقا بأمي .. انظر .. لا تقتلها !
نظر جرانديه الى زوجته ، فهاله ان يراها شديدة الشحوب .. ولم تزد المرأة على ان قالت في صوت خفيض :
ــ نانون ! تعالي كي تعينيني مع أوجيني على الصعود الى سريري .. اني اموت ..
وبقي جرانديه وحده ريثما صعدن .. ثم نفد صبره فاهاب بابنته أن تهبط اليه ، ففعلت صاغرة ..
ــ سوف تقولين لي اين ذهبك ..
ــ اذا كنت يا ابي تهديني الهدية كي تعود فتطالبني بها فيما بعد .. فخذ دينارك هذا .. لست في حاجة اليه !
فيختطف قطعة الذهب ، ويطوى عليها يده .. ثم يعود الى الموضوع :
ــ أو تعصين اباك ؟
ــ حاشاى ! .. بل اني احبك يا ابي واجلك ، برغم غضبك الشديد .. ولكن ، الم ابلغ رشدي فاصير حرة التصرف في مالي كيفما شئت ؟ .. ومع ذلك ابادر فاطمئنك الى انه في حرز حريز ..
ــ اين هو ؟
صمتت أوجيني عن الجواب ، مكتفية بان اومات براسها ايماءة سلبية ، فلقد أوحى اليها الحب بالمكر ، كما أوحى البخل الى أبيها بالدهاء ! .. لكن البخيل لم يصبر على غياب الذهب ، فهاج وصاح وأرعد ، واقسم وسب ولعن ..
ــ يا لك من مجرمة .. أتسرقينني يا بنت ؟ ! .. لعلك قد القيت بثروتنا المدخرة عند قدمي ذلك الفتى المتشرد .. فلتحل عليك لعنة أبيك ، أنت وابن عمك ! .. ولتغربي عن وجهي وتلزمي غرفتك حتى آذن لك بالخروج من عتبتها .. ومنذ اليوم لن تذوقي غير الخبز الجاف والماء القراح !
اجهشت الفتاة بالبكاء ، ثم لاذت بخدر أمها .. واحس ابوها انها لم تذعن لامره ، فاسرع وراءها كي يحبسها في غرفتها .. فلما دخل غرفة الام قالت هذه :
ــ هوني عليك يا ابنتي .. فلسوف يهدأ ابوك
ــ لا .. لست أباها منذ اليوم ! .. أهذه تربيتك ؟ هيا ، ادخلي الى محبسك يا مارقة ..
فتضرعت اليه زوجته ، وقد الهبت الحمى وجهها :

ـ أتريد أن تحرمني من ابنتي ؟
ـ ماذا ؟ أو تآمرتما على سرقتي ونهبي ؟ لتنزل الصواعق على هذا البيت ! اين الذهب ؟ !
نهضت أوجيني فألقت نظرة كبرياء على أبيها ثم مرقت الى غرفتها وتبعها ابوها فأغلق بابها وادار المفتاح فى قفله !
.. وفى ذلك اليوم جلس جرانديه الى مائدة الغداء وحيدا ، لاول مرة منذ اربع وعشرين سنة ! .. فقالت له نانون :
ـ حرام يا سيدي ان تترمل وفى بيتك امرأتان !

— ٨ —

وعلمت البلدة عن بكرة ابيها ان الآنسة أوجيني جرانديه سجينة فى غرفتها بأمر ابيها ، وأن نانون تحضر اليها فى ظلام الليل الوانا من الطعام والحلوى ، خلسة ! .. وان الفتاة محرومة من ان تعني بأمها المريضــة التى تحتضر فى بطء رهيب ! .. فأثار مسلك جرانديه سخط البلدة كلها عليه ..
اما أوجيني فلم تعبأ بسجنها ولا بغضب أبيها عليها ! .. الم يبق فى امكانها أن تنظر الى الخريطة كل يوم ، فترى عبر البحار حبيبها شارل ، وتتحدث اليه ، وتناجيه ، وتشكوه همهـا ؟ .. أليست مستريحة ، مفعمة القلب بالحب والامل ؟
شيء واحد كان يقض مضجعها .. أن ترى أمها تدنو من الموت يوما بعد يوم ، وما من طبيب يعودها .. فان جرانديه الحصيف ، وقد كان يدرك جيدا ان الطبيب لايدخل البيت مرة الا ليعود فيدخله مرات ، آثر أن يوفر ماله ، تاركا زوجته لعناية الاقدار !
وهكذا لبثت المسكينة تحتمل عذابها فى صبر وسكون ، لا امنية لها سوى أن يحل السلام بين زوجها وابنتها ، قبل أن تموت .. لكن جرانديه أبى أن يصفح عن فتاته « العاقة » الا فى آخر لحظة ، نزولا على تضرع زوجته فى سكرات احتضارها .. وقتئذ همست الام لابنتها وهى تغمض أجفانها ، الى الابد :
ـ أيا ابنتي .. لا راحة فى الدنيا ولا سعادة الا فى السماء .. ستعرفين ذلك يوما !

— ٩ —

وتوثقت الوشائج التى تربط اوجيني بذلك البيت الذي فيه ولدت ؛ وفيه تألمت ، وفيه شيعت أمها .. حتى لقد اصبح البيت العتيق الموحش عامرا بالذكريات الغالية . انها الآن لا تستطيع ان تنظر الى نافذة القاعة الكبيرة ، والكرسى ذى الارجل العالية ، الا ويجف حلقها ، وتشرق بدمعها !

وانقضت خمس سنوات لم يقع فيها حدث ملحوظ فى تلك الحياة الرتيبة المتشابهة التى عاشتها أوجينى وأبوها ، حتى طرأ عليها خلل مفاجيء حين أصيب الاب فى نهاية السنة الخامسة بالشلل ، وكان قد بلغ الثانية والثمانين .. فتفانت اوجينى فى تمريضه والعناية به ، برغم انحطاط قواه العقلية وتزايد تقتيره وبخله، وشذوذه فى كل شيء!

وعند ما حانت ساعة احتضاره طلب من ابنته ان تجرى امامه استعراضه المحبب ، فترص على المائدة دنانيره الذهبية كى ينظر اليها نظرة اخيرة .. ففعلت .. واذ ذاك جعل الرجل يتأمل فى ذهول قطع النقود الصفراء البراقة ، ولم يحول عنها بصره حتى لفظ النفس الاخير !

— ١٠ —

وبموت جرانديه اصبحت اوجينى وحيدة فى الدار . ولم تجد رفيقا أمينا تستطيع ان تحدثه عن احزانها وهمومها سوى نانون ، فجعلتها سميرتها وموضع سرها

وذات يوم أقبل المحامي فاطلع اوجينى على تفصيل ثروتها والاملاك والاموال التى ورثتها ، فلما انصرف المحامي ، نظرت اوجينى الى نانون ، وقالت لها وهى تبكى :

ـ نانون .. انا وحيدتان !

وفيما كانت الوارثة الحزينة تبكي على كتف خادمتها العجوز ، فى ذلك البيت البارد المظلم ، كان أهل فرنسا من « نانت » الى « أورليان » لا يتحدثون الا عن « أوجينى جرانديه » السعيدة وملايينها السبعة عشر ! ..

وأوفت أوجينى على الثلاثين .. لكنها لم تذق فى حياتها غير الالم ! وكان حبها أكبر مصدر لذلك الالم . انه قد جلب عليها لعنة ابيها ، وكلفها حياة أمها ، ولم يبق لها منه برغم ذلك الا بصيص من الامل لعله سراب زائف فى بيداء صبرها ؟ .. والا فأين شارل الآن ؟ انها لا تستطيع أن تقنع نفسها بأنه قد خرج من حياتها الى الابد . انها ما زالت تنتظره ، غير حافلة بأولئك الرجال الذين تكاثروا حولها ، يخطبون ودها وينشدون يدها ، ويطمعون أولا وأخيرا فى ثروتها !.. نعم ، أين شارل الآن؟ انه لم يكتب لها رسالة واحدة منذ سبع سنين !

ولكن .. انى لها ان تعلم أن حبيبها الغادر قد صار من أغنى تجار الرقيق فى بلاد الهند وعلى شواطيء افريقيا . فان تجارة الرقيق كانت فى ذلك العصر اقصر سبل الاثراء وأسرعها .. وكانت قد استولت على ذهن الفتى ونفسه فكرة واحدة ، هى أن يجمع ثروة ضخمة فى أقرب وقت ثم يعود الى باريس ، كى يستأنف فيها تلك الحياة المترفة التى نشأ فى جوها . ولئن كان وجه أوجينى قد صحبه

ولازمه فى رحلاته الاولى ، فان الزنجيات والبيضاوات اللواتي كان يشتريهن ويبيعهن .. ومغامراته فى تلك الاجواء القصية ، قد أنسته كلها ذكرى ابنة عمه ، وبيت عمه فى سومور ، والمقعد الخشبي تحت شجرة البندق ، والقبلة التى تبادلها مع أوجيني فى دهليز الدار! ..

وأتم شارل جرانديه حلقات افكاره الماضية باتخاذه لنفسه هذا الاسم الجديد الذى عرف واشتهر به فى ميادين التجارة العالمية : « كارل سيفرد » ! .. الاسم الذى صار فى موانيء الهند وافريقيا وأوربا وأمريكا علما على النهم والخسة والربح الحرام ! !

— ١١ —

عاد شارل الى فرنسا ، بعد ان جمع ثروة طائلة .. وعلى السفينة التى اقلته الى ارض الوطن ، تعرف الى أسرة فرنسية من طبقة الاشراف ، اطاح التبذير والسفه بثروتها ، لكنها لا تزال تحتفظ بكثير من مظاهر النبلاء . وهى أسرة مكونة من ثلاثة اشخاص : المركيز دوبريون ، والمركيزة زوجته ، وابنة لهما هيفاء القد قبيحة الوجه ، لقنتها امها فن الملاطفة فى الحديث والرقة فى الحركات ، ودربتها على ارسال تلك النظرات الساجية الحزينة التى تخلب لب الشباب وتجعل الواحد منهم يحسب انه قد عثر ، فى هذه الفتاة الحالمة ، على ملك من السماء ! .. ثم علمتها امها فن ارتداء الثياب التى تستر عاهاتها وتبرز مفاتن جسمها ، وتوهم الناظر اليها انها حسناء !

ولما كان شارل تواقا الى أن يحيا حياة الاشراف فى باريس ، والى ان يصبح وزيرا أو سفيرا على الاقل ، فقد استقر رأيه على مصاهرة تلك الاسرة ، ورضيت الاسرة به برغم كونه ابن تاجر مفلس منتحر ! فلما رست الباخرة أخيرا فى بوردو ، صحب شارل آل دوبريون الى قصرهم فى باريس !

وفى ضحى يوم أول اغسطس من تلك السنة ، كانت أوجيني جالسة على المقعد الخشبى الصغير فى الحديقة .. تستعرض فى ذاكرتها ما ألم بها من أحداث منذ تفتح قلبها لذلك الحب ، واذا ساعي البريد يسلم نانون رسالة .. فتهرع بها الى سيدتها ، وتنظر أوجيني الى الغلاف ولا تجرؤ على فضه . هذا خطه ، لكن الرسالة صادرة من باريس .. اذن فهل عاد الى فرنسا ، واذا صح ذلك فلماذا لم يعرج على سومور ؟

أخيرا فضت أوجينى الرسالة ، فقرأت والدموع فى عينيها :

« ابنة عمي العزيزة ..

سوف تقابلين بأبلغ السرور فيما أعتقد انباء النجاح الذى صادفني فى مشروعاتي خلال فترة غيبتي . ولقد سمعت أخيرا بوفاة عمي وامرأة عمي ، فلعلك قد تعزيت عنهما الآن ، فان الايام خليقة بأن

تعلمنا السلو والنسيان . اجل ايتها العزيزة ، لقد انقضت الى غير رجعة تلك الايام التى كنا فيها نعيش واهمين . واعترف لك انى كنت يومئذ طفلا .. انك اليوم حرة طليقة ، وانا حر طليق ، ولكل منا مشروعاته التى من حقه ان يحققها .. لا تحسبي اني انكر ماكان بيننا من التعاهد على الحب ، لكنى لا اريد ان نتمادى فى خداع انفسنا. ومن الخطأ الظن بأن الحب معناه الزواج ، فان بين الاثنين من البون ما بين الخيال والحقيقة ! .. ولا بد انك تقدرين ما بيننا من فوارق السن والتربية والعادات والتفكير والذوق .. انا الآن على اهبة الزواج من فتاة فى التاسعة عشرة ، سليلة بيت من بيوت الاشراف ، سوف تفتح لى الابواب الى ارفع المناصب فى فرنسا .. وها انذا ارفق بخطابي هذا الصك الذى ينطق بعرفاني لجميلك ، وهو عبارة عن المبلغ الذى اعرتنيه قبل رحيلي ، مضافة اليه الفوائد والارباح ! »

فلما فرغت من قراءة تلك الرسالة المروعة ، رفعت الى السماء عينيها المثقلتين بالدموع .. وتذكرت امهـا العزيزة ، فرأتها امامها مسجاة على سريرها تحتضر وتقول لها :

ــ يا ابنتي ، لا سعادة الا فى السماء .. ستعرفين ذلك يوما ما

ــ ١٢ ــ

فى اليوم التالى زار قسيس البلدة أوجينى ، كي يقنعها بالزواج من قريب له طامع فى يدها ــ او اذا شئت الدقة ففي ثروتها ــ هو القاضي دي بونفون .. لكن اوجيني انبأته بأنها لا تعتزم زواج امريء كائنا من كان ، فهى تنوي ان تعتزل الدنيا وتحيا حياة الراهبات ..

ــ لكن الزواج سر من الاسرار المقدسة يا ابنتي ، اذا حققتيه اتممت طقوس دينك .. وها انت ذي ترثين ثروة عريضة لابد ان تنبت حولها كل يوم صنوف من المشكلات ، تتطلب لفضها رجلا امينا لن تجديه الا فى زوجك !

اطرقت أوجيني طويلا ، ثم رفعت رأسها تسأل رجل الدين :

ــ واذا اعتزمت امراة ان تعيش فى زواجهـا عذراء ، أيحسب عليها ذلك خطيئة ؟

ــ هذا فرض لم يصادفني من قبـل ، فاتيحي لى فرصة كي استوثق من الامر ..

وعاد القس بعـد أيام يمنحهـا تصريحا من ائمة الدين بما طلبت ، فتممت راغمة هذا الزواج الصوري من القاضي بونفون .. ولم يجد صاحبنا غضاضة فى قبول شرط زوجته ، فانه لم يكن يطمع منها فى غير ثروتها ..

وقبل تحرير عقد الزواج كلفت أوجينى « بونفون » ان يذهب

الي باريس فيوفي كافة الديون التي ورثها شارل عن أبيه المفلس ، وأن يحمل اليه هذه الرسالة منها :

« يا ابن عمي .. لقد انبئت ان افلاس ابيك ، وديونه الثقيلة التي خلفها والتي ترفض دفعها ، قد يصبح عقبة كأداء في سبيل اتمام صفقة زواجك .. وما دمت ترى بينك وبيني تلك الفوارق التي عددتها في رسالتك ، وتراني عاجزة عن ان احقق لك احلامك والسعادة التي تنشدها ، فدعني اتمنى لك التوفيق في زواجك هذا الذي تضحي من اجله بحبنا .. ولكي لا تشوب صفو هنائك الجديد شائبة رايت أن اقوم بوفاء كافة ديون ابيك .. فوداعا ، وسوف تجد دائما في ابنة عمك نعم المخلصة الوفية »

« أوجيني »

ورقى القاضي دي بونفون بعد زواجه من اوجيني الي منصب المستشار .. لكن القدر لم يمهله حتى يحقق اطماعه في ثروة زوجته ، اذ عاجلته المنية فجاة فخر فاقد الحياة ! ..

وهكذا سخرت المقادير من مطامع دي بونفون ، فورثت أوجيني ماله بدل أن يرث هو مالها ! ..

وهكذا القى الله أكداسا من الذهب عند اقدام هذه « الراهبة » التي زهدت في الحيـاة ، حتى لم يعد لها هوية غير اعانة المحتاجين واغاثة الفقراء ، ولكن خفية عن العيون والاسماع ! .. انها الآن ارملة في الثالثة والثلاثين ، وجهها هادىء وديع ، وصوتها صاف رقيق ، عليها سمات النبل الذي يجلوه الألم ، والطهر الذي سما بها عن شهوات هذا العالم .. يطالع المرء في حركاتها سذاجة الريفيات ، وشيئا من جفاء العوانس .. وبرغم دخلها السنوي الضخم ، فانها تعيش كما كانت تعيش أيام صباها ، وتلبس كما كانت تلبس أمها ..

لكن ألسنة الناس الحداد لا تكف عن سلقها حسدا وغيرة ، فهم يتهمونها بأنها قد ورثت البخل والتقتير عن أبيها .. في حين تنهض دليلا على افترائهم ، ثلاث مؤسسات للبر والاحسان اقامتها بمالها الخاص في أحياء المدينة .. مدرسة وملجأ ومكتبة ، وهي ما تزال قائمة تشهد بكرمها وجودها .. فقد كانت يدها مبسوطة على الدوام ، تسعى بصاحبتها في خطى حثيثة نحو السماء ، في موكب من الحسنات !

هل سمعت قصة تلك التي عاشت بمنأى عن العالم وهي في وسط العالم ؟ .. تلك التي خلقت لتكون اسعد زوجة واهنأ ام ، فكان ان عاشت عانسا لا زوج لها ولا ولد ، يتيمة لا قريب لها ولا حبيب .. وطوال حياتها لم تنس قولة أمها وهي تحتضر :

— يا ابنتي .. لا راحة على الارض ولا سعادة الا في السماء .. ستعرفين ذلك يوما ما !

حلمي مراد

المحامي

بين الهلال وقرائه

س - لماذا لا تهضم المعدة نفسها ؟ محمد الويشى . طنطا

ج - سؤال من اطرف ما قرأت ، يدل على ذكاء عند سائله غير قليل. والواقع انه «نفثة» من نفثات الطب . ذلك ان المعدة تهضم ما يدخلها من لحم ، فكيف لا تهضم نفسها وهى من لحم . ولا يغنى عن ذلك أن تقول ان اللحم الذى يدخلها لحم حيوان، أما لحمها هى فلحم انسان . لأن المعدة لا تفرق فى الهضم بين لحم انسان ولحم حيوان ، فهى تهضم كليهما ، وتنتفع منهما ، وينتفع الجسم على حد سواء . واسأل اهل نيام نيام ، وهم آكلو لحوم البشر ، او منهم آكلوها ، يأتك الخبر

وقد سألت طبيبا امتحنه فى هذا مداعبة ، فقال : « ان المعدة لا تهضم نفسها ، لأن خميرة المعدة التى تهضم اللحوم، وهى الببسين Pepsin ، لا تعمل الا فى العصير الحامضى ، وعصير المعدة حامضى، ولكن جدران المعدة ، ككل أنسجة الجسم ، قلوية » . وقد يتراءى هذا جوابا مقنعا ، ولكنه ليس فى الواقع بمقنع. والرد عليه ان بالامعاء خمائر تهضم اللحوم ، وهى تعمل فى عصارات الامعاء ، وهى قلوية كأنسجة الجسم ، فلماذا اذن لا تهضم هذه الخمائر الامعاء ؟

وسألت طبيبا آخر فقال : « انها حيوية الجسم الحى . وهى فى المعدة الحية تدفع عنها فعل عصاراتها ، وعصاراتها انما تهضم اللحم وهو ميت . قد فقد حيويته »

وهذا جواب كجواب بعض المحامين فى بعض المحاكم فى بعض القضايا ، الغرض منه تزويق اللفظ والهرب فى لباقة . ذلك اننا نعود فنتساءل : ما هى هذه الحيوية ؟ وعندئذ لا يكون جواب

والحق ان حل هذا اللغز ، او هذه الاحجية ، وهى احجية من أحاجى الطب حقا ، تجده فى البحوث الطبية الحديثة الخاصة بالحصانة. فقد دلت هذه البحوث على ان كل مادة غريبة عن الجسم، من مكروب أو غير مكروب ، حية او غير حية ، لا تكاد تدخل الجسم حتى يأخذ الجسم فى صناعة مواد تضادها لتعادلها وتنفي أثرها . وتعرف بالمواد المضادة او المناوئة

والجسم يعد الببسين والتربسين وكل خمائر الهضم مواد غريبة عنه ، وهى تهضمه ، ولكن يمنعها عن ذلك مواد مضادة لفعلها كالتى تضاد المكروبات تماما فتنفى فعلها

وقد اثبت الباحث فنلند Weinland حديثا انه فى خلايا جدران المعدة توجد مواد تضاد الببسين وسماها انتى ببسين ، وأن فى خلايا الامعاء توجد مواد تضاد خميرة الامعاء المشهورة وهى التربسين trypsin واسماها انتى تربسين . وانتى Anti معناها الضد

ومن الطريف ان الديدان التى تتطفل على الامعاء فتعيش فيها ، وجد البحاث هذه المواد المضادة فى أجسامها ، تحميها من خمائر الهضم فلا تنهضم

❋

س ـ من هم الجـن ؛ وأين يعيشون ، وعلى سطح الارض أم فى بطنهـا ، وهل يتزوجون ولهم نساء، وبأية لغة يتخاطبون، وهل لهم أحزاب ، وهل منهم الشيطان ، وهل . . . ؟
عبدالكريم حسب الله . بالاسكندرية

ج ـ أول كل شىء يجب ان أقول ان العلم لا يبحث فى الجن ، لانهم ليسوا موضوعه ، ولاتهيأت للعلم اداة البحث عنهم أوفيهم . وكل الذى نعلم عن الجن يأتى من مصدرين ، مصدر الرواية التى تناقلتها الاجيال ، ومصدر الاديان

اما الرواية فتقول ان الجـن قبيـل من الارواح ، مأتاهم من النار، ولكنهم فى شكلهم وتناسلهم يشبهون الانس . وموطنهم جبل قاف. وانهم قد يتراءون للانس فى شكل انسان أو حيوان . وفى الجن اخيار ، وفى الجن أشرار . وفيهم الجمال .وفيهم القبح

أما الأديان ، والدين الاسلامى خاصـة ، فتعتبر الجـن للانس نظراء . «وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون». وفى الجن شياطين كما فى الانس شياطين. «وكذلك جعلنا لـكل نبى عدوا شياطين الانس والجن » . والجن مخلوقون من نار . « والجان خلقنـاه من قبل من نار السموم ». وفى الجن عفـاريت . « قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك». والجن أمم . «وحق عليهم القول فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس». وابليس من الجن، من اشرارهم . «فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه »

وأنت تستطيع ان تفسر هذه الآيات بمدلولها اللفظى، أومدلولها المجازى

أما لغة الجن ، فعلم ذلك عند ربى . واما ان بهم احزابا ، فقد يجوز، وعندئذ لن تكون كاحزابنا، والا لوجدنا فى الارض زلزلتها ، ولسمعنا لهم فى جنبات الجبال وأغوار الوديان نعيرا مقيما

❋

س ـ هل تشجع الزواج بفتاة موظفة ؟ محمد منير عمر. بنها

ج ـ ان اكره ما اكره، السؤال الذى يتضمن اقرار مبدأ أونفيه، لا سيما فى أمر كأمر الزواج . والاولى ان تنتظر حتى تجد هذه الفتاة الموظفة ، وهى هى لا شك

التى سوف تشجعك على الزواج أو تخذلك . فاذا هى لم تفعل ، واحتجت بعد ذلك الى تشجيعى، فالخير فى الا تتزوج ، وان تصبر حتى تأتيك من تغنيك عن تشجيعى

ومع هذا ، فلعلك تهدف ، على ما يتراءى من خطابك ، الى ان الوظيفة قد تعوق عن تدبير امر البيت . وهى حقا تعوق عن بعض تدبير البيت . وهذا بعض مضارها . ولكن للوظيفة الى جانب مضارها فوائد تجنيها المرأة . فهى تجنى منها التدرب على العمل المسئول ، وهى تجنى فيها الاشراف على الحياة بالخروج الى الطريق والتثقف والتنور بلقاء الناس فى سبيل العيش . وهى تكسب من الوظيفة مالا آخر الشهر يعين فى تربية الاولاد ، ان كانت الاسرة ذات ضيق ، أو يعين مدخره على احتمال وقائع الايام ونوازل الدهر

بقى بعد ذلك امكان التعاون على هذه الحال بين الزوج والزوجة . وهنا لابد من الرجوع الى الامزجة والى النشأة ، والى معانى الكرامة عند الرجل والمرأة . فاذا ائتلفا فالزواج . واذا اختلفا فلا زواج . وقد عرفت فى حياتى السعداء على الوظيفة ، والاشقياء عليها . وكان أكثر الشقاء عن غيرة ، واذا اجتمع فقر وغيرة فى غير موضعهما فحسبنا الله ونعم الوكيل

*

س ــ هل مجىء الولد مخالفا للون أبويه علامة على خيانة الزوجة ، وهل هناك طريقة لاثبات البنوة ؟ ا.م.س

ج ــ ليس اختلاف لون الولد من لون أبيه وأمه وحدهما دليلا على خيانة . وأنت تقصد بالطبع لون الجلد . وأنا أضرب لك مثلا لون العين ، فهو فى الالوان أحسم من الوان الجلود. فالمرأة ، وعيناها عسليتان ، قد تتزوج الرجل ، وعيناه عسليتان، فيخرج ولدهما وعيناه زرقاوان . ومرجع هذا الى الاجداد

والصفات يتوارثها الابناء عن الآباء والامهات، ولكنها قد تختفى فى جيل ثم تظهر فى جيل . وفى الصفات، غالب ومغلوب، وزاحم ومزحوم

وليست هناك طريقة علمية لاثبات البنوة ، ولكن هناك طريقة قد تنفيها . ومبناها على أن الناس، من حيث دماؤهم ، اربعة أنواع . وان الفرد يحتفظ بنوع دمه طوال حياته . وان هذا قانون لا يختلف . حتى المومياءات التى بحثوها وجدوا دماءها أنواعا

ويرمز العلماء الى هذه الانواع الاربعة هكذا : ا ، ب ، ا ب ، صفر . وقد وجدوا ان مصلا من دم النوع صفر ، اذا أضيف الى دم النوع ا أو ب أو ا ب ، تجمعت وتكتلت كراته الحمراء . واذا اضيف مصل من اى من هذه الانواع الثلاثة الى الدم صفر، لم تتكتل كراته

والمصل من الدم ا ، اذا اضيف الى دم النوع ب أو ا ب ، تكتلت

كراتهما الحمراء . واذا اضيف مصل اى من هـذين الى الدم ا تكتلت كراته

والمصـل من الدم ب ، اذا أضيف الى دم ا او ا ب ، تكتلت كراتهما الحمراء . واذا اضيف مصل هذين الى الدم ب تكتلت كراته

والمصل من الدم ا ب لاتتكتل بسببه دماء . وأما كراته هو ، فتكتلها كل الدماء

فالطبيب الشرعى ، عنـد الاشتباه ، وبطلب المحكمة ، يمتحن دم الابوين ودم الوليد ، ليعرف من اى نوع من الدماء تلك الدماء الثلاثة . ثم هو يطبـق قانون الوراثة المعروف على دم الابوين ، ومنه يستنتج من اى الانواع يجب أن يكون دم الوليد . فاذا خالف دم الوليد النوع المستنتج ، فالولد ليس للأبوين معا . وأن وافق دمه النوع المستنتج ، لم يدل هذا على شيء ، فقد يكون دم الوالـد الحقيقى كدم الوالـد المنتحل

❋

س ـ من هو مخترع الموسيقى؟
مصطفى احمد عثمان

ج ـ هو مخترع الحب والبغض ، ومخترع الافراح والاحزان . وهو الذى علم الطفل عند الالم كيف يصرخ ، وعلم الشاب عند الطرب كيف يشـدو . ومختـرع فن الموسيقى يا عزيزى ، كمخترع العجـلة التى تدور ، والشراع الذى تملأه الريح . دفين ، او هم دفناء ، فى تاريخ البشرية القديم

اما اللفظة ، لفظة الموسيقى ، او الموزيك ، فـكلمة اغريقيـة تضمنت كل الثقافات الروحية والعقلية من غناء وتصوير وفنون جيلة ، ومن علم ورياضة وادب . وهذه الثقافات كانت عند الاغريق تسعا ، اشرف عليها تسع آلهات ، لها عندهم أسماء محفوظة ، ولها اختصاصات فى ذلك معروفة . اما الثقافات البدنية فهى عندهم الجمناستيك ، وهى قرينة الموزيك

فالموسيقى ، بمعناها الحديث ، دخلت فى ثقافات الاغريق الروحية العقلية ، غير البدنية ، ثقافة من الثقافات التسع المذكورة

واقتصرت عندهم ، كما اقتصرت عنـد العرب ، وكما اقتصرت فى الاغلب عند القدماء من امم البشر ، على الشعر ينشد على توقيـع الآلات . وتقرأ كتاب الاغانى فتجده فى الواقع كتـاب الموسـيقى كما عرفها العرب . ومن عجب انك لاتجد فى العربية لفظة تقابل لفظة الموسيقى ، الا ان تكون فن الالحان

اما الموسيقى ، باعتبارها فنا عصريا حديثا ، اساسه الهرمونية التى تتميز وتتفرد بها الموسيقى الاوروبية ، فميلادها القرن الرابع عشر . ثم هى نشأت وتدرجت فيما تلا هذا القرن من قرون . وأسـاطينها ـ أو ان شئت مخترعوها ـ هم هنـدل وباخ وموزارت وبتهوفن وشـوبرت وشوبان ولست وجنر واستروس وكثير غير هؤلاء

ابن هزيم

اختبر ذكاءك ..!

تستحب التسلية الذهنية فى أوقات الفراغ .. واليك مجموعة مختارة من الأسئلة والمسائل المبسطة ، فيها ما يسليك ويسرى عن جلسائك

[الأجوبة صفحة ١٨٤]

— ١ —

كان على وحسن ونزيه ومحمود وحامد يتناقشون فى أمر ما .. واحتدم النقاش بينهم ، فأخرج شاب متهور منهم مسدسه واطلقه على زميل له — قال عبارة اثارت حفيظته — فارداه قتيلا. واليك بعض الحقائق.. حاول ان تتعرف منها على القاتل :

— لعب « على » مع فريق النادى الاهلى — فى اليوم السابق للحادث — فى احدى مباريات كرة القدم

— كان القاتل اخا « لحسن »

— كان « محمود » موظفا فى احدى المصالح الحكومية

— كان «نزيه» من المصارعين الممتازين.. وقد ذهب بعد وقوع الحادث الى الاسكندرية

— أجريت للقاتل عملية « المصران الاعور» قبل ان يرتكب جريمته بفترة وجيزة

— تقابل «حامد» و«حسن» للمرة الاولى قبل الحادث باربعة اسابيع

— ٢ —

قال وهو يحادث صديقا له عن صورة جميلة معلقة فى حجرة الزائرين :

— ليس لى اخوة او اخوات.. ووالد صاحب هذه الصورة ابن ابى .. فلمن تكون الصورة ؟

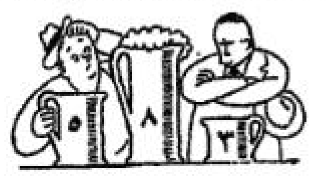
— ٣ —

نذكر فيما يلى اسماء بعض الكواكب المعروفة فى هوليود — سبق أن سمعتها وقرات عنها وشاهدت صور اصحابها — ولكنها كتبت بعد تبادل الالقاب بينها.. حاول ان تصحح ما بها من اخطاء :

١ — ميرنا كوبر ٢ — ديك باور ٣ — بريسيلا مونتيز ٤ — جارى باول ٥ — ماريا لوى ٦ — انا لين ٧ — تيرون شيرلى

— ٤ —

صديقان معهما آنية سعتها ثمانية لترات مملوءة جعة.. ارادا ان يقتسماها فيما بينهما بالتساوى، وهما لا يملكان سوى آنيتين فارغتين،



الاولى سعتها خمسة لترات والثانية ثلاثة لترات . فما هى الوسيلة التى يتمكنان بها من قسمة الجعة

بحيث يأخذ كل منهما أربعة لترات

لقد كان حل تلك المسألة « نقطة تحول » فى حياة « سيمون بواسون » الرياضى الفرنسى المعروف . فقد كاد والده أن ييأس من تعليمه لكثرة اخفاقه فى اللغات، وظن ان ذلك وليد غباء منه. وصادف ان أعطى زائر هذه المسألة للصبى ، فحلها بسرعة ادهشته واستشف منها موهبة الولد الرياضية ، فأشار على ابيه بضرورة توجيهه توجيها رياضيا

— ٥ —

دع صديقا لك يكتب على ورقة اى عدد يختاره مكون من ثلاثة ارقام مختلفة ، ثم اطلب منه ان يكتب نفس العدد معكوسا ـ اى يضع رقمى المئات والآحاد كلا منهما مكان الآخر .. فاذا فرض ان العدد الذى كتبه اولا (٩١٢) كان العدد الثانى (٢١٩) واطلب منه أن يطرح الرقم الاصغر من الاكبر ، ثم يضيف الى باقى الطرح نفس الناتج معكوسا بنفس الطريقة الا اذا كان الناتج (٩٩) فيبقى كما هو .. ان الناتج من هذه العملية الحسابية ـ مهما كان العدد الذى اختاره الصديق ـ واحد دائما. فما هو؟

— ٦ —

عندك كوبان .. فى أحدهما ماء ، وفى الآخر نبيذ. فاذا نقلت ملعقة ماء الى كوب النبيذ ، ثم اخذت بعد ذلك ملعقة من مزيج النبيذ والماء ووضعتها فى كوب الماء . فهل تكون كمية الماء التى نقلتها الى كوب النبيذ اكبر من كمية النبيذ التى نقلتها الى كوب الماء ، أم العكس ؟

— ٧ —

هذه اسماء مجموعة من اللوحات والتماثيل تعد من روائع الفن العالمي، نشرت فى اعداد « الهلال » السابقة خلال العام الماضى .. اختبر ذاكرتك وحاول أن تعرف اسماء اصحابها من الفنانين وهى:

١ ـ زيارة الطبيب .. ٢ ـ فابيولا .. ٣ ـ الاعمى والمقعد .. ٤ ـ انتصار ساموتراكى .. ٥ ـ اليأس ..

— ٨ —

عقد اجتماع للأساتذة فى احدى الكليات بالجامعة .. وبعد أن انفض الاجتماع، توجه المجتمعون جميعا الى فندق كبير وطلب كل منهم فنجانا من الشاى . وبعد دفع الحساب ، لوحظ ما يلى :

ـ ان مجموع ثمن الطلبات كان يتراوح بين مائتين وثلاثمائة قرش

ـ ان ثمن الطلب الواحد عدد .. هو نفس عدد المشتركين

فكم كان عدد الأساتذة ، مع العلم بأن الجواب لا يجيز سوى فرض واحد ؟

الأجوبة

١ ـ «على» برىء .. لانه لا يستطيع أن يشترك فى مباراة كرة القدم ، لان عملية « المصران الاعور » أجريت له قبل الحادث بأيام .كما أن « حسن » برىء لأنه ذكر أن القاتل اخوه. وقيل أن «حامد» تقابل مع « حسن » للمرة الاولى منذ اربعة اسابيع.

واذن « فحامد » لايمكن آن يكون القاتل

واذن يتبقى «نزيه» و«محمود» .. وبما ان نزيه لابد ان يكون على قيد الحياة لانه ذهب الى الاسكندرية بعد وقوع الحادث ، اذن فهو القاتل الذى راح «محمود» ضحية لتهوره

٢ — هى صورة ابن المتحدث

٣ — الاسماء الحقيقية هى :

ميرنا لوى، ديك باول، بريسيلا لين، جارى جرانت، ماريا مونتيز، انا شيرلى ، تيرون باور

٤ — املأ الآنية التى سعتها خمسة التار (المتوسطة) من الآنية التى سعتها ثمانية التار (الكبيرة) . ثم صب من الآنية المتوسطة جعة فى الآنية التى سعتها ثلاثة التار (الصغيرة) حتى تمتلىء ثم افرغ ما بالآنية الصغيرة — وهو ثلاثة التار — فى الآنية الكبيرة فيصبح ما بها عندئذ ستة التار ومابالآنية المتوسطة لترين . انقل ما بالآنية المتوسطة الى الآنية الصغيرة . ثم املأ الآنية المتوسطة مرة اخرى من الكبيرة . وبما ان الآنية الصغيرة بها لتران ، فان لترا واحدا يملأها .. لذلك صب من الآنية المتوسطة جعة فى الآنية الصغيرة حتى تمتلىء .. فيصبح ما بها اربعة التار

ثم صب ما بالآنية الصغيرة — الثلاثة التار — فى الآنية الكبيرة ، فيغدو ما بها اربعة التار . وبذلك يتمكن الصديقان من قسمة السائل بينهما بالتساوى

٥ — الرقم هو (١٠٨٩)

فلو فرضنا أن صديقك اختار الرقم ١٥٨ ، كان بعد استبدال رقمى الآحاد والمئات كل منهما مكان الآخر (٨٥١)

وبطرح الاصغر من الاكبر :

(٨٥١ ــ ١٥٨) يكون الناتج ٦٩٣، وبعكس الناتج بنفس الطريقة يصبح (٣٩٦) وباضافتها (٣٩٦ + ٦٩٣) يكون الناتج ١٠٨٩

وهذا هو الجواب مهما كان الرقم الذي اختاره صديقك

٦ ــ عند نهاية التجربة يكون مقدار ما بكوب الماء من نبيذ معادلا تماما لمقدار ما بكوب النبيذ من ماء

٧ ــ زيارة الطبيب : فان ميريس الهولندي ــ فابيولا: هينر الفرنسي ــ الاعمى والمقعد: ثوركان الفرنسي ــ انتصار ساموتراكي : مثال اغريقي مجهول ــ الياس : كابتيه الفرنسي

٨ ــ عدد الاساتذة ١٧

ذلك لان الحساب الكلي يساوي عدد الاساتذة مضروبا في ثمن فنجان الشاي . وقد ذكر انهما رقم واحد ، كما ذكر ان الحساب الكلي يتراوح بين (٢٠٠ ، ٣٠٠) قرش ، وان الجواب لايتيح سوى فرض واحد

واذن فالمطلوب البحث عن عدد اولي ــ غير قابل للتحليل ــ يكون « مربعه » اى حاصل ضربه في نفسه يتراوح بين (٢٠٠ ، ٣٠٠) وبمحاولة يسيرة تستطيع ان تستنتج ان الجواب هو (١٧)